فرقة تحقيقات باريس

فرقة تحقيقات باريس

تأليف: صوفي إيناف

ترجمة: صابر رمضان

تحرير: هدى فضل

طبعة 2023

الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 2022/26853

الترقيم الدولي:9789773198138

مُراجعةٌ لُغوية: حمزة فايز

© جميع الحقوق محفوظة للنَّاشر

60 شارع قصر العيني – 11451 – القاهرة – مصر

ت:27921943 (202+) – 27954529 (202+)، ف:27947566 (202+)

www.alarabipublishing.com.eg

© Editions Albin Michel, 2016

Originally published as *Rester groupés* in 2016 by Albin Michel

صوفي إيناف

فرقة تحقيقات باريس

روايةٌ مِنْ فرنسا

ترجمها عن الفرنسية: صابر رمضان

العربي للنشر والتوزيع

تمت مراعاة المعايير البيئية أثناء إعداد هذا الكتاب

We took into consideration the environment while doing this book

حظي هذا العمل بدعم من برنامج دعم النشر الخاص بالمعهد الفرنسي وبرنامج طه حسين الخاص بالمعهد الفرنسي بمصر.

Cet ouvrage a bénéficié du soutien du Programme d'aide à la publication de l'Institut Français et du programme Taha Hussein de l'Institut français d'Egypte.

INSTITUT FRANÇAIS
Egypte

بطاقة فهرسة

إيناف، صوفي

فرقة تحقيقات باريس/ تأليف: صوفي إيناف؛ ترجمة: صابر رمضان.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2022

ص؛ سم.

تدمك: 9789773198138

1- القصص الفرنسية

أ- رمضان، صابر (مترجم)

ب- العنوان 843

إهداء إلى أسرتي الصغيرة.

" دائمًا ما يتعثر المتميزون"

"إيفا روزيير"

"لورا فلام والشرطة"

المقدمة

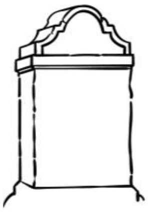

24 نوفمبر 2012، إقليم "فولكوز"

سار "جاك مير" على طول النهر الذي يمر عبر "إيل سور لاسورج". كان مندمجًا في عد البط الذي يسبح أمام عينيه. تمايلت الأعشاب الخضراء - التي تلون المياه الشفافة - ببطء، واختفت أحيانًا تحت وميض الشمس. هزت مياه النهر الهادئة بعض القوارب مما استرعى انتباه بعض المشاة والمتنزِهين.

بابتسامة رجل معروف بفعل الخير بين أهالي القرية ردّ "جاك" على تحية موظف المكتبة الذي أشار إليه من بعيد محييًا إياه، ثم مال تحت أشجار "الدلب" متجهًا نحو المخبز. وما إن وصل إلى الميدان حتى لفت انتباهه وجود نقش جديد على اللوح الرخامي للنصب التذكاري للموتى. كان هناك أثر لقطرات من الطلاء الذهبي التي تساقطت بعد الكتابة على اللوح الرخامي. يبدو أن اسمًا جديدًا قد أُضيف إلى قائمة الموتى.

"جاك مير": 17 أغسطس 1943 - 25 نوفمبر 2012.

25 نوفمبر.

مات غدًا.

1

باريس، 28 ديسمبر 2012

كانت المفتشة "آن كابستان" منهمكة في محاولة تشغيل آخر الطابعات المعطوبة التي وصلت إليها من إدارة المواد "اللعينة". في النهاية، ظهر على شاشة تلك الآلة العنيدة "الحبر غير كافٍ"، رغم أن "كابستان" قد استبدلت للتو بخرطوشة الحبر أخرى جديدة. بعد محاولات عديدة باءت كلها بالفشل، استسلمت المفتشة التي لم يكن لديها شيء مهم تريد طباعته، فهي لم يعد لديها مهام ذات أهمية كما كانت من ذي قبل، بل لم تعد تعمل شيئًا من الأساس.

بعد بدايتها الوظيفية المبهرة، وحصولها على الميدالية الأوليمبية في الرماية، وحصولها على مجموعة من الرتب العسكرية التي لم تحصل عليها أبدًا شرطية شابة من قبل، التحقت "كابستان" بفرقة حماية الأحداث (المتخصصة في قضايا الأطفال)، لكنها لم تكن تدري أن هذه المرحلة ستكون بمثابة نهاية قدرتها النفسية على التحمل. وذلك بعدما قتلتْ بدم بارد مشتبهًا به أثناء تحقيقها في قضية بشعة. إلا أن تلك "البرجوازية المتمردة الناعمة نعومة الكلاشنكوف"، كما كانت تطلق عليها زميلتها

"روزيير"، قد أفلتت من عقوبة إنهاء خدمتها، إلى تولي مسؤولية فرقة من ضباط الشرطة غير المنضبطين، وتعود فكرة إنشاء هذه الفرقة إلى السيد "بورون" المسؤول الأول في الإدارة العامة للشرطة الجنائية، في إطار خطة تطهير جهاز الشرطة عن طريق تجميع كل الضباط غير المرغوب فيهم والأقل التزامًا في فرقة واحدة.

كان هذا القرار بعيدًا كل البعد عن أن يحمل في طياته أي نوع من التقدير لهؤلاء الضباط، بل على العكس كان بمثابة دفنهم أحياء تحت طبقة من الذل والازدراء. وأصبح "الخونة" وصفًا ملاصقًا لهم. مما ترك أثرًا سيئًا في نفس "كابستان"، بل مس كرامتها وكبرياءها.

سرعان ما تأقلم الرائد "لوبروتون"، بهدوئه المعتاد، مع الوضع الجديد، رغم أنه لم ينجُ من ازدراء وسخرية زملائه. فبعد أن كان له صولات وجولات في قوات التدخل السريع نُقِلَ إلى إدارة التفتيش العامة بسبب إفصاحه عن مثليته الجنسية. وحلت ملابسه التي تشبه ملابس "يهوذا" محل الزي الرسمي. بعد فقدان رفيقه، بات من الصعب عليه بعض الشيء تحمل التمييز الذي يُمارس ضده من قبل زملائه. لذا تقدم بشكوى ضد رئيسه المباشر الذي نقله على الفور إلى الفرقة التي أنشأها "بورون". وها هو يجلس الآن إلى كرسيه واضعًا إحدى قدميه على الأخرى على المكتب الذي أمامه ويتصفح جريدة "لوموند" حتى يستريح قليلًا من القراءة عديمة الفائدة لملفات القضايا القديمة التي يمتلئ بها الممر. في تلك الأثناء، سمع صوتًا عاليًا قادمًا من الغرفة المجاورة، فوضع المجلة التي كانت بين يديه، واستمع إلى الصوت لبرهة ثم عاود القراءة مرة ثانية.

كان كالعادة خلافًا بين الثائرة "إيفا روزيير" والعنيد "ميرلو". فهما لا يكفان عن النقاش، ليس بالضرورة أن تكون نقاشاتهم حول الموضوعات نفسها ولا في التوقيت نفسه، يبدو أن الأمر لا يزعجهم على الإطلاق. بإمكانك سماعهم يتناقشون حول البلياردو، أو حول آخر أعمال "روزيير" تلك النقيب الروائية السيناريست المليونيرة، التي لم تُكِن للقضاة أي احترام، بل كانت تستلهم شخصيات مسلسلاتها من صلب النيابة والإدارة العامة للشرطة الجنائية كي تسخر منهم. منذ أن التحقت بالفرقة الكائنة في شارع "الأبرياء"، وهي تحاول تجهيز المكاتب وتنسيقها، ولكن مع بعض التحفظ. على سبيل المثال، بالأمس كانت تتحدث عن شراء طاولة كرة "بيبي فوت" كي يتسلى بها كلٌ من "داكس" و"لوويتز"، حينها سألتها "كابستان" عما إذا كانت ستجعل الدخول إلى مركز الشرطة مدفوعًا أم مجانيًا؟ بدا على "ميرلو"، الذي كان بجوارهما، أنه يفكر في الأمر دون أن يأخذ في اعتباره نبرة السخرية التي تحدثت بها "كابستان". أما "روزيير"، تلك القائدة المحنكة، فقد تراجعت خطوة للوراء لكن دون أن تخفي أنيابها. وبدورها، أدركتْ "كابستان" أن المناورة بينهما لم تنتهِ بعد.

تركتْ المفتشة الطابعة اللعينة ثم توجهت إلى غرفة الألعاب المزمعة، التي تشبه غرف البلياردو الإنجليزية، والتي كان بها مصباح مستطيل الشكل، وأربعة كراسي "فوتيه"، وعَلاّقة، هذا بالإضافة إلى بار مصنوع من خشب البلوط الأصلي مع مقاعده. اعتمدت "إيفا" على حجج مقنعة في حديثها مع "آن":

– الآن كل شيء على ما يرام يا "آن"، لم يعد هناك أحد يود الانضمام إلى الفرقة. وكما ترين كلما كان المكان مجهزًا بالأثاث كلما كان أقل كآبة.

لم تعد هناك مساحة فارغة في الغرفة، ولم يعد ينبعث منها رائحة الكآبة كما كانت من ذي قبل.

في تلك الأثناء، وقف السيد "ميرلو"، النقيب السابق في شرطة الآداب والماسوني مدمن الكحول الموهوب في التعامل مع الآخرين، تحت المصباح ويعلو وجهَه فخرٌ بذكوريته، وممسكًا في إحدى يديه بعصا البلياردو وفي الأخرى الكرة الحمراء، وعلى سترته بعض آثار الطباشير الأزرق. واصلتْ "روزيير" حديثها اللاذع قائلة:

- يبدو أن كل الأمور تتشابه.. على سبيل المثال عندما أنظر إلى قرن وحيد القرن أتذكر قصة طريفة. في يوم من الأيام، مرَّ رجل يعاني الضعف الجنسي بوحيد القرن، فقال في نفسه "أخيرًا، وجدتُ الحل السحري لمشكلتي، كل ما عليَّ فعله هو أن أخلع قرن هذا الحيوان وألتهمه التهامًا بعدها سيكون كل شيء على ما يرام". منذ ذلك الحين، يفعل جميع من يعانون من الضعف الجنسي الشيء نفسه مع هذا الحيوان كي يستعيدوا نشاطهم الجنسي.

كان "بيلو"، كلب "روزيير"، جالسًا يستمع بعناية إلى كلامها. ثم التفت برأسه ناحية "ميرلو" كي يرى ما سيقوله ردًا على "روزيير":

- بالضبط يا صديقتي العزيزة! أتفق معكِ تمامًا! إنها الحيوية التي تحقق الانتصارات العظيمة والتقدم العلمي.

قال ذلك وهو يشير بعصاه التي كادت أن تصيب الملازم "إيفرار"، تلك التي استُبعدت من فرقة الألعاب والقمار بسبب إدمانها القمار واتهامها بعمليات مشبوهة مع بعض أصحاب النوادي. في تلك الأثناء، وقفت "إيفرار" تنتظر برزانة وهدوء نهاية المحادثة وهي تستند إلى الطاولة وتنقر بأصابعها على خشبها اللامع. ثم أدارت ظهرها -تقريبًا دون

قصدٍ- للملازم "توريز" الذي كان جالسًا على كرسي بذراعين في آخر القاعة، وعصا البلياردو الخاصة به مركونة إلى إحدى ذراعي الكرسي. اقتربتْ منه "كابستان" وسألته:

- من الفائز؟

- تقصدين في النقاش أم في المباراة؟

- المباراة.

- إذًا أنا الفائز.

- ومع منْ كنت تلعب؟

رد "توريز" بوجهٍ عبوسٍ قائلًا:

- معي أنا.

كالعادة، لم يُرد أحد الانضمام إلى فريق "توريز"، بل كانوا يفضلون اللعب ثلاثة ضد واحد. وهذا يُعد -في حد ذاته- تقدمًا ملحوظًا؛ فمنذ شهر واحد فقط لم يكن هناك أحد يتحمل التواجد معه في مكان واحد. لكن مع الوقت، تضاءلت - بشكل بطيء - سمعته السيئة؛ حيث كان معروفًا عنه أنه منحوس لا يجلب إلا الحظ السيئ. رغم ذلك، كان الجميع بما فيهم "توريز" نفسه يأخذون بأسباب الحيطة والحذر. هذا باستثناء "كابستان" التي كانت تقترب منه كما تريد دون خوف، ولم تسمح لمثل هذه الخرافات بإعاقة حركاتها في المكان.

ثم خرج صوت يشبه صوت صرصور الليل من جيب "كابستان". إنها نغمة رنين تليفونها. يظهر اسم "بورون" على الشاشة. مر ما يقرب من شهر على آخر مكالمة بينها وبين مدير الإدارة العامة للشرطة الجنائية؛ حيث أخبرها أنه أوفى بوعده معها وأن سيارة جديدة في حالة لائقة بانتظارهم؛ إلا أن الرقيب "لوويتز" المهووس بالقيادة كان قد حطمها

بعد وقت قليل جدًا. بعدها طلب السيد "بورون" من أعضاء الفرقة أن يتكتموا على الأمر حتى تهدأ الأمور في الإدارة. اعترضت "كابستان" ورأت أن الأمر لا يستدعي كل هذا، لكنها تفهمت الوضع في نهاية المطاف، وأدركت أن الأمر يحتاج إلى بعض التريث.

في النهاية، فتحت "كابستان" الخط وهي تقول في نفسها ربما يحمل هذا الاتصال في طياته خبرًا سعيدًا:

– صباح الخير سيدي الرئيس، ما سبب تشريفك لي بالاتصال؟

كان الراديو الخاص بالنقيب "أورسيني" مثبتًا على محطة كلاسيكية تبث مقطوعة موسيقية "سوناتا" لـ"شوبرت". وكالعادة لا يستمع "أورسيني" إلى تلك الموسيقى لأنه منهمك في تقليب صفحات جريدة "لابروفنس" اليومية.

توقف عند إحدى الصفحات أمام مقالة بعنوان: "اغتيال "جاك مير" – ضحية "إيل سور لا سورج"- في وضح النهار". أخرج "أورسيني" المقص من المقلمة وقص المقالة بعناية. ثم فتح أحد أدراج مكتبه واختار ملفًا من الورق المقوى الأحمر، ووضع المقالة فيه، ثم أغلق الملف وسحب أربطته المطاطية. ثم أمسك بقلمه الأسود الذي أزال عنه غطاءه وانتظر لبضع ثوان يفكر فيما يمكن أن يكتبه.

في النهاية، وضع القلم جانبًا، وأعاد الملف إلى الدرج دون أن يعنونه.

2

تحت سمائها المعتمة، اكتست العاصمة الفرنسية بأجواء الشتاء؛ حيث المطر الغزير الذي أجبر الباريسيين على أن يمشوا ورؤوسهم منحنية وأعينهم لا ترى سوى الرصيف الحجري الذي يمشون عليه. أصابهم ذلك اليوم - الذي بدأ لتوه - باكتئاب أكيد. في شارع "داجير"، سارت "كابستان" بين غابة من مظلات المطر التي يحملها المارة، وهي ترتدي وشاحًا كبيرًا مرقطًا حول رقبتها يصل إلى ذقنها ومعطفًا أسود ثقيلًا ذا قلنسوة. وصلت بخطاها السريعة إلى شارع "جاساندي" الذي انقطعت فيه حركة المرور تمامًا خاصة في الاتجاه المؤدي إلى شارع "فروادفو"، حيث مسرح الجريمة.

كانت في انتظارها قضية جديدة حيث عُثر على جثة قبل ساعتين فقط. تساءلت "كابستان"، التي يعج مكتبها بصناديق مليئة بملفات قديمة لا فائدة منها، عمن منحها هذا الشرف؛ وهو العودة مرة ثانية إلى مسرح الأحداث.

دفع الفضول بعض المتفرجين إلى أن يقفوا على أطراف أصابعهم كي يتمكنوا من رؤية التفاصيل الحصرية الموجودة خلف السياج الأمني وأكتاف رجال الشرطة. اقتحمت المفتشة حشد المتفرجين، وأبرزت بطاقة هويتها أثناء عبورها وعلى وجهها ابتسامة، بينما نظراتها تبحث عن مدير

الإدارة العامة للشرطة الجنائية ذي الهيئة الطويلة. فبالإضافة إلى رجال شرطة المنطقة وفريق الأدلة الجنائية، فبلا شك ستجد ضباطًا من قسم التحقيقات الجنائية الذين تولوا زمام القضية. وقفت أيضًا سيارة تابعة لفرقة البحث والتدخل مركونة بشكل غريب في نهاية الشارع. إذا أضفنا إلى كل هؤلاء المفتشة "كابستان"، سنجد فريق عمل كبيرًا أمام جريمة قتل بسيطة. الأكيد هو أن ذلك الاستدعاء أثار استغرابها بعض الشيء.

وقف السيد "بورون" واضعًا يديه في جيوب معطفه الواقي من المطر ذي اللون الكاكي، مراقبًا بنظرات غير راضية صخب هذا العالم الصغير. اقترب من "كابستان" وابتسم لها ابتسامة متحفظة:

- صباح الخير أيتها المفتشة.

خلعتْ القلنسوة من على رأسها حتى تتمكن من رؤيته بشكل جيد ثم ردتْ عليه:

- صباح الخير سيدي الرئيس. ما الخطب؟ عددنا كبير جدًا.

رد عليها "بورون" وعيناه تنظران إلى الجمع المزدحم:

- حقًا، عددنا كبير، كبير جدًا.

أحكمت "كابستان" لف وشاحها حول ذقنها وسألته:

- لماذا إذًا كل هذا العدد الكبير؟

- لأن المجني عليه هو أحد كوادر فرقة البحث والتدخل. وأعلمُ جيدًا كيف ستسير الأمور بين هذه الفرقة وقسم التحقيقات، وسيثيرون الضغائن والأحقاد فيما بينهم كأنهم عصابات، وسيذكرون قصصًا للشرطيين من أيام الشرطي البارع "بروسار" حتى يومنا هذا، وسيهملون كل الخيوط التي تصب في مصلحة القضية.

مقتل أحد الكوادر.. خيوط القضية.. كانت "كابستان" تخشى أن تفهم قصد "بورون".

- سيدي المدير، لا تقل لي إننا سنحقق في قضية تخص أحد الزملاء ومن المحتمل أن يُتهم فيها زميل آخر! وصل الأمر إلى ذروته، ولم يعد أحد من زملائنا يتحملنا.

لم تنتبه "كابستان" إلى تعبيرات وجهها، رغم أن الأمر كان ملحوظًا جدًا لدى الجميع، وهو يبدو جيدًا على كل حال، لكن على المدى البعيد فإن الشعور بالرفض يستهلك هؤلاء الأشخاص المستقلين. يتطلب الأمر إلى جانب الرفض كثيرًا من الشجاعة أو كثيرًا من اللامبالاة حتى يمكنك الصمود بشكل واضح وصريح أمام عدم تقبل الطرف الآخر لرفضك.

- كلا، لم أطلب منكِ ذلك بالضبط، لكن كل ما عليكم فعله هو النظر في كل المسارات المحتملة وألا نستبعد أحدًا من دائرة الاتهام مثلما نفعل في أي تحقيق. وهذا يعني أنه من المحتمل مواجهة بعض الصعاب كسوء الفهم من بعض الزملاء.

تنهد "بورون" وفرك يديه ذواتي القفازين، ببعضهما، وقرر الاستمرار في حديثه معها بكل صراحة:

- كي أكون صادقًا معكِ، فإن رغبتي في ضمك إلى فريق التحقيق في هذه القضية لم تلقَ قبولًا لدى الكثيرين، وأن قسم التحقيقات الجنائية يرى أنه ليس بحاجة إلى أحد للتحقيق في هذه القضية، وأنهم قد اكتفوا بأفراد من فرقة البحث والتدخل دون الحاجة إلى أفراد غرباء عن المجموعة.

أبعدتْ "كابستان" خصلة شعر مبللة كانت متدلية على وجهها ثم قالت في تعجب:

- أتفهم ذلك جيدًا، لكنني لا أفهم لماذا وقع اختيار النيابة العامة علينا نحن بالذات؟

هزَّ "بورون" رأسه عاقدًا ما بين حاجبيه، ولوح بأصابعه في هواء الصباح قائلًا بلهجة رسمية:

- كلا، ليس تمامًا، لا يزال أمامنا بعض المعوقات البيروقراطية عديمة الفائدة.

لم تفهم "كابستان" من كلامه سوى كلمة "كلا". ورغم أن النيابة العامة لا تعرف أصلًا بوجودهم فإن مدير الإدارة العامة للشرطة الجنائية قد لفت انتباهها إليهم دون قصد. تساءلت المفتشة مرة أخرى عن سبب وجودها. كانت "كابستان" تعلم جيدًا أن وجودهم في هذه القضية لا فائدة منه تمامًا، وهذا ليس تقليلًا منهم أو تواضعًا لكنها الحقيقة، لذا كانت ترى أن قرار "بورون" غير منطقي بالمرة.

- معذرة سيدي الرئيس على الإلحاح، لكنني أود أن أفهم لماذا نحن هنا؟

فجأة توقف "بورون" عن الحديث، عندما مرَّ رجل طويل القامة مفتول العضلات يرتدي سترة لونها يشبه القهوة بالحليب، وهو لون وجهه نفسه تقريبًا. كان وجهه جميلًا إلى حد ما لكن يبدو عليه أنه شخص منغلق. أمسك "بورون" بمرفق الرجل كي يوقفه. توقف هذا الأخير بالفعل واستدار. ومع كل حركة وهو يستدير أعطى الناظرين إليه شعورًا بأنه ناطحة سحاب بسبب ظله المتمدد على الأرض.. ولأنه يعرف مدير الإدارة العامة للشرطة الجنائية، فقد وقف ثابتًا وأخذ تقريبًا وضع الانتباه. أومأ المدير برأسه تقديرًا لما فعل ثم وجَّه كلامه لـ"كابستان":

- دعيني أقدم لكِ الملازم "ديامان" من فرقة البحث والتدخل، وحدة التسلق للحماية المدنية، أليس كذلك؟

وقف الضابط في زهو وفخر واضح لانتمائه إلى كتيبة لها سمعة طيبة؛ فهي تضم نخبة من أكفأ الضباط الذي يصعدون المباني وينزلون منها عبر الحبال، تراهم ينقضون بسرعة كبيرة وأسلحتهم في أيديهم على مخابئ العصابات الخطرة. ومن المؤكد أن الحبال والعصابات سيكونون في مأزق حقيقي نظرًا لحجم هذا الرجل.

- بالطبع سيدي الرئيس.

- علمتُ أيضًا أنك من ستتولى مسئولية التنسيق بين فرقة البحث والتدخل وقسم التحقيقات الجنائية وفرقة "كابستان"، أليس كذلك؟

أجاب بصوت منخفض:

- بكل تأكيد.

قالت "كابستان" وهي تمد يدها ويعلو وجهها ابتسامة لطيفة:

- تشرفنا أيها الملازم.

صافحها الرجل بيده وهو يهز رأسه متجنبًا نظراتها. فربما يتعرض لنظرات ازدراء أو إهانة من محاوريه البائسين. ظنت "كابستان" أنها رأت لمحة من الحزن في عيون الملازم، الذي ربما لا علاقة له بالعمل.

- بمجرد أن يُحرر المحضر، سيرسل لكِ الملازم نسخة منه. وسيبقيك على اطلاع دائم بسير التحقيق في الأقسام المختلفة، وأنتِ أيتها المفتشة ستشاركين معهم بما تتوصلين إليه من نتائج. أريدُ أن تتعاون كل الأطراف في هذه القضية. أعلم أنه يمكنني الاعتماد عليكم. أليس كذلك أيها الملازم؟ أيتها المفتشة؟

أومأ "ديامان" إيماءة عسكرية برأسه أي نعم. وبدورها، هزت "كابستان" كتفيها مع ابتسامة خفيفة كي تؤكد أنه يمكنه الاعتماد عليها هي أيضًا. بعدما انصرف الملازم، عادت "كابستان"، التي نادرًا ما تستسلم، إلى سبب اختيارها لهذه المهمة. التفتتْ إلى "بورون" وسألته:

– لماذا نحن إذًا؟

طلب منها أن تتبعه، توجها نحو الجثة التي كانت مغطاة بقماش من المشمع، ولبسا النعال الورقية. كان ضابط الأدلة الجنائية واقفًا على كرسي في محاولة منه لرفع البصمات من على لوحة الشارع. وكان زميله واقفًا تحته وفي يده مفك كهربائي. لم تعد تشير اللوحة إلى شارع "جاساندي" كما كانت من ذي قبل، بل إلى "شارع سيرج-روفوس"، 1949–2012، المفتش قاهر الأوغاد".

فجأة، فهمت "كابستان" لماذا استدعاها "بورون".

3

حقق "بول" مجدًا رائعًا، ثم كانت النهاية. نعم كان هذا منذ وقتٍ قريبٍ، لكنه قريبًا سيكون في طيات النسيان. أو ربما أصبح كذلك بالفعل، فكما يقولون "صاحب الشأن هو في أغلب الأحيان آخر من يعلم". على كل حال، بدأ يفكر في الأمر عندما تلقى مكالمة غير متوقعة من شركة إنتاج تعرض عليه المشاركة في برنامج تليفزيون الواقع، لكنه رفض.

من المؤكد أنه تردد للحظة؛ لحظة طويلة ومخزية. فالوعود بالعودة إلى دائرة الضوء لها جاذبية وتأثير، إلا أن "بول" قد ترك تلك المهنة، أو على الأقل هذا الجانب منها. ربما راودته فكرة العودة من حين لآخر، لكنه في نهاية المطاف تعامل مع الأمر بطريقة مختلفة.. فهو الآن لديه مسرح وفرقة كوميدية تعمل تحت إدارته.

شمر أكمام قميصه البيج، وجلس خلف مكتبه يتصفح بريده الإلكتروني. وجد عددًا كبيرًا من الرسائل واردة من "هوجو"؛ وهو أحد المتدربين الجدد الذي يحاول جاهدًا جذب الانتباه.. طلبه الدائم للمدح ينم عن أزمة وجودية. تضايق "بول" بسبب تلك الرسائل، استند على كرسيه، ومنح نفسه دقيقة من الهدوء قبل أن يرد. وبحركة تلقائية، فرك ذقنه

بيده حتى يتأكد من أنها محلوقة بشكل جيد. ثم توجهت نظراته، كما يحدث عادةً، نحو ذلك الملصق الإعلاني المعلق أمامه الذي يعود إلى أكثر من عشرين عامًا. وقف بجواره صديقا الطفولة اللذان أسس معهما فرقة "ليه بليرو"، أحد أشهر ثلاثيي الفكاهة في التسعينيات.

حققوا نجاحًا كبيرًا عن جدارة واستحقاق: امتلكوا الموهبة واجتهدوا مع بعض الحظ الذي أكمل ما كان ينقصهم. بدا النجاح في تلك المرحلة من حياتهم كأنه أمر طبيعي ومستمر للأبد. وهذا أمر منطقي بالنسبة لشباب خرجوا لتوهم من مرحلة المراهقة، تلك المرحلة التي يكفيك أن ترتدي الجينز مع شيء مفتوح الصدر دون أزرار حتى تضمن لنفسك مكانة "زعيم عصابة". على المستوى المهني، كان المسرح بالنسبة لهم مجرد جمهور – يحل محل الأصدقاء – يضحك على نكاتهم، ثم جاء بعد ذلك التليفزيون والحفلات التي ما لبثت أن تحولت إلى روتين. بالتالي كانت الشهرة نتيجة طبيعية لا أكثر. في نهاية المطاف، نقضي بقية أعمارنا في محاولة إدراك قيمة النعمة التي كانت بين أيدينا لكن بعد فوات الأوان.

كانت الكوميديا التي تقدمها فرقة "ليه بليرو" مواكبة لعصرها، وقد استُوحي منها فيما بعد نوع جديد من الكوميديا الارتجالية "ستاند أب". بعد فترة انفصل الثلاثي، وشق كلٌ منهم طريقه. اتجه "بول" إلى مجال الاستثمار في المسرح معتقدًا بذلك أنه سيكون لديه دائمًا مكانًا يمثِّل فيه. لم يكن ذلك صحيحًا على الإطلاق. لو فعل ذلك لما غطى المكان حتى تكاليفه. بالطبع ما زال الناس يعرفونه في الشارع، لكنهم ببساطة لم يعودوا يدفعون من أجل مشاهدته كسابق عهدهم. بل يتحدثون معه فقط عن مسرحياته القديمة. وفي بعض الأحيان يختلط عليهم الأمر فلا يفرقون بين أعماله وأعمال فرقتي "نول" و"أنكوني". هكذا هو الجمهور، ففي

الوقت الذي تعتقد فيه أنه يحبك ومعجب بك تراه لا يتذكر أعمالك جيدًا. وهذا يعكس عدم الاكتراث وقلة الاهتمام.

بدأ "بول" تدريجيًا في إفساح المجال لجيل جديد من الممثلين الشباب. أخذ هؤلاء يُظهرون له بحذر شيئًا من الولاء والإخلاص إلا أنهم في الوقت ذاته كانوا يرون أنه قد عفا عليه الزمان، وأنهم قد ابتكروا كوميديا جديدة، هي بمثابة كوميديا العصر. كان "بول" يتصرف بالطريقة نفسها بالضبط أيام شبابه.

ضرب "بول" بيديه على المكتب. ثم تذكر "هوجو"، ذلك الأحمق الصغير الذي علا نجمه مؤخرًا؛ حيث كانت عروضه تحقق أرباحًا لا بأس بها. انحنى "بول" قليلًا كي يلتقط تليفونه فقد وصلته رسالة نصية من زوجته أو بالأحرى زوجته السابقة: "مرحبًا. هل أنت في البيت؟"

اغرورقت عيناه على الفور بدموع لا يعرف سببها، لكنه توقف واستجمع قواه وأخذ نفسًا عميقًا كي يستعيد تركيزه ويكفكف دموعه. بدأ فكه يرتعد ثم أخذ يلوم نفسه لأنه ما زال يفكر في الأمر، لكنه في النهاية لم يستطع أن يمنع نفسه من العودة إلى تليفونه مرة ثانية. ظل يحدق فيه كأنه بإمكانه الحديث والتبرير، بل ومحو كل ما حدث والوعد بحياة جديدة.

جاء انفصاله عن زوجته قبل عام بمثابة تخليه عن آخر مَعْلَم من معالم شخصية، عن آخر أصدقائه، عن حبه الوحيد، عن أصله وجذوره. لاحقها طيفه في كل مكان. لم يستطع أن ينسى رقتها، قوامها، وجهها، استقلالها، ولا لياليها وأيامها. كان "بول" يعلم أن انفصاله عنها سيكون أصعب من تخليه عن كل أمجاد الماضي. بعد هذه الموجة من الذكريات التي اجتاحته، لم يكن "بول" على ما يرام. فتح تليفونه ثم كتب بسرعة عجيبة: "نعم". ثم انتظر بصبر..

فجأة رن جرس الباب، فارتسمت على وجهه ابتسامة لا إرادية.

4

ظلتْ "كابستان" واقفة، تتأمل ذلك الباب المغلق أمامها، للحظة تملكها شيء من الخوف إلا أنها استجمعت قواها وقبضتْ يديها الموضوعتين في جيبها. يبدو أنها كانت على موعد مع القدر هناك. لم تفكر حينها ولو لدقيقة واحدة في الانسحاب، لكنها قاومت كي تحافظ على اتزانها الجسدي، حتى تستطيع تبديد دوافع الغضب المحتملة. لحسن الحظ أبقاها الحزن والتعاطف في وضعية لائقة.

وها قد حان الوقت كي تراه مرة ثانية وترى عالمه الجديد. بعد انفصالهما، ترك لها الشقة متحليًا بأخلاق النبلاء، لكنها بعد أن أحسنتْ نيتها، رأتْ أنه لم يكن فقط متحليًا بأخلاق النبلاء بل كان واحدًا منهم كعادته. حفظت "كابستان" الشقة عن ظهر قلب؛ كانت بمثابة بقايا ثروة غير عادية جُمعت في ظروف عادية. لم يأخذ "بول" من شقته القديمة سوى بعض الأثاث الذي ورثه عن أجداده، وغسالة الملابس، وغسالة الأطباق. وكأنه يريد أن يوصل لها رسالة من وراء ذلك فحواها: "أنا من استخدم هذه الأشياء".

لكنه في النهاية تخلى عنها مع أول مشكلة، متخفيًا خلف خطابه الأخلاقي المنمق للغاية. في ذلك اليوم، كانت "كابستان" قد قتلت أحد الأوغاد

وتسببت في عاهات لآخرين. ورغم تَحطم حياتها المهنية فإنها لم تبدِ أي ندم على ما حدث، ولم تعلق على الأمر ولم تبرره، ولم تكن لديها حتى أي رغبة في الحديث عن هذا الموضوع. انتظر "بول" بضع دقائق ثم رحل عنها.

شعرتْ "آن" بصوت خطوات تقترب من الباب فتوترت وتبدد كل شيء من حولها. أخيرًا، فُتح الباب على أجمل رجل قَابَلَتْهُ على الإطلاق. إنه زوجها "بول" ذو الطلة المشرقة، كأنه امتص أضواء المدينة كلها في وجهه. عندما يدخل مكانًا ما تراه يشع نورًا كالألعاب النارية وسط المصابيح العادية. حتى والدته، السيدة المتواضعة بطبعها، كانت كلما رأت نجمها الساطع "بول" تقول: "لم نخطئ أبدًا، أنا وأبوه، عندما سميناه باسم الممثل الأمريكي الشهير "بول نيومان". إنه حتى يشبه الممثل والمخرج الأمريكي "روبرت ريدفورد". وكان الأب المسكين يرد عليها قائلًا: "نعم، إنه يشبه الممثلين فعلًا". فجأة تلاشى كل هذا الإطراء بغيابه.

فقد مات هذا الأب مقتولًا اليوم، وعلى "كابستان" أن تخبره بذلك.

ابتسم "بول" للحظة أثناء فتح الباب، لكن أمام هذا الوجه العابس تلاشت تلك الابتسامة سريعًا؛ فهي لم تكن في هذا الموقف سوى رسول يحمل خبرًا حزينًا. كان لقاؤهما أشبه بالتقاء الجليد مع الرصاص. كان على أحدهما أن يبدأ الحديث:

– صباح الخير، هل يمكنني الدخول؟

تردد قليلًا قبل أن ينحني نحوها كي يقبّلها على خدها، لكنه تراجع بعدما رأى منها عدم استجابة. في نهاية الأمر، أفسح لها الطريق دون أن ينبس بكلمة واحدة. سبقته بالدخول إلى الشقة، ولاحظت أنه ما زال يستخدم عطر ما بعد الحلاقة نفسه ماركة "كيلز".

- شكرًا.

دخلت "كابستان" الشقة، لكن منعها كبرياؤها واعتزازها بنفسها من أن تلقي نظرة عامة لتفحص الشقة رغم رغبتها الملحة في القيام بذلك.

- من الأفضل أن نجلس إذا لم يكن لديك مانع.

أدرك "بول" من نبرة صوتها ومن أسلوبها الجاف الذي لا يتناسب مع لقائهما الأول بعد قرابة العام أن الأمر جد خطير. كان يعرف زوجته السابقة بما يكفي كي يجعله غير قادر على أن يتصور ولو للحظة أنها كانت تمزح معه. أشار إليها بالجلوس على الأريكة أما هو فجلس على الكرسي المقابل لها. جلستْ "كابستان" دون أن تخلع معطفها. شبكت يديها ثم تتبعت تلك الندبة الموجودة على سبابته اليسرى.

لم تعرف من أين تبدأ. بحثت عن صيغة مناسبة لكنها لم تجد. بحكم عملها، فقد واجهتْ مثل تلك المواقف كثيرًا قبل ذلك، لكن مع "بول" فالأمر مختلف تمامًا. ظل يراقب صمتها في صبر كأنه جندي متأهب لضربات العدو، فقد تدرب بما يكفي بالإضافة إلى إيمانه بالقضاء والقدر. منذ اختفاء ابتسامته وهو لم يتوقع خيرًا على الإطلاق. وقد كان محقًا. حزنت "كابستان" لرؤية ذلك في وجهه، لكنها حسمت أمرها في نهاية المطاف، وقالت بصوت أكثر حدة مما كانت تتمنى:

- لدي أخبار سيئة للغاية يا "بول". والدك...

خفضتْ عينيها للحظة، وعندما عاودت النظر إليه مرة ثانية كان قد فهم كل شيء إلا أنه كان ينتظر تأكيدًا منها. وبدورها لم تتأخر في إعطائه إياه.

- مات مقتولًا هذا الصباح.

غاص في كرسيه، حدق بعينيه أسفل طاولة القهوة. وبرفق شديد، بدأ يفرك براحة يده اليمنى مسند ذراع الكرسي ذي الجلد البني. ما بين صدمة الخبر والندم والرغبة في الظهور بمظهر المتماسك، امتنع "بول" عن إبداء أي ردة فعل. رغم ذلك، كانت ساقاه ترتعدان قليلًا. تظاهرتْ "كابستان" بتجاهلها إياه. كي تهرب من التركيز في معاناة زوجها وتحرره من نظراتها، تجولت بعينيها في أرجاء الشقة. وكما توقعتْ، كانت الشقة ذكورية الطابع لكنها دافئة ومرحة. بطول غرفة المعيشة، هناك مكتبة ضخمة من خشب البلوط، مكتظة عن آخرها بكتب الجيب، والقصص المصورة، وأقراص الفيديو الرقمية، وكؤوس "الرجبي"، وتماثيل سينمائية، ولوحات صغيرة، معظمها مناظر بحرية، موضوعة بشكل عشوائي. لم تكن هناك منضدة في غرفة الطعام، ولكن محلها استقر مكتب مرتب إلى حد ما، وخلفه مطبخ على الطراز الأمريكي، مجهز بشكل مريح.

كان الموقف صعبًا حقًا إلا أنَّ "كابستان" كانت شرطية بمعنى الكلمة. استطاعت، من خلال تجولها بعينيها في المكان، أن تجمع بعض التفاصيل وتحللها. في هذه الغرفة الكبيرة، على سبيل المثال، لم ترصد أي أثر لامرأة ولا لأطفال. لم يكن هناك أي دليل على أنه يستقبل زائرين. يبدو أنه ما زال أعزب. حينها شعرتْ "كابستان" بسعادة غريبة تجتاحها، سعادة تعيدها للوراء قليلًا وتمحو كل ما كان لديها من مشاعر سيئة وبقايا غضب كامنة بداخلها. لكن كل هذه المشاعر ستعود قريبًا إلى أماكنها مرة ثانية لأنها لم تعد تريد هذه السعادة، لدرجة أنها لامت نفسها على ذلك الشعور الذي اجتاحها للحظات.

لفت انتباهها تلك اللوحة المقلوبة البارزة خلف خزانة الأطباق الضخمة الموجودة بجوار المطبخ. تعرفت عليها رغم أنها قادمة من هذا الماضي الذي

أصبح بعيدًا لدرجة أنه لا يمكن تذكره. هذه اللوحة، التي صممتها بنفسها، بمناسبة عيد ميلاد "بول" الثلاثين. كان مقاسها مترًا واحدًا في مترين، في شكل نقش بارز. تحتوي اللوحة على مجموعة صور، وتذاكر سينما، وأحجار، وتذاكر حفلات، وريش طيور النورس، وغيرها من الذكريات التي تجمعهما معًا. في ذلك الوقت، كان لدى النجم "بول" كل شيء، ولم تعد الهدايا تفاجئه، لكنه ظل متسمرًا في مكانه، سعيدًا مسرورًا، أمام هذا الشيء الذي لا يمكن تعليقه على الجدران. فلم يصمم له أحدٌ شيئًا كهذا على الإطلاق. بعد مُضي خمسة عشر عامًا، لا تزال "آن" تتساءل عما جعلها تفعل ذلك. فقد كانا، هو وهي، على قدر كبير من الحياء يمنعهما من أن يعرضا ذكرياتهما بهذا الشكل. مرت السنوات، وما زالا يحتفظان بهذه اللوحة ويأخذانها معهما في كل شقة ينتقلان إليها. لم يكن لديهما أي نية للتخلص منها أو حتى إنزالها في المكان المخصص للأشياء غير المستعملة.

لانَ قلبها رغمًا عنها، اتجهت بعينيها صوب "بول"، لكنَّ شعرها الشقراء أخفى نظرتها التي تتميز بذات اللون. لم يبكِ "بول". لو كانت مكانه، لم تكن لتبكِ على هذا الأب.

رغم ذلك، بدا الألم واضحًا على ملامحه وفكيه. ربما كان عليها أن تواسيه ببعض الكلمات، وربما كانت تريد ذلك بالفعل، لكنها فضلت أن تظل صامتة في مكانها، وفي حيرة من أمرها.

حدَّق فيها، وبدا عليه هو الآخر أنه يبحث عن كلمات ليبدأ الحديث معها. أخيرًا تخلى عن مقعده واتجه نحو المطبخ وأحضر فنجانين بعدما ملأ ماكينة القهوة بالماء، ثم توجه إليها بالسؤال قائلًا:

– أتريدين فنجان قهوة؟

- نعم، شكرًا.

تراكم الصمت في الغرفة وازدحمت به حتى تواريا عن بعضهما بعضًا. ركضت بقايا حبهما كالأشباح أسفل الحوائط ولم تتجاوز بأي حال ذلك الغطاء الذي يغطي أسفل الجدران. لم يَجِدَا كلمات يتبادلان بها أطراف الحديث، لأنه لم تكن هناك كلمات من الأساس.

وضع "بول" الفنجان أمامها على طاولة القهوة، مع نصف مكعب من السكر وملعقة "موكا". ثم عاد إلى كرسيه ليشرب قهوته هو الآخر.

ثم تحدث أخيرًا بعد بضع دقائق من تقديم القهوة:

- ألستِ أنتِ المكلفة بالتحقيق في هذه القضية؟

بحكم كونها شرطية، لم يفُتها بالطبع ما في نبرة سؤاله من حدة كامنة واستسلام في الوقت نفسه. ردت بإيجاز:

- بلى.

أطلق تنهيدة صغيرة ثم انتهى من قهوته، وقال:

- وهل كنتِ تودين ذلك؟

كانت الإجابة على هذا السؤال تتطلب بعض الالتفاف، لكن إنكار ما هو واضح لن يجدي نفعًا.

- كلا.

- لا تتدخلي بها إذًا.

أومأت برأسها أي نعم. وعلى الفور لامت نفسها لأنه يستحيل أن تفي بهذا الوعد.

5

لم تنوِ "كابستان" أن تقضي وقتًا طويلًا لا فائدة منه في هذه القضية. ولم تكن لديها نية كبيرة في ترك القضية لفرقة أخرى. ومن ثم ذهبت إلى "بول" وكلها آمال في أن يساعدها في الكشف عن الجاني، أو يقدم لها قائمة بأعداء والده وتحركاته أيضًا.

كانت تفكر في مسرح الجريمة الذي حللته بالفعل؛ الجثمان مقلوب، والركبتان مثنيتان، والجبهة مخترقة برصاصة، والذراعان خلف الظهر. لا بد أن السيد "سيرج روفوس" كان جاثيًا على ركبتيه قبل أن يتلقى تلك الرصاصة بين عينيه. يبدو أن الجاني كان مختلًا عقليًا واجتماعيًا، ليس في قلبه ذرة رحمة. آثار التعذيب والانتقام واللامبالاة كانت واضحة على جثمان المجني عليه، وبجواره لوحة الشارع الذي وقعت به الجريمة. كان مشهدًا ساديًا بامتياز!

نحن أمام مجرم خطير حقًا!

على "كابستان" أن تستعين بجميع الضباط، الذين سيكونون على أهبة الاستعداد لخوض المعركة. هؤلاء الضباط الذين تمتلئ خزاناتهم بالملفات، وحواسيبهم بالبرامج وقواعد البيانات، هذا بالإضافة إلى الإنابات القضائية المستعجلة، لا بد أنهم سيكونون متحمسين جدًا للبدء في هذه القضية.

ناهيك عن أن لديهم رئيسة تود أن تستعيد أمجادها. كان على "كابستان" أن تحفزهم أكثر من أي وقت مضى.

صادف صوت ارتطام الباب عند دخولها صوت تصادم إحدى كرات البلياردو مع أخرى، لكنهم لم يكونوا جميعًا في غرفة الألعاب. كان بعضهم في الصالون؛ حيث وقفت "روزيير" توجه كلًا من "لوبروتون" و"لوويتز" أثناء نقلهما لشجرة عيد الميلاد - التي يصل طولها إلى مترين تقريبًا - بالقرب من المدفأة. ترددت "كابستان" بعدما رأت علامات التعب على وجوههم بسبب تلك الشجرة الضخمة. أما "ميرلو"، فاكتفى بتشجيعهم مع بعض الملاحظات، وهو مستلقٍ على الكنبة وفي إحدى يديه مجلة وفي الأخرى كأس:

- قاعدة الشجرة غير مستقرة، ثبتوها جيدًا يا رفاق، ثبتوها! فأنا لدي نظرة في مثل هذه الأمور غير أني متواضع، أنا...

- ونحن نفعل كل هذا كي نختبر تواضعك.

همهمت "روزيير" بهذه الكلمات وهي تميل رأسها كي ترى ما إذا كانت فروع الشجرة تنعكس في المرآة أم لا. ثم أردفت قائلة:

- أعتقد أن مكانها هنا مثالي جدًا، وسيسمح ذلك لأضواء فروع الزينة بأن تنعكس بشكل رائع.

أكَّد "ميرلو" على وجهة نظر "روزيير" قائلًا:

- هذا بالضبط ما قلته، لكن انتظروا، فما زال لدي ملحوظة في غاية الأهمية بخصوص...

هنا، قاطعته "كابستان". فلم يعد لديهم متسع من الوقت.

- معذرة يا "ميرلو". لدينا أمر هام. "لوويتز"، هل يمكنك تجميع أعضاء الفريق من فضلك؟

اتجه "لوويتز" نحو غرفة البلياردو ومدَّ رأسه عبر الباب وقال:

- اجتماع في الصالون يا رفاق.

عاد برفقة كلٍ من "داكس" و"إيفرار"، وتبعهم "توريز"، الذي كان على بعد خطوات قليلة منهم.

- ما الأمر إذًا؟

قالتها "روزيير" وهي تعد بأصابعها الممتلئة - بشكل تلقائي - الميداليات التي عليها القديسون التي تزين صدرها الكبير.

- هل سينقلوننا إلى جزيرة "با"؟ أم ترقينا إلى أهداف متحركة في ميدان الرماية؟

أشارت "كابستان" بيدها إلى "روزيير" كي تتوقف عن السخرية، ثم قالت:

- وقعت جريمة قتل هذا الصباح في الدائرة الرابعة عشرة، وكُلفنا جزئيًا بالتحقيق في هذه القضية.

عمت موجة من الفرح لا تليق برجال شرطة. فهناك رجل قد مات، لكنهم من ناحية لا يعرفونه، ومن ناحية أخرى ربما تغير هذه القضية من وضعهم إلى الأفضل. غير أن "روزيير"، التي تولي اهتمامًا خاصًا بالكلمات، كان لها رأي آخر حيث قالت باستنكار:

- "جزئيًا"؟

- أُوكلت القضية إلى الشرطة الجنائية وتساعدها قوات التدخل السريع. أما نحن، فسوف...

- نحن، نحن سنكون عديمي الفائدة في هذه القضية، وسنعامَل معاملة الخونة. إن كان الأمر كذلك فأنا لست معكم.

بهذه الكلمات، ردت "روزيير" على "كابستان" وهي تلتقط صندوقًا من الكرتون المقوى الممتلئ بكرات عيد الميلاد. عاودت "كابستان" الكلام مرة ثانية:

- "إيفا"...

بدوره، رد "لوبروتون" وهو يهز كتفيه باستسلام قائلًا:

- معها حق.

- وماذا بعد أن نشارك في التحقيق، هل سنظل في خانة "الشرطي المذنب"؟

طرح "إيفرار" هذا السؤال فيما تعلو وجهه ابتسامة حزينة.

ما كادت تبدأ فرحتهم حتى انتهت. لا شيء يثير الدهشة في ذلك. ففي الآونة الأخيرة، كانت كل زيارة لمبنى الإدارة العامة للشرطة الجنائية تسفر عن كيل من الإهانات لأعضاء الفرقة. وصل حد الإهانة إلى أنَّ أحدهم بصق في إحدى المرات بالقرب من حذاء "إيفرار". لولا تجاهل أعضاء الفرقة لمثل هذه الإهانات وشعورهم ببعض الدفء فيما بينهم، لأُصيبت "كابستان" بالاكتئاب ولما عاد لهذه الفرقة وجود أصلًا. نجحت "كابستان" في إعادتهم إلى حالتهم الطبيعية، غير أن حالة من الإحباط ظلت ملتصقة بهم كالتصاق القراد بالكلب الجربان.

لوح "ميرلو" بمجلته، بعدما استلهم منها أفكارًا أنعش بها تفكيره، قائلًا:

- قرأتُ مقالًا رائعًا في مجلة "فوائد (Avantages)". وهذا عنوانها: "الحيوانات تستخدم حاسة الشم لخدمة العلم والقانون".

ثم استطرد، موجهًا كلامه إلى "داكس" و"لوويتز"، قائلًا:

- وفقًا لدراسة قام بها معهد البحوث الزراعية "إينرا"، فإن الخنازير تمتلك جينات شمية أكثر من البشر والكلاب والفئران. وهي تُستخدم في إسرائيل أو الولايات المتحدة لتحديد مواقع المخدرات والأسلحة والألغام المضادة للأفراد. كما أن الجمارك الفرنسية تُجري تجارب على خنازير من منطقة "بريتون"

الفرنسية. في الحقيقة، هذا ليس كل شيء. فقد انضمت خمسة فئران إلى صفوف الشرطة في مدينة "روتردام" الهولندية، وذلك بعدما تلقوا تدريبات على كشف المخدرات والبارود. الفئران والخنازير! ألا يمكننا استخدام ذلك؟

وفي ذهول تام، ظلت "كابستان" تشاهد الجميع وهم يستأنفون ما كانوا يفعلونه وكأن شيئًا لم يكن. استسلموا حتى قبل حتى أن يعرفوا التفاصيل. كان الخمول هو سيد الموقف، فقد انتشر في جميع أنحاء الغرفة، وبدا على أعضاء الفريق أنهم مستمتعون بهذه الحالة الخطيرة.

– فئران وخنازير يا "ميرلو"؟! كي تحقق في أي قضية؟ يبدو أنكم قررتم البقاء بلا أي عمل في غرفة الألعاب مثلكم مثل يرقات الحشرات الملتصقة بأوراق النباتات. أتريد الاستعانة بفئران بوليسية بدلًا مِمَنْ؟ أليس هناك شرطيون مثلًا!!!

– سيدتي المفتشة...

– ماذا؟ هل ما زال لديك شيء تقوله؟ لقد أوشكتم على المجيء إلى العمل بملابس النوم. والآن أحذركم جميعًا، إما أن تنصتوا إليَّ جيدًا وإما أن نغلق هذا المقر تمامًا، وبعدها يمكنكم أن تذهبوا إلى المقهى في الأسفل كحال الجميع.

تملكها الغضب، بدأ يومها يُثقل كاهلها. لا شك أنها قد نجحت في إسكاتهم، لكنها حاولت في الوقت نفسه كسب اهتمامهم مع الحفاظ على هيبتها.

– تواصل معنا "بورون" لأسباب وجيهة. وعلى كل حال، نحن لن نعمل لمصلحة الشرطة الجنائية، بل سنتعاون معهم. من ناحية أخرى، لا أدري إن كان الجاني شرطيًا أم لا؟ لكن ما أعرفه يا "إيفرار" هو أن المجني عليه كان شرطيًا. من المؤكد أنكم تعرفونه، على الأقل من خلال سمعته: "سيرج روفوس".

هنا تحول انتباه الجميع نحو السبورة البيضاء التي أنزلتها "كابستان" يمين شجرة عيد الميلاد. أمسكت بقلم سبورة وأزالت غطاءه، وكتبت بحروف كبيرة "سيرج روفوس"، ثم التفتت إلى الفريق لبدء الاجتماع. كان عليها أن تدخل في صلب الموضوع بسرعة كيلا تفقد انتباههم مرة ثانية.

- كان "سيرج روفوس"، قبل تقاعده، أحد كبار المفتشين في فرقة البحث والتدخل. سيحاول رجال الإدارة العامة للشرطة الجنائية الدفاع عن زميلهم، وإبعاد منافسيهم في القضية. بالتالي ستلعب الانتماءات دورًا مهمًا. أما نحن، فسنلعب دور سويسرا في هذه القضية، بمعنى أننا سنكون محققين محايدين. وربما نتوصل إلى خيوط أهملها المسؤولون عمدًا بشكل أو بآخر.

ردت "إيفرار" متسائلةً:

- وهل سيكون لدينا المعلومات نفسها التي لدى الآخرين؟

- طبعًا.. هناك ضابط مكلف من الإدارة العامة للشرطة الجنائية بتوزيع المعلومات على الجهات المكلفة بالتحقيق.

واصلت اللاعبة العنيدة كلامها:

- إذا توصلنا إلى حل لغز هذه القضية قبلهم سيُعد هذا انتصارًا بالنسبة لنا؟

قال "ميرلو" مؤكدًا على كلام زميلته:

- ستكون ضربة موجعة.

أضافت "روزيير" من باب جبر الخاطر وليس المزاح:

- نعم ستكون ضربة موجعة.

اعتدلوا جميعًا في جلستهم حتى يكونوا أكثر تركيزًا. احتل "ميرلو" الجزء الأكبر من الكنبة كعادته، بينما تكدس "إيفرار" و"داكس" و"لوويتز" فوق

بعضهم بعضًا. أما "لوبروتون" فكان واقفًا، متكئًا بظهره إلى الحائط. وبدورها، حركتْ "روزيير" مقعدها المبطن إلى الأمام كي تشكل معهم دائرة، كان كلبها الجالس بجوارها بمثابة بوابة الدخول لهذه الدائرة. كان "توريز"، جالسًا على كرسي بلا ظهر في الطرقة، منحنيًا للأمام كي يسمع نقاشاتهم.

– سنعمل رغم المعوقات، وإذا كان الأمر تصفية حسابات متعلق بالجريمة المنظمة، فلسنا على دراية تامة بهذا المجال ولا تاريخه. غير أننا لدينا نقاط قوة أخرى لا يتوقعها أحد، أليس كذلك؟

قالت "كابستان" ذلك بقصد بث روح الحماس والفخر في نفوسهم من جديد. صرخ "داكس" ضاحكًا وهو يضرب على ساق صديقه "لوويتز":

– ههههه، لقد فاجأتِني بهذا الكلام.

قطع صوت جرس الباب هذا الاجتماع الذي طفا على سطحه شيء من الطموح المفاجئ. توجه "لوبروتون" الذي كان واقفًا بالفعل على الحافة الخارجية للدائرة، نحو الباب ليرى من الزائر. عندما فتح الباب تفاجأ بشخص ذي قامة طويلة، قد يكون أطول منه، وهو الذي نادرًا ما ينظر إلى الأعلى لمخاطبة الناس بسبب طول قامته. يبدو من ملامحه أنه شخص صارم كصرامة العدالة. لا شك أنه إذا دخل سيشغل المكان كله إلا أنه اكتفى بتقديم نفسه وهو يمد يده بمظروف صغير قائلًا:

– الملازم "ديامان" من فرقة "وحدة التسلق للحماية المدنية"، هده نسخة من المعلومات التي جمعناها بخصوص قضية "روفوس"، وفي انتظار تقارير الطب الشرعي ومعمل المقذوفات. ستجدون بالداخل صورًا لمحل إقامته، وتقارير عن التحقيقات مع الجيران، وملفات بعض المشتبه فيهم. سأوافيكم بكل جديد.

ثم ومن دون أي مقدمات، استدار بطريقة تشبه طريقة العسكريين ثم ضغط على زر المصعد متجاهلًا "لوبروتون" الذي كان ما يزال ممسكًا بالباب. رفع هذا الأخير حاجبيه مستغربًا واكتفي بتوجيه الشكر له قبل أن يغلق الباب بهدوء.

أدار كل مَنْ في الصالون رؤوسهم نحوه، بما فيهم "لوويتز" و"داكس"، وقد بدت على وجوههم سعادة غريبة. قال الأول ساخرًا:

- يا له من رجل! ألا ترون كيف يتحدث وهو يقول إنه من فرقة "وحدة التسلق للحماية المدنية"!

ثم أشار بيده مستكملًا مزاحه:

- وأنا الرقيب "لوويتز" من فرقة "بينج بونج"!

ومدَّ الثاني هو الآخر يده قائلًا:

- وأنا الملازم "داكس" من فرقة "ننتندو"!

شاركتْ "إيفرار" في هذا المزاح وهي تلوح بيدها قائلة:

- وأنا "إيفرار" من فرقة "جوكاري".

واختتم النقيب "ميرلو" وصلة المزاح قائلًا:

- وأنا "ميرلو" من فرقة "بيكرات"!

دخل الجميع في نوبة ضحك حتى احمرت وجوههم، خاصة هؤلاء الأربعة الذين ظلوا يضحكون وهم يضربون على سيقان بعضهم. سلم "لوبروتون" الظرف إلى "كابستان" التي فتحته وبدأت في الاطلاع على ما به من وثائق. ثم مررتها تباعًا على أعضاء الفريق. لفت انتباهها وجود ملصق ملاحظات أصفر على إحدى الصفحات الأخيرة.

مكتوب بشكل يبدو فيه شيء من الاستعجال: "اذهبي لتعزية الابن واتركي التحقيق في القضية لضباط أكفاء". خيم غضب مفاجئ على وجه "كابستان". أدى تدفق الدم إلى احمرار خديها، وتسارع دقات قلبها، ووجدت صعوبة في محاولة التنفس من أنفها الذي ربما يساعدها في التغلب على النار التي اشتعلت بداخلها. انتزعت ذلك الملصق واستمرت في قراءة ملف القضية. انشطر عقلها في تلك اللحظة إلى جزأين: أحدهما كان منهمكًا في تحليل القضية، بينما الآخر يفكر في الإهانة التي تعرضت لها وسُبل الانتقام. تساءل "لوبروتون" مندهشًا:

– يبدأ سجل المكالمات التليفونية من شهر يونيو وينتهي في شهر أغسطس. أليس لدينا شيء آخر؟

كانت الأشهر الثلاثة الأخيرة غير موجودة. الشيء نفسه بالنسبة لكشوف الحسابات المصرفية. يبدو أنه تم تفريغ جميع الوثائق من محتواها الاستراتيجي. ردتْ "كابستان" وهي تكظم غيظها:

– كلا. لكني أشعر أن مسؤولي الاتصال لن يكونوا على قدر من النزاهة والإنصاف معنا. ليس هناك أي مشكلة، فلسنا في حاجة إليهم، كل ما ينقصنا سنصل إليه بأنفسنا.

ثم أضافت وهي تصفق بيديها:

– هيا بنا نبدأ. لدينا بعض العناصر التي يمكن أن تساعدنا على كل حال. فقد تلقى السيد "سيرج روفوس" رصاصة بين عينيه في منتصف الشارع. كانت يداه مكبلتين خلف ظهره. ورغم أن تقرير الطب الشرعي لم يخرج إلى النور بعد، فإن آثار الكدمات العديدة على وجهه تشير إلى تعرضه للضرب الذي يصل إلى حد التعذيب. ربما كان هذا لمجرد التلذذ والسادية؟ وربما كان انتقامًا؟ وربما كان لأجل الحصول على معلومات منه؟

ربما تظهر الحقيقة فيما بعد. رغم ذلك، كانت لدى "كابستان" قناعة داخلية بأنه مهما كانت الوسائل المستخدمة، فمن غير المتحمل أن ينجح أي شخص في استخراج كلمة واحدة من هذا الرجل. استكملت "كابستان" كلامها قائلة:

– ورغم أن شارع "جاساندي" ليس تجاريًا بشكل كبير فإنه عادة ما يكون مزدحمًا للغاية حتى ساعات متأخرة من الليل، مما يرجِّح وقوع مشهد الضرب والتعذيب خارج الشارع. ربما كان ذلك في مقبرة "مونبارناس" الواقعة في الجهة المقابلة. ومن ثمَّ تم اصطحابه إلى أمام منزله لقتله هناك. آثار الدم واضحة وضوح الشمس على طول الرصيف، ما يثبت أنَّه تلقى الرصاصة أمام اللوحة التي تحمل اسم الشارع. تشير الحروق الموجودة حول نقطة اختراق الرصاصة إلى وجود كاتم الصوت. يمكننا، حتى قبل صدور تقرير معمل المقذوفات، تخمين أن الرصاصة كانت عيار 9 ملي. لم تكن الأصفاد التي كُبلت بها يداه كتلك التي تستخدمها الشرطة الفرنسية، لكنها كانت ذات طابع أوكراني. كل هذه المعطيات جعلتْ فرقة البحث الجنائي توجه أصابع الاتهام نحو عصابة من مدينة "كييف". تسبب "سيرج"، قبل ثلاث سنوات، في سجن اثنين من أفرادها ووضع ثالثًا في العناية المركزة التي لم يغادرها أبدًا. أفراد هذه العصابة معروفون بضغينتهم وكرههم لرجال الشرطة. رغم كل هذا، فإن فرقة البحث والتدخل لا تستبعد وجود متهمين آخرين. تسبب "سيرج" ورجاله في الإيقاع بكثير من المجرمين الخطرين. لذا، علينا أن نتعامل بحذر شديد مع ما يصلنا من معلومات، خاصة أنَّ مَنْ يزودنا بها منافس غير نزيه.

هذا بالإضافة إلى أن فرقتي البحث الجنائي والبحث والتدخل بإمكانهما الاطلاع على ملفات العصابات الإجرامية ودراستها بدقة. وعلى الرغم من وجود مجموعتي عمل أو ثلاث فإن التحقيق سيستغرق شهورًا لتتبع

خيوط القضية ودراسة ملفاتها وإعداد قائمة بالمشتبه بهم. لذا ليس من مصلحة فرقة "كابستان" الدخول في منافسة مع الفرق الأخرى. عليها وفرقتها أن يفكروا خارج الصندوق.

في المقام الأول، لم يتم الإشارة لا من قريب ولا من بعيد إلى لوحة الشارع في المظروف المُقدم من الملازم "ديامان". ليس بالضرورة أن يكون هذا مؤشرًا لشيء ما، لكنه يعني أنه لن يكون من أولويات الإدارة العامة للشرطة الجنائية، من الممكن أن يأتي في المرتبة الثانية من الأدلة مثلًا.. لكن ما يمكن استخلاصه هو أنهم سيعملون بطريقة تقليدية حيث يأتي في المرتبة الأولى الأسلحة المستخدمة، وآثار الدماء، والأخذ بالثأر كدافع لارتكاب الجريمة، ثم يأتي من بعدها الأمور غير المألوفة. مع ذلك، فإن وجود لوحة الشارع في هذا المكان هو بمثابة إعلان النهاية وإيقاظ الشعور بالخوف، الأمر يحتاج حقًا إلى بذل مزيد من الجهد والعرق. لا شك أن هناك ساديين بين أفراد العصابات، لكن تنفيذ الجريمة بهذا الشكل الذي لا يخلو من سخرية يعكس تعمدًا الهدف منه التسلية. وعادة لا يتبع رجال المافيا والعصابات هذا الأسلوب في جرائمهم. لا بد أنهم فكروا كثيرًا قبل أن يتوصلوا إلى هذه الفكرة.

عادت "كابستان" مرة ثانية إلى السبورة لتدوين بعض الملاحظات والمهام. قالت وهي تشير بقلمها إلى إحدى الصور الموجودة على الطاولة:

– في مسرح الجريمة، لاحظتُ أنهم قد نزعوا اللوحة المدون عليها اسم الشارع واستبدلوا بها أخرى مكتوب عليها اسم المجني عليه، وتاريخ ميلاده، وتاريخ وفاته (2012) ومهنته: "المفتش قاهر الأوغاد".

سألتْ "إيفرار" بصوت ضعيف:

– منذ متى وضِعتْ هذه اللوحة؟

- ليس لدي أي فكرة عن هذا الأمر، لكن ربما نجد كاميرات مراقبة في المقبرة المجاورة.

قال "لوويتز" هو يضرب على ساق "داكس":

- علينا أن نستعين بمندوب فرقة "وحدة التسلق للحماية المدنية"، فهو بإمكانه أن يُحضر لنا الكاميرات بما أنه يشبه "سبايدرمان"!

- بل يتوجب علينا أن نسأله عما إذا كان لديهم مزيد من الصور. ربما ترسلها إلينا الإدارة العامة للشرطة الجنائية بعدما يستفيدون منها.

علقتْ "روزيير" قائلة:

- كيف عرف القاتل تاريخ ميلاد الضحية؟ ألا يعني هذا شيئًا؟

ردتْ عليها "كابستان":

- الأمر يثير الفضول حقًا.

ثم استأنفت كلامها وهي تنظر إلى الملازم "داكس" الذي ما زال يضحك على قصة "سبايدر مان" قائلة:

- هل بإمكانكم البحث على الإنترنت لمعرفة ما إذا كان من السهل الوصول إلى مثل هذه المعلومة أم أن الأمر يحتاج إلى اختراق المواقع الإدارية للحصول عليها؟

سأل "لوبروتون" وهو يُبعد ظهره عن الحائط:

- أين يمكن تصميم مثل هذه اللوحات؟ محلات الخردوات؟ مكاتب الطباعة؟ أم عبر مواقع الإنترنت؟

ما زالتْ "روزيير" تفحص المستندات حتى توصلت إلى الملاحظة التالية:

- توفيتْ زوجة المجني عليه قبل بضع سنوات، إلا أن لديه ولدًا اسمه "بول روفوس". لم أرَ من بين المستندات أي محضر استماع له. هل أخبره أحد بمقتل والده؟ أم لم يستجوبوه؟

طأطأت "كابستان" رأسها وتفحصت حذاءها. حان الوقت كي تخبر فريقها بالأسباب الحقيقة وراء ارتباطهم بالتحقيق في هذه القضية، وكذلك تعارض المصالح المحتمل الذي قد يسيء إلى سمعتها. تنهدت، فهي لا تكره شيئًا أكثر من إظهار أدق تفاصيل حياتها الشخصية، التي كانت تتسم بالتكتم والخصوصية، بالرغم من أنها قضت سنوات في مراقبة حياة الآخرين بحكم عملها في الشرطة. للأسف فإن الصدق في مثل هذا المواقف يكون على حساب الخصوصية والسرية. رفعتْ "كابستان" رأسها وقالت بصوت محايد:

- أنا منْ أخبرت الابن بالأمر. "بول روفوس" هو زوجي السابق. وبالتبعية فإن المجني عليه كان حماي.

سادتْ حالة طفيفة من الشك لبضع لحظات بين الشرطيين الذين لم يتمكنوا من إخفاء نظراتهم المتبادلة. صاحتْ "إيفرار" بعفوية تراجعتْ عنها على الفور:

- هذا رائع! معذرة "كابستان"، لم أقصد هذا على الإطلاق. ببساطة، من حيث المعلومات وتفاصيل حياة المجني عليه وعلاقاته، سيكون لدينا ميزة كبيرة ليست لدى منافسينا...

ردتْ "كابستان":

- إن أردتم ذلك بالطبع.

- لكن كيف كان هذا الشرطي الخارق؟ أكان شريفًا أم فاسدًا؟

هنا، هربتْ "كابستان" بنظراتها عبر النافذة. فهي لا تظن أنه كان فاسدًا، لكنها قد رأت منه بعض التصرفات القذرة رغم أنها وقتها لم تكن توليه اهتمامًا كبيرًا.

6

المدرسة الوطنية العليا للشرطة

بلدية "سان سير أو موندور"، مقاطعة "رون"، فبراير 1992

- لقد أنقذكِ المفتش "بورون" مرة أخرى يا "كابستان". لا أدري السبب. ربما أنتِ من النوع الذي يروق له. لكن نظام العمل معي مختلف تمامًا. تظل الأوامر أوامر ويجب تنفيذها.

- باستثناء إذا كانت من باب من الاحترام والتقدير، فإن الأوامر تبدو شيئًا غير مقبول تمامًا كتلميحاتك.

قالتْ ذلك دون خجل لكن دون وقاحة في الوقت نفسه. كانت "كابستان" الصغرى بين زملاء دفعتها، بالكاد كانت قد وصلت إلى عامها التاسع عشر. ورغم تفوقها الملفت للنظر فقد كان ينقصها شيء من اللباقة والكياسة والسياسة. كانتْ تعرف ذلك العيب جيدًا، بل لامت نفسها عليه أحيانًا. كانت ترى أن مثل هذه المهارات يمكن أن تكتسبها مع التقدم في السن والنضوج. مع ذلك، فإن أسلوب "سيرج روفوس" -الأكثر سماحة

من بين مدربيها- لا يناسبه إلا طريقة من اثنتين؛ إما الرضوخ له أو التمرد عليه. لا حل وسط للتعامل مع مثل هذا الإنسان.

كانا يسيران في فناء المدرسة متجهين نحو بوابات الدخول. فما إن وصلا إلى منتصف الفناء المترامي الأطراف، حتى تساءلت "كابستان" في نفسها عن طريقة تهرب بها من هذا الرجل كي تتخلص من هذه المحادثة الثقيلة.

- لا تعجبني نبرة صوتك ولا طريقتك يا "كابستان". فأنا لستُ مدرس رياضيات الصف الأول الإعدادي الخاص بكِ كي أتحملكِ، ولا أنوي ترك المدللات أمثالك يضايقنني في الفصل...

لم تُعر "كابستان" أي اهتمام لأخر جملة من كلام "روفوس"، بل إنها لم تعد تستمع إليه أصلًا كأنه غير موجود. على الجانب الآخر من الفناء، ظهر فجأة نور يشبه نور شمس ولاية "تكساس"، نور متجسد في نصف إله يرتدي سترة ذات ياقة ضخمة مستديرة لونها أزرق غامق وعليها معطف ماركة "كارهارت". سار نحوها مباشرة حيث ارتسمت على وجهيهما في ذات اللحظة ابتسامة مشرقة لا يتخللها شك. وعندما اقترب منها بحيث لم يعد بينهما سوى ثلاثة أقدام توقف عن السير وتوقفت هي أيضًا. ومن ثَم توقف "سيرج روفوس" هو الآخر.

قال "نصف الإله":

- صباح الخير يا أبي.

رد المفتش "روفوس" بطريقة سيئة قائلًا:

- ماذا تفعل هنا يا "بول"؟

"نصف الإله" هو ابن هذا الرجل السيئ. عكر هذا الخبر صفو اللحظة الجميلة، ظلت "كابستان" واقفة في مكانها. تبخر الدش البارد -الذي نزل

لتوه على رأسها- حتى آخر قطرة بفضل نظرات "بول" الدافئة. أعطى "بول" أباه ورقة مطوية، وهو يقول له:

- أحضرها المخبر الذي يعمل معك، لم يذكر اسمه لي، يبدو أن الأمر عاجل، ربما كان اجتماعًا أو شيئًا من هذا القبيل.

استكمل "بول" كلامه وهو ينظر إلى "كابستان" قائلًا:

- يبدو أنه كان عليَّ إعطاء الورقة لزميلتك، فهي أكثر ابتسامًا...

كان عقل "كابستان" في مكان آخر بعيدٍ جدًا. كانت في حالة نشوة تامة بفعل هرمون "الإندورفين"، لدرجة أنها لم تفكر في الإمساك بالورقة. كان عقلها في ذهول تام كأنه التهم المجرة بأسرها. ها قد جاءت اللحظة التي تنتظرها منذ تسعة عشر عامًا، وقعت "كابستان" في حب شخص رائع يشبه الملائكة، نقي واضح، لكنه بلا شك لديه غرور أجمل من غرور الطاووس عندما ينفش ريشه.

أوقف "سيرج" مزاح "بول". رأتْ "كابستان" وميضًا من الخوف في عينيه، بدا ذلك في حركة يديه، وارتعاشة فكه. عاد عقلها أدراجه مرة ثانية. انتهت الحفلة. كان "سيرج" قليل الذوق، وابنه في وضع يسمح له بملاحظة ذلك جيدًا.

7

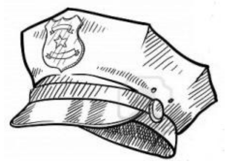

29 نوفمبر 2012، باريس

قال "داكس" وهو يشير بإصبعه صوب الشاشة:

- اشتراها من على هذا الموقع.

يحتوي الموقع - الذي اخترقه لتوه - على العديد من الصور المتحركة، ويعرض أشياء كثيرةً من بينها؛ تصميم أكواب البيرة المخصصة للاحتفال بالتقاعد، أكواب مزينة بصور غير متقنة وبجوارها قلوب صغيرة. أما القسم الخاص بلوحات الشوارع، فيعرض مجموعة متنوعة من المواد والأشكال والنماذج المختلفة: "ميدان بوليست"، "ممنوع النكد"، "شارع العرسان".. وهناك خانة يمكن أن تكتب فيها المحتوى الذي تريد كتابته على اللوحة، كالإشارة إلى جريمة قتل وترويع الضحية على سبيل المثال.

سألت "كابستان" وهي تعرف مسبقًا أن القاتل ليس على هذا القدر من الغباء:

- هل بإمكانك معرفة ما إذا كان قد ترك عنوانه؟

رد "داكس" بحماسة قائلًا:

- نعم. بكل تأكيد.

بدأ الملاكم الشاب الكتابة على لوحة المفاتيح، وهو يجعد أنفه كأنه بذلك سيسرع تحميل الصفحات. لا ندري ماذا سيجد ولا إلى أي شيء سيصل. ما زال عقل هذا الشاب - الموهوب في عالم التقنيات - متعلقًا بالملاكمة. لا شك أن مثل هذه المهارات الفنية لها دور كبير، لكن وجودها بجواره مهم أيضًا في عملية توجيه البحث باعتبارها المسؤولة الأولى. غير أن "كابستان" لم تحب دور القيادة، وقبل أن تتوجه إلى مكتبها، قالت له:

- وانظر أيضًا إن كان بإمكانك الوصول إلى رقم بطاقة الائتمان، أو البنك، أو تتبع عملية شراء أخرى، أو أي شيء من هذا القبيل. اجمع كل المعلومات الممكنة وسندرسها فيما بعد. بالتوفيق.

شعر بالسرور والسعادة، وارتسمت على وجهه ابتسامة وهو ينظر إلى لوحة المفاتيح. بالطبع، فهو لا يلعب " كول أوف ديوتي" الآن، لكنه قريب من الشعور نفسه.

لم يتوقف عقلها عن التفكير في المنافسة مع أعضاء الإدارة العامة للشرطة الجنائية المتعجرفين، والوصول إلى الجاني، ثم إخبار "بول" بطريقة لطيفة. قضت "كابستان" يومًا ثقيلًا حقًا، يوم مليء بالرغبة والعمل والحزن. لكنها بدلًا من ذلك كله، تركت "الأدرينالين" يقودها في عملية البحث، كي تظل هي بالقرب من فريقها الذي يحتاج إلى كل شيء عدا المزيد من الاكتئاب.

انغلق الباب الأمامي، وظهر كلب صغير مسرعًا نحو "ميرلو" الذي شهق مندهشًا. تردد صدى صوت "روزيير" المدوي في جميع أنحاء الصالون:

- "بيلو"! كن مؤدبًا! اللعنة عليك! ماذا تفعل؟

برز فأر ذو شعر بني – مذعورًا من ردة فعل الكلب – من جيب سترة النقيب "ميرلو". طل بشاربه في البداية كأنه يريد أن يستكشف ماذا يحدث بالخارج. أخرجه "ميرلو" في النهاية وهو يقول:

– هذا فأري الذي أدربه كي يساعدنا في العمل.

عاد الكلب – العاقل – أدراجه مرة ثانية بالقرب من أقدام سيدته. كانت "روزيير" – المفعمة بالحياة – ترتدي سترة منتفخة لونها أحمر داكن، ذات حواف ذهبية لامعة، وقد ضاعفت مظهرها الخارجي الممتلئ بالفعل. جزت على أسنانها وابتلعت ريقها. يبدو عليها أنها تريد تغيير الموضوع. استدارت في شكل ربع دائرة وأشارت إلى صندوق من الورق المقوى كانت تحمله وكأنه أثر مقدس. ثم قالت وهي تنظر نظرة تهديد إلى "ميرلو":

– يوجد في هذا الصندوق تقويم العد التنازلي لعيد الميلاد، اشتريته من عند حلواني "مازيت"، وهذه عشرون كرة، شكلها لطيف حقًا! مَنْ يتجرأ ويمد يده على هذا الصندوق دون إذن صريح مني فسيأكل صفعة على وجهه بدلًا من الشوكولاتة.

علقت سترتها المنتفخة على الخطاف النحاسي المعلق على الحائط خلف مكتبها وجلست على كرسيها الإمبراطوري، ثم تفحصت المكان من حولها علها تجد مكانًا يستحق أن تضع فيه التقويم المجيد. بدا لها أن المنضدة الصغيرة الموجودة عن يمينها هي أنسب مكان. وضعت "روزيير" الصندوق أمامها بحرص، ثم فتحته إلى نصفين كأنه إطار صورة مزدوج، حيث كشفت عن صفوف الخانات الصغيرة ابتداءً من 30 نوفمبر، والتي ما تزال مغلقة بعلامات تبويب شكلها لطيف. وما إن انتهت حتى

ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة، ثم التفتت إلى "كابستان"، كما لو كانت تسألها عن أخبار اليوم.

- أخبريني يا صغيرتي هل من جديد في قضية حميكِ؟

صغيرتي!

رغم طريقتها الطائشة أو ربما بفضلها، ابتسمت "كابستان" هي الأخرى.

- ما زلنا ننتظر تقارير الطب الشرعي ومعمل المقذوفات. من جهته، يتولى "توريز" دراسة حسابات المجني عليه، أما "لوويتز" فيتولى أمر تليفونه الشخصي. وها هو "داكس" قد توصل لتوه إلى الموقع الذي تم شراء اللوحة منه، فهو الموقع الوحيد الذي يعرض التصميم المطلي بـ"المينا" بهذا الشكل وهذا اللون. ولا يزال يبحث عن معلومات أخرى.

صاح عبقري الكمبيوتر وهو يشير بيده الممتلئة إلى خرائط جوجل قائلًا:

- توصلتُ إلى نقطة تسليم الطرود التي كان بها اللوحة، تقع في ممر "جران-سيرف".

ردت "كابستان":

- أحسنت يا "داكس".

أومأ "لوبروتون" برأسه تقديرًا لما قام به "داكس". ثم هندم سترته السوداء بطريقة تلقائية، وتوجه ببطء نحو شاشة الكمبيوتر وقال موجهًا كلامه إلى "كابستان":

- المكان قريب من هنا. أتودين أن نذهب إليه؟

هزت رأسها قائلة:

- نعم، اذهبوا أنتم. أما أنا فسأنتظر هنا لاستقبال الضابط المسؤول عن التواصل.

أخفت التجاعيد وجه "لوبروتون" وهو يبتسم للمرة العاشرة في وجه رفيقته المعتادة "روزيير"، التي ظلت واقفة، حيث التقطت سترتها مرة ثانية من على الخطاف النحاسي. كان "بيلو" يقفز فرحًا كأنه لم يرَ ضوء النهار منذ فترة طويلة، كان يلعب بذيله في الهواء، ويضرب به المكتب، وسلة المهملات، وأي شيء يقابله. ولم يهدأ حتى رآها تجهز السلسلة كي تضعها في رقبته.

لحقت "كابستان" بـ"داكس" كي تبحث عن تاريخ شراء اللوحة من الموقع. قالت لهم "كابستان" قبل أن يغادروا المكان:

- كان تاريخ الشراء في الخامس من أكتوبر، أما الاستلام ففي العشرين من ذات الشهر.

- قُتل مع سبق الإصرار. وكيف كانت طريقة الدفع؟

- عن طريق بطاقة ائتمان مسبوقة الدفع تُستخدم لمرة واحدة فقط.

صرخت "روزيير":

- يا سلام! تمامًا كالتليفون المحمول الذي يمكن أن تستخدمه لمرة واحدة ثم تتخلص منه؟! أحقًا فعلوا الشيء نفسه مع بطاقات الائتمان؟! يا لهم من معاتيه! كأن رجال الشرطة ينقصهم المزيد من المعاناة والمنغصات! هيا يا رفاق، مَنْ منكم يريد أن يشتري أشياء مشبوهةً دون أن يتتبعه أحد؟! مَنْ منكم يريد أن يحتال على الآخرين وسيجد بجواره بنوكًا تساعده على ذلك؟! اللعنة عليهم جميعًا! أقسم لكِ أنه لا ينقصنا سوى أن نكتشف أن السلاح قد ذهب بنفسه إلى نقطة تسليم الطرود.

أثناء مغادرة "روزيير" و"لوبروتون" المقر، لحق "لوويتز" بـ"كابستان" في الصالون ومعه ورقة بها سجل المكالمات التليفونية، حيث ظلل فقط بعض الأرقام.

قال "لوويتز" موجهًا كلامه لــ"كابستان":

– لم يكن "روفوس" ثرثارًا. كانت مكالماته قليلة جدًا ولا تتجاوز دقيقتين أو ثلاث دقائق على الأكثر. بحثتُ عمن يتواصل معهم بشكل معتاد ووجدتُ أنهم: الطبيب العام وطبيب أمراض الكلى وطبيب الأسنان، بالإضافة إلى نادي الرماية، وزميله السابق "ليون"، والسيدة "جورج" التي كانت تهتم بشؤون بيته. تواصلت معها بالفعل. وأكدت لي أنه لم يكن ثرثارًا على الإطلاق، بل كان شخصًا عاديًا جدًا، لا يخرج من بيته إلا قليلا ولا يقابل أحدًا، ويقضي نصف يومه تقريبًا أمام التليفزيون. هناك أيضًا عدة مكالمات مع ابنه "بول روفوس"، لكنَّ الخط كان يُغلق دائمًا بعد ثانية واحدة.

ثم استكمل "لوويتز" كلامه بوجه عبوس قائلًا:

– يبدو أن الأمور بينهما لم تكن على ما يرام. الرقم الوحيد الذي بدا لي غريبًا هو هذا الرقم.

ثم أشار إلى رقم يبدأ بــ"06" وأردف قائلًا:

– هذا رقم شخص يُدعى "دوني فيرون"، أليس هو ذاك الممثل المعروف؟

"دوني فيرون" هو أحد ثلاثي فرقة "بول" السابقة، والذي انتهت مسيرته المهنية. يبدو أنه كان على "روفوس" أن يسلك طرقًا جانبية للتواصل مع ابنه.

– نعم هو بالفعل، لكنه صديق ابنه "بول". عمومًا سنرى لاحقًا ماذا سنفعل معه. أعتقد أن سجلات المكالمات الحديثة ستظهر لنا شيئًا ما. سيتولى "داكس" هذا الأمر بعدما ينتهي من أمر اللوحة.

رنَّ جرس الباب رنة قصيرة جدًا لدرجة أنها قد تكون مهينة بعض الشيء. بالكاد سمعها كلٌ من "كابستان" و"لوويتز". توجهت

"كابستان" صوب الباب، فوجدتْ "ديامان" الذي مدَّ يده إليها ببعض المستندات، وقال حتى دون أن يبتسم:

– توصلت فرقة البحث والتدخل إلى اثنين من المشتبه بهم، وهما الآن رهن الاحتجاز. جمعتُ لكم بعض المعلومات عنهما. سينتهي الأمر سريعًا.

شعرتْ من كلامه أنه يتمنى ذلك. بعدما أغلقتْ "كابستان" الباب وسمعتْ صوت المصعد، وضعت جبهتها على الباب وأخذتْ تفكر في الأمر. اثنان من المشتبه بهم رهن الاحتجاز! بالكاد كانت فرقة "كابستان" قد بدأت مرحلة الإحماء، حتى انتهت فرقة البحث والتدخل من القضية بهذه السرعة. شعرتْ "كابستان" بالاختناق من جراء ذلك. انفتح الباب مرة ثانية، انسحبت "كابستان" من خلف الباب. فإذا به "أورسيني".

"أورسيني"، ذاك النقيب الذي تعاون مع كل الصحفيين من كل الاتجاهات، حيث كان يسرب لهم تفاصيل خاصة عن الشرطة. ها هو قد عاد من عطلة نهاية أسبوع طويلة بعض الشيء.

– صباح الخير سيادة النقيب، هل كانت أمورك على ما يرام؟ وصلتَ في الوقت المناسب. لدينا قضية جديدة.

أجاب "أورسيني" بكل فخر:

– صباح الخير. نعم كل شيء كان على ما يرام.

طوى معطفه بعناية على ساعده واقترب وسألها بفضول:

– ما القضية؟

8

ما إن تدخل شارع "سان دوني" إلا وتجده ينبض بالحياة ويعج بالناس. ابتداءً من "نافورة الأبرياء"، ترى محلات الملابس المستعملة، ومحلات الأحذية الرياضية التي حلت محل معظم متاجر البضائع الجنسية. لم يتبقَ من أثر تلك المتاجر سوى عدد قليل من اللافتات التي تستهوي السياح والمتسكعين. بعدما عبر "لوبروتون" و"روزيير" شارع "تيربيجو" بسرعة، وصلا إلى الجزء الواقع – من شارع "سان دوني" – في الدائرة الثانية، حيث اختفت أيضًا متاجر البضائع الجنسية، لكن هذه المرة حل محلها مطاعم صغيرة. وصلا في النهاية إلى المنطقة التي يتقاطع فيها ممر "جران-سيرف" مع حي "مونتورجيل". جُدد هذا الممر مؤخرًا، حيث بات مزودًا بأحد أعلى الأسطح الزجاجية مقارنة بالممرات الباريسية الأخرى. قديمًا كان ممر "جران-سيرف" مقرًا لمجموعة من الأكشاك التي لم يتبقَ منها سوى بعض اللافتات الضخمة التي تشير إليها. كانت هذه اللافتات مع أشكال مجسمة لفيلة وساعات قديمة ضخمة وسرطان البحر المصنوع من الورق المعجن بمثابة رحلة عبر الزمن. أحب "لوبروتون" هذا

المكان كثيرًا، حيث كان رفيقه "فانسان" يمتلك هنا شركة معمارية صغيرة، كان ذلك أيام الزمن الجميل قبل أن يفارق الحياة.

انتشرت زينة عيد الميلاد فروع النور، التي تبرز جمال المكان، وتسببت في إضرام نيران مؤلمة في ذاكرة "لوبروتون". سيكون هذا أول عيد ميلاد يمر عليه وهو أرمل دون رفيقه. كلما عمَّت مظاهر الفرحة والبهجة في كل مكان، كلما حاول "لوبروتون" كبح جماح حزنه لدرجة أنه تمنى ألا يأتي شهر ديسمبر. تمنى أن ينتقل مباشرة إلى شهر يناير حتى وإن وصل إليه زحفًا كالغريق الذي يزحف الأمتار الأولى من الشاطئ على بطنه كي يصل إلى اليابسة. يريد أن يمر عليه الشتاء دون حزن وكآبة. لكن هيهات، فلا بد للمرء يومًا أن يعيش معاناة المنتحرين حتى يشعر بنعمة المعاناة الطبيعية ومن ثمَّ نعمة الروتين اليومي.

ورغم أننا في نهاية الخريف، فإن ضوءًا سماويًا اخترق السقف الزجاجي وغمر الممر بحالة من الهدوء. فلا يصل إلى آذان الشرطيين الصامتين سوى وقع الخطوات على أرضية الممر وبعض الأصوات – التي تشبه الهمس – لعدد قليل من المارة. وصلا في النهاية إلى المحل الذي حدده لهما "داكس"، لكنه كان مغلقًا على عكس المعلومات التي زودهما بها هذا الأخير. قالت "روزيير" بغضب:

– اللعنة! كنت أعرف أنَّ هذا سيحدث. لقد وضعنا "داكس" في ورطة.

في تلك الأثناء، تفحص "لوبروتون" لافتة المحل. وبعدها رد على "روزيير" قائلًا:

– لا تقلقي، سيفتحون في غضون ربع ساعة.

ردت عليه "روزيير" قبل أن تتحول بنظراتها إلى واجهات المحلات الزجاجية قائلة:

– حسنًا.

ثم استطردت وهي تتوجه بخطى ثابتة نحو المحل المقابل قائلة:

- انظر، هذه الوسائد الصغيرة جميلة جدًا.

دقت ساعة الشراء. تنهد "لوبروتون" ثم تبع زميلته في صمت. خرجا بعد بضع دقائق. كان "لوبروتون" محملًا بكيسين بلاستيكيين ممتلئين بالوسائد الملونة، تجنب بالكاد فتاة صغيرة مرحة كانت منطلقة بالـ"إسكوتر" في الممر الذي كان - بالنسبة لها - مسار الأحلام حيث لا يوجد كثير من المارة. كانت أمها خلفها ترفع ذراعيها على استحياء في محاولة لإبطاء سرعتها. ابتسم الشرطيان لبعضهما وعبرا الطريق فوجدا مالك المحل قد فتحه لتوه.

استقبلهما بابتسامة عريضة أظهرت أسنانه الاصطناعية التي يعلوها شارب بني محدد بعناية. وبما أنه لا يبيع سوى الجوارب فكل زبون بالنسبة له هو صيد ثمين، خاصة إذا كان محملًا بالمشتريات كهذين الزبونين. في النهاية، أخرجتْ له "روزيير" بطاقة هويتها الشرطية وقالت:

- مرحبًا سيدي. جئنا إليك اليوم وكلنا أمل في قوة ذاكرتك. منذ ما يقرب من شهر، وصل إليك طرد من موقع "persorigolo.com"، عبارة عن لوحة مطلية بـ"المينا". أعتقد أنها ثقيلة إلى حد ما، ويمكنك أن تتوقع أبعادها.

استطردت كلامها وهي تباعد بين يديها مسافة حوالي خمسين سنتيمترًا:

- هل تتذكر الشخص الذي جاء لاستلامها.

تظاهر البائع بالغباء والغموض في إجابته عليهما:

- لا أدري.. كان هذا منذ وقت طويل.. ربما.. أظن أنه عليكما مساعدتي كي أنشط ذاكرتي..

رمقته "روزيير" بنظرة كلها شك مصحوبة بابتسامة، ثم أخذت تقهقه بشكل ساخر:

– يبدو أنني أحلم! أمامي رجل عجوز يرتدي سترة مصنوعة من قماش "الجاكار"، ويظن نفسه يلعب دورًا في مسلسل "ستارسكي وهاتش"! والأدهى أنه يحاول ابتزازنا ماديًا! ماذا بك يا رجل؟ لم يعد هذا يحدث حتى في المسلسلات. أعي جيدًا ما أقوله وما أقصده.

ثم استكملت كلامها بعدما سيطرت على غضبها بعض الشيء:

– أعتقد أنك ستؤدي واجبك كأي مواطن في هذا البلد، وإلا سنستكمل الحلقة التي سيهدد فيها "ستارسكي" صاحب المحل بمراجعة جميع حساباته.

بعدما شعر بالمهانة بسبب السخرية من طلبه المشروع، استدار البائع نحو "لوبروتون"، كأنه يشهده على الظلم الذي لحق به. وبطبيعة الحال، لعب الأخير دور الشرطي الصالح، الذي يتعامل باحترام مع النوايا الحسنة ويعطيها فرصة لاستعادة كرامتها. قال له "لوبروتون" وهو ينظر إلى "روزيير" نظرة يريد من خلالها تهدئة الأمور:

– لم تفهم زميلتي قصدك. أرجو أن تسامحها وتلتمس لها العذر. بالنسبة لي، أرى أنك رجل تهتم بأدق التفاصيل ولا تفوتك شاردة ولا واردة. ومن الطبيعي أن تحتاج إلى مزيد من الوقت لاسترجاع ذاكرتك. أخبرني متى تكون في أفضل حالات تركيزك؟

أخرج "لوبروتون" دفتر ملاحظات صغير وقلمًا من جيبه، قبل أن يحدق في الرجل بتركيز تام. كان يأمل في الوقت نفسه أن تكون نظرته إلى "روزيير" قد نجحت في تهدئتها بعض الشيء، لكن شفتيها اللتين ترتعشان قد فضحتا ضحكتها التي حاولت جاهدة كتمها. للأسف لو سيطر الإحساس بالإهانة على مشاعر الرجل، فسيرفض الإدلاء بأي معلومة، ولن يستطيع أحد إجباره على ذلك. وساعتها سيعود الشرطيان إلى مقرهما خاليي الوفاض تمامًا.

لحسن الحظ، وضع الرجل في النهاية يده على جبهته في محاولة منه لاسترجاع ذاكرته. فقد أراد رد الجميل إلى الضابط الذي حفظ له ماء وجهه وساعده على الخروج من هذا الموقف المهين. قال الرجل موجهًا كلامه إلى "لوبروتون":

- تذكرته، كان رجلًا ذا بشرة قمحية، ملتحيًا، متوسط الطول والبنيان، يرتدي نظارة طبية مربعة، شعره طويل إلى حد ما، قد يصل إلى عنقه، على طريقة أوائل الثمانينيات.

- أعتقد أنه بإمكانك تمييز ما إذا كان شعرًا طبيعيًا أو مستعارًا. أليس كذلك؟

هزَّ الرجل رأسه أي نعم. ثم رد قائلًا:

- كان طبيعيًا.

- أشكرك على هذا الوصف الدقيق القيم. هل لديك وقت للمجيء إلى مقرنا كي نرسم له صورة تقريبية؟

اعتدل الرجل بفخرٍ تلبيةً لنداء الواجب ثم قال:

- بالطبع إن كان هذا ضروريًا. سأغلق المحل اليوم في الرابعة مساءً، يمكن أن آتي إليكم بعد ذلك.

رد عليه "لوبروتون" وهو يعطيه العنوان مدونًا على إحدى صفحات دفتر ملاحظاته:

- تمام، شكرًا جزيلًا لك. إلى اللقاء.

لمس "لوبروتون" مرفق "روزيير"، في إشارة منه إلى أنهما سيرحلان. غير أن هذه الأخيرة كانت قد التفتت إلى أرفف الجوارب لتسخر منها على طريقتها.

جلستْ على أحد مقاعد المترو، وفي يديها جواز السفر الجديد الذي تسلمته لتوها من مصلحة الجوازات، بدت صورتها الشخصية جيدة وشفافة في الوقت نفسه. اللقب: "إيفرار" الاسم: "بلانش" ويعني "البيضاء". ولا تدري لماذا اختار لها والداها هذا الاسم الذي جعلها عديمة اللون أكثر مما هي عليه، ومحا وجودها بعد أن كان لها بعض الوجود؟ أكان لديهما شعور مسبق بما سيحدث لابنتهما أم أنها عدم الرغبة في تضييع لحظات شبابهما الغرامية؟ تنهدت "إيفرار"، التي استطاعت شق طريقها رغم الصعاب. والدليل أنها استخرجت جواز سفر جديد دون أن تغير اسمها. لم يعد لمثل هذه الهواجس وجود في حياتها.

في المقعد المقابل، جلست امرأة في منتصف العمر تقريبًا، تتأمل تذكرة يانصيب في يديها طيلة الست محطات السابقة. وبما أنها لم تخدشها بعد، فكل الاحتمالات واردة، وكل مشاكلها يمكن أن تنتهي. لذلك استغرق الأمر وقتًا طويلًا بعض الشيء. السؤال الذي يطرح نفسه: "كيف لهؤلاء الناس أن يعلقوا آمالهم وأحلامهم على ورقة طُبِعت خصيصًا لتضييعها وتشتيتها؟".

ردت "بلانش" – مدمنة القمار التائبة – على نفسها قائلة: "أنتِ تعرفين جيدًا الإجابة على هذا السؤال. ويجب عليكِ ألا تفكري في الأمر ثانية".

رغم ذلك، كانت تنتظر بفارغ الصبر أن تخدش المرأة تذكرة اليانصيب كي ترى الأرقام الموجودة تحت الطبقة الرمادية.

9

بعد بضع ساعات، دخلت "إيفرار" الغرفة الصغيرة، حيث كان "داكس" - وبرفقته الشاهد - مندمجًا للغاية في رسم الصورة التقريبية للجاني، لدرجة أنه لم ينتبه لوجودها.

سأل الملازم "داكس" الشاهد وهو يضع يده على الفأرة:

- بالنسبة لعينيه، أواسعتان هما أم ضيقتان؟

- واسعتان بعض الشيء. لكنه كان يرتدي نظارة سميكة لم تسمح لي برؤية عينيه جيدًا.

كان الشاهد يرد على "داكس" بحذر شديد. تشعر من طريقته أنه يريد أن ينتهي من هذه المقابلة سريعًا. تابع "داكس" أسئلته قائلًا:

- أهكذا كانت العينان يا سيدي؟ هل يمكننا الانتقال إلى الأنف الآن؟

ورغم أن "إيفرار" لاحظت تركيز "داكس" وانتباهه الشديد بالإضافة إلى أدبه الجم المعتاد، فقد تجولت حول المكتب ثم توقفت أمام الشاشة. وبعد لحظات أدركت تحفُّظ الشاهد وحذره الشديد. ثم سألت بطريقة ماكرة تشعرك أنها لا تريد جوابًا من وراء سؤالها:

- برأيك هل يمكن التعويل على مثل هذا البرنامج؟

رغم تركيز "داكس" الشديد فقد رد عليها دون أن يرفع عينيه عن الشاشة قائلًا:

– في الحقيقة، رفضت الشرطة القضائية شراء برنامج تصميم الصور التقريبية للجناة، يبدو أن ذلك سيكلفهم أمولًا طائلة. لذا أنشأتُ حسابًا خاصًا بي يتيح لي أول عشرين محاولة مجانًا. أعتقد أنه يعمل بشكل جيد. أليس كذلك؟

أومأت "إيفرار" برأسها –بعد أن كونت رأيًا موضوعيًا خلال بضع ثوان– أي نعم:

– يبدو رائعًا حقًا.

في تلك الأثناء، كانت "كابستان" منهمكة في مطالعة مقالة من صحيفة "لابروفنس". قالت موجهة كلامها إلى "أورسيني":

– هذا غير معقول! لا يمكن أن يكون هذا من قبيل الصدفة أبدًا.

رد "أورسيني" قائلًا:

– معك حق فعلًا، فالجريمتان وقعتا في تاريخين متقاربين جدًا.

يتشابه مشهد مقتل "جاك مير" في بلدية "إيل سور لا سورج" مع مشهد مقتل المفتش "روفوس" في كل النواحي تقريبًا. لذا، كان عليهم دراسة هذه الجريمة على الفور والوصول إلى علاقة بين الضحيتين.

عندما أعطى "أورسيني" المقالة لـ"كابستان" وأخبرها بالقصة، كانت عاكفة على دراسة ملفات المشتبه بهم الذين احتجزتهم الإدارة العامة للشرطة الجنائية لتوها. لاحظتْ "كابستان" أن السلاح الذي قُتِلَ به "روفوس" هو نفسه المستخدم في قتل أحد تجار البضائع المسروقة قبل بضع سنوات. وقتها تم احتجاز رجلين ثم أُطلق سراحهما، وهما الآن قيد الاحتجاز على ذمة قضية

"روفوس". بيد أن "كابستان" ترى أنه ليس هناك أي علاقة بين هذين الرجلين ومقتل "روفوس". تعتقد "كابستان" - المستاءة من الإدارة العامة - أنها ما زال ينقصها بعض المستندات الهامة في هذه القضية.

غيرت مقالة "أورسيني" قواعد اللعبة. هناك جريمة مماثلة وقعت في منطقة "بروفنس"، من المحتمل أن تقلب موازين التحقيق، وليس لدى أحد أي معلومة عن هذه القضية - حتى الآن - سوى فرقة "كابستان". ماذا سيفعلون حيال هذا الأمر إذًا؟ إبلاغ الفرق الأخرى بهذه المعلومة لن يكون فقط من باب الأمانة المهنية، ولكن من باب المسؤولية أيضًا: فالأمر يتعلق بجريمة قتل. بالإضافة إلى أن الوصول إلى معلومة كهذه سيمنح "كابستان" وفرقتها لذة السخرية منهم ولو لبضع دقائق. مع ذلك، فإن الصمت سيمنحهم أفضلية في مسار التحقيق. أخذت "كابستان" تفكر في الخيار الأخير. بالكاد كان لديها بعض الوقت كي تطرح على نفسها هذا السؤال:

- هل يجب أن أُخبر "ديامان" و"بورون"؟

رنَّ التليفون الأرضي رنته المزعجة. إنه السيد "بورون". بإيماءة برأسها، اعتذرت لـ"أورسيني" الذي عاد إلى مكتبه مرة أخرى للبحث عن معلومات أخرى قد تفيد في هذا المسار.

قال المسؤول الأول في الإدارة العامة للشرطة الجنائية:

- أخبريني يا "كابستان"، هل اخترقتم مؤخرًا أحد المواقع التجارية دون إذن من النيابة ودون حتى أن تخفوا آثار ذلك؟

أجابته وهي ترمق "داكس" قائلة:

- آه... للأسف، الأمر غير مستبعد.

- غير مستبعد! غير مستبعد! هل أعطيتِ أمرًا بذلك أم لا؟

- بالنسبة لاختراق الموقع؟ نعم، أمرتُ بذلك فعلًا. أما بالنسبة لإخفاء أثر ذلك، فلم أكن أتصور أن الأمر سينكشف بهذه السهولة.

- هل أعتبر ذلك اعتذارًا منكِ وتحملًا للمسؤولية يا "كابستان"؟ أعتقد أنكِ تقولين لنفسك الآن "لم أظن أن أمري سينكشف" تمامًا كما يقول الجاني بعد أول جريمة له.

ردت "كابستان" وهي تبتسم قائلة:

- الأمر كذلك تقريبًا.

- تعرفين أنه قد قُدِّمت شكوى في هذا الصدد؟ وبالتالي لا يمكننا استغلال ما توصلتم إليه من معلومات.

- إذًا، فلنترك هذا جانبًا الآن.. لقد توصلنا أثناء البحث إلى خيط مهم جدًا؛ وهو أن اللوحة المباعة على الموقع الذي اخترقناه تربط بين مقتل "روفوس" ومقتل رجل آخر في إقليم "فوكلوز". الأسلوب نفسه تقريبًا.

هدَّأت هذه المعلومة من استيائه بعض الشيء. استكمل حواره معها مستفهمًا:

- ماذا يعني هذا الكلام؟

لخصتْ له "كابستان" محتوى مقالة صحيفة "لابروفنس". ذكرتْ له أيضًا مدى تقدمهم فيما يخص عمليات البحث عن "لوحة الشارع". يمكنها الآن أن تشعر بنبض خلاياه العصبية عبر التليفون.

استطرد مدير الإدارة العامة للشرطة الجنائية كلامه:

- لكن أخبريني كيف توصلتم إلى هذه المعلومات؟ فمنطقة "بروفنس" بعيدة عن هنا.

- هذا بفضل "أورسيني" المغرم بتجميع المقالات الصحفية.

- نعم، هذا صحيح، لقد نسيتُ ذلك.

- نعمل الآن على تصميم صورة تقريبية للجاني، كنتُ أنتوي إرسالها للملازم "ديامان".

- كلا، لا تفعلي هذا، فالمعلومات التي توصلتم إليها لتصميم هذه الصورة غير قانونية، خاصة بعدما اخترقتم ذاك الموقع التجاري. وليس من الحكمة عرقلة المسارات التي اتخذتها الفرق الأخرى عن طريق إمدادهم بمعلومات حصلتم عليها بشكل غير قانوني. سنكتفي بفرقتك للعمل في هذا المسار.

- وفيما يخص موضوع الربط بين الجريمتين. هل نحتفظ بهذه المعلومة أم نبلغهم بها؟

- اسمعيني جيدًا.. تعمل كلٌ من فرقة البحث والتدخل وفرقة التحقيقات الجنائية في جوانب مختلفة من التحقيق وقد أحرزتا تقدمًا ملحوظًا. إذًا لا تشتتي جهود زملائكِ واعملي بمفردك على الأقل في البداية.

- سيدي الرئيس؟

- نعم سيدتي المفتشة.

- هل ستخبرني مباشرة أم ستتركني أخمن كالمرة الماضية؟

سمعتْ "كابستان" صوت ابتسامته عبر التليفون قبل أن يرد قائلًا:

- ليس هناك شيء يستحق التخمين يا "كابستان". كل ما في الأمر هو أنني أود تنويع سبل وأساليب التحقيق. في الوقت الراهن، يعتقد أفراد فرقة البحث والتدخل أنهم بمثابة العمود الفقري في التحقيق، ولا ينتوون تغيير موقفهم قيد أنملة. أما فرقة الحمقى خاصتك فيصرون على وضعي في موضع الاتهام.

- لقد قلتها يا سيدي، فرقة الحمقى..

- أجل، أجل، أعلم تمامًا ما تقصدينه. بالمناسبة، سينضم إلى فرقتكِ وافد جديد ابتداءً من الغد.

- وافد جديد؟!

- نعم، اسمه "دارتانيون"، خرج من مستشفى الأمراض العقلية نهاية الأسبوع الماضي. هو لكِ لا محالة. وأعتقد أن ملفه عندكِ منذ إنشاء الفرقة.

اسمه الحقيقي "هنري سان-لو"، وسمى نفسه "دارتانيون" فيما بعد لأنه يعتقد أنه مخلد لن يموت أبدًا، وأنه جاء من أزمنة بعيدة جدًا. ويزعم أنه كان في البداية فارسًا من فرسان الملك.

بعدما أنهت المكالمة مع مديرها، توجهت صوب المطبخ كي تعد لنفسها كوبًا من الشاي. وضعت الماء في الغلاية ثم لحقت بـ"لوبروتون" في الشرفة. كان هذا الأخير جالسًا على كرسي الاسترخاء ممددًا ساقيه الطوليتين أمامه، ويدخن سيجارة وهو يقرأ تقرير تشريح الجثة.

سألته "كابستان" قائلة:

- هل من جديد؟

- لا شيء يُذكر سوى تحديد وقت وقوع الجريمة والذي كان ما بين الساعة السادسة والسادسة والنصف. تذكرتُ شيئًا أخر؛ لقد تعرَّض المجني عليه للضرب المبرح باليد بالإضافة إلى تلقيه لعدة ضربات بمؤخرة مسدس من قبل شخص أو شخصين.

لفت انتباههما صوت غريب، فإذا بفأر "ميرلو" يتسلل نحو وعائه تحت سفح شجرة "اللورا". راقبه الشرطيان وهو يقضم بعض البذور. نفض "ميرلو" رماد سيجارته بالقرب من أقدام الفأر قبل أن يعيدها مرة ثانية بين شفتيه. ثم قال وهو يركز مع الفأر:

- كان من الممكن أن يصبح خنزيرًا.

ردت عليه "كابستان" بعدما ركزت لبضع ثوان مع الفأر وهو يقرض الحبوب:

- هذا صحيح. فهو يؤدي عمله جيدًا.

ثم غيرت الموضوع قائلة:

- لدينا اجتماع مهم غدًا في الصباح الباكر. فقد توصل "أورسيني" إلى جريمة قتل نُفِّذت بالطريقة نفسها التي قُتِلَ بها "روفوس". وهو الآن بصدد البحث عن معلومات إضافية وسنستعرض كل هذا في اجتماع غد. المقالة التي تتحدث عن هذه الجريمة موجودة في الصالون، يمكنك مطالعتها إن أردتَ.

ردَّ عليها "لوبروتون" وهو يلوح بتقرير تشريح الجثة قائلًا:

- نعم، بكل تأكيد. لكن بعدما أنتهي من هذا أولًا.

عادتْ إلى مكتبها وفي يدها كوب الشاي، ثم أخذت تبحث عن ملف هذا الفارس المغوار بين ملفات أعضاء الفرقة. عثرت عليه في النهاية، أضاءت مصباح المكتب قبل أن تنهمك في فحص هذا الملف.

كانت في قمة تركيزها لدرجة أنها لم تشعر بدخول "داكس" واقترابه منها. وكي يلفت انتباهها إليه، طرق على المكتب كما طرق من قبل على الباب. وقف واثقًا، كتفاه مستقيمان، أعطاها وثيقة كان يمسكها بكلتا يديه قائلًا:

- هذه هي الصورة التقريبية سيدتي المفتشة.

ردت عليه "كابستان" وعلى وجهها ابتسامة قائلة:

- شكرًا لك سيادة الملازم.

ما إن رأت الصورة حتى تلاشت ابتسامتها تمامًا. يظهر في الصورة رجل أسمر ذو لحية، يرتدي نظارة، متوسط الطول، لديه شعر أخضر

طويل في أماكن متفرقة من جسمه، يحمل درعًا وسيفًا. اكتفت "كابستان" بالإشارة إلى هذه الأشياء بسبابتها وهي تحدق في "داكس"، الذي قال لها وهو يشعر بالارتباك:

- أجل، كان هذا.. كلا، كان هذا فقط من أجل إضحاك "إيفرار". لقد صممت الصورة من خلال لعبة الفيديو الشهيرة "ورلد أوف ووركرافت".

- "ورلد أوف ووركرافت"؟

- بما أن الشرطة القضائية رفضت إعطاءنا برنامج تصميم الصور التقريبية للجناة، لذا استخدمتُ نظام تصميم الصور الرمزية الخاص بلعبة الفيديو "ورلد أوف ووركرافت". وهي عبارة عن لعبة خيالية بطولية عبر الإنترنت. لابد أنكِ تعرفينها؟ أليس كذلك؟ يوجد بها شخصيات خيالية من الجان والعفاريت والأقزام.. يمكننا من خلال هذه اللعبة أن نصمم صورًا شخصية فائقة الجودة! وبما أن البائع لم يعد يتذكر الملابس، تخيلتُ أنه سيكون من المضحك أن.. حسنًا، سأعيد تصميم الجسم مرة ثانية. لكني لا أعرف ما إذا كنت سأجد قميصًا وبنطلونًا على "ورلد أوف ووركرافت" أم لا..

- هل رفضوا فعلًا إعطاءنا البرنامج؟

- نعم..

شعرتْ "كابستان" بضيق داخلها بسبب هذا الشح من جانب الإدارة، معتبرة ذلك إهانة جديدة تضاف إلى قائمة الإهانات التي لا تنتهي. نظرت مرة أخرى إلى تفاصيل الصورة التي بين يديها. فبالرغم من أن فكرتها مستوحاة من لعبة فيديو، فقد كانت واقعية بشكل كبير. لقد فاجأها "داكس" فعلًا. قالت له:

- فكرة عبقرية منك سيادة الملازم. هذا رائع حقًا! أحسنت!

قبل أن يعود "داكس" إلى جهازه مرة ثانية والفخر يملأه، قالت له "كابستان":

- شيء أخير يا "داكس". هل محوت آثار اختراقك لموقع "persorigolo.com"؟

- كلا. أنتِ لم تطلبي مني فعل ذلك!

- هذا صحيح. عندك حق. أنا لم أبلغك بهذا فعلًا. إذًا، من المرة القادمة عليك أن تفعل ذلك بشكل تلقائي. خاصة فيما يتعلق بسجلات المكالمات التليفونية. عليك أن تخفي كل شيء أولًا بأول.

رد عليها "داكس" وهو يدون هذه الملحوظة في دفتر ملاحظاته قائلًا:

- حسنًا، دونت ذلك عندي.

كتب في دفتره "التخلص من آثار أي اختراق".

تدوين مثل هذه الملاحظات سيكون خير شاهد على إدانتهم في حال زيارة أحد المسؤولين لمقرهم يومًا ما.

وضعتْ "روزيير"، التي كانت ترتدي ثوب نوم بنفسجي ذا فرو، وعاء الماء على أرضية المطبخ الرخامية. كان الكلب مرتبكًا بعض الشيء من الاستيقاظ في هذه الساعة غير المعتادة. شمَّ الكلب الوعاء لعله يجد تفسيرًا ما، لكنه لم يتوصل إلى شيء. لذا رفع أذنيه وأمال رأسه وأخذ يحدق في "روزيير". وكأنه يريد أن يقول لها: "نحن لا نستيقظ عادة في الرابعة صباحًا". قالت له "روزيير":

- أنتظر اتصالًا من "أوليفيه"، ذلك الغبي الذي لا يأخذ في اعتباره فرق التوقيت..

"أوليفيه" هو ابن "روزيير" الحبيب الغالي. بعدما قضى معها سنوات من السعادة، كان البيت خلالها ممتلئًا بالحب والسرور، ذهب للعيش في أخر العالم، في "تاهيتي". كانت كل مكالمة بينهما بمثابة حدث مهم بالنسبة لـ"روزيير"، التي تستعد قبلها جيدًا كي تستمع بكل لحظة من الحديث معه. كانت "روزيير" قد تلقت رسالة قبلها بيوم عبر بريدها الإلكتروني أنه سيتصل بها عبر سكايب في اليوم التالي. كانت "روزيير" على أهبة الاستعداد؛ مشطت شعرها جيدًا، ووضعت قلمًا ومفكرة صغيرة بجوار جهاز الكمبيوتر الخاص بها. فقد اقتربت أعياد الميلاد، وعليها أن تدون مواعيد رحلات الطيران كي تشتري تذاكر وترسلها لابنها الحبيب.

ارتفع صوت رنين برنامج الاتصال، سجلت الدخول فورًا. طل عليها ابنها الوسيم عبر الشاشة، أضاءت ابتسامته الساحرة غرفة المعيشة كلها.

- مرحبًا يا أمي! هل أنتِ بخير؟

- نعم يا صغيري، وأنت؟

كان "أوليفيه" على ما يرام، يعمل كثيرًا، ويمارس رياضة التزلج الشراعي كل صباح. بدا عليه أنه بخير. سألته "روزيير":

- متى ستأتي إذًا؟

- أمي، في الحقيقة، الأمور معقدة بعض الشيء. كما تعرفين خلال هذا الفترة تحديدًا، الجميع يبحثون عن بدلاء لهم. وعيادة العلاج الطبيعي التي أعمل فيها ستظل مفتوحة عدا يومي 24 و25. لذا لن أستطيع أخذ إجازة خلال هذه الأيام وإلا سيبحثون عن شخص غيري. أتفهمينني يا أمي؟

طمأنته "روزيير" بصوت حازم قائلة:

- نعم، طبعًا، بكل تأكيد. لا تقلق يا صغيري. فالعمل شيء مقدس بلا شك.

بعد بضعة أحاديث جانبية، تلاشت المحادثة سريعًا. أغلقت "روزيير" الكمبيوتر والتفتت إلى كلبها. أمسكت به من قدميه الأماميتين وعانقته.

تساءلت -كما تفعل في كثير من الأحيان- هل من الأفضل ألا نعرف طعم السعادة من الأساس أم أن نعيشها كما ينبغي ثم تتلاشى؟

10

– سيداتي سادتي، نقدم لكم: أنا.

قالها بنبرة تحدٍ أكثر منها استعراض.

وإذ برجل قصير ونحيف يدخل عليهم. خلع قبعته، ووقف عند باب الصالون وأخذ يدور بنظراته بينهم. كانت ابتسامته ساخرة. ملَّس على شاربه قبل أن يميل قليلًا كي يحييهم.

– أتمنى لكم جميعًا يومًا سعيدًا، وأرجو منكم – ولن يتكرر هذا الرجاء – ألا تنادوني "دارتانيون". اسمي هو "سان-لو".

سكت الجميع من وقع المفاجأة. فلم يخبرهم أحد بشيء على الإطلاق. كانوا يستعدون للاجتماع، وإذا بهذا الحضور المفاجئ يقطع عليهم استعداداتهم.

كان هناك إجماع ضمني على عدم الترحيب به إلا أن الوافد الجديد قرر القيام بذلك بنفسه. دون أدنى حرج أو تردد، دخل "سان-لو" الصالون، ممسكًا قبعته بإحدى يديه خلف ظهره. اقترب من النافذة بسرعة لدرجة أنه لا يمكن تمييز خطواته. كان يتحرك بمرونة ودقة تمامًا كالزئبق. بدا كأنه يتهرب من حالة التأهب التي سيطرت على كل مَنْ في الصالون.

– لا يخفى عليكم طبعًا أن الملك "هنري" الرابع قد قُتل هنا.

كانت البناية تطل على شارع "الأبرياء" من ناحية الشمال، وعلى شارع "فيرونيري" من ناحية الجنوب، حيث النصب التذكاري الذي يخلد حادثة اغتيال الملك التي نفذها المتعصب "فرانسوا رافايياك".

- تحديدًا هنا بالأسفل.

بشكل تلقائي، توجهت أنظار كلٍ من "داكس" و"لوويتز" إلى الأرض تحتهما كأنهما يبحثان عن العربة التي كانت يستقلها الملك.

ثم استطرد "سان-لو" كلامه وهو يهز رأسه ويبدو نادمًا حقًا:

- كنت ما أزال شابًا صغيرًا عندما حدث ذلك. ولم يكن بوسعي فعل أي شيء على الإطلاق.

حدَّثت "كابستان" نفسها قائلة:

- تمام، يبدو أن الإقامة في مستشفى الأمراض العقلية لم تؤت ثمارها المتوقعة.

استدار "سان-لو" كأنه سمعها، ثم قال لها:

- أعلم جيدًا فيما تفكرين. لا بد أنكِ تقولين لنفسكِ..

توقف "سان-لو" ثم رفع يده كأنه يكتب بريشة في الهواء وهو يقول:

- .. لم تفلح إقامته في المستشفى.

بدا عليه بعض التعب. أنزل يده قبل أن يواصل كلامه:

- كلا، لأنني في الحقيقة لستُ في حاجة إلى علاج. أعرف مَنْ أكون ولن أسمح لأحد أن يسلبني هويتي.

ردتْ عليه "كابستان" قائلة:

- نعم، نعم سيادة النقيب. ليس هناك أي مشكلة على الإطلاق.

قاطعها "سان-لو" كي يستكمل كلامه الذي ما زال في بدايته:

- دعيني أنهي كلامي من فضلك. تحملتُ كل هذه العلاجات دون تمرد من أجل الحفاظ على وظيفتي وراتبي. لكم أن تتخيلوا أن الإقامة في المستشفى قد علمتني الصمت كي أنعم بالعيش في سلام. لكن هيهات، فقد علمتني السنوات الماضية أيضًا أن الصمت لا طائل منه، علينا الحديث من حين لآخر عن تلك الأمور المسكوت عنها. وعليه، سأعيش حياتي كما يحلو لي، ولن تغير آراؤكم السقيمة شيئًا من قناعاتي وسلوكي. تخلصوا مني إذًا، استفزوني إن استطعتم إلى ذلك سبيلًا، لن أبالي بشيء من هذا كله، فقد التحقت بثلاثين فرقة قبلكم.

فكرت "كابستان" في كل تلك الفلسفات التي تزعم أن التقدم في العمر يمنحنا مزيدًا من الحكمة والسلام الداخلي. لا بد أنها انتكست جميعًا أمام هذا الرجل الذي تملؤه الريبة. وها هي تناسخات بوذا الألف لم تمنحنا في الأخير سوى هذا الشرير. استمر العرض الكوميدي بما فيه الكفاية رغم أن هناك قضية مهمة هي أولى باهتمام الفريق. ربما يتنازل "سان-لو" عن دوره في هذا العرض ويمنحهم الفرصة للعمل. بادرته "كابستان" قائلة:

- تمام، تمام. شكرًا لك على هذا العرض الوافي ومرحبًا بك في فريقنا سيادة النقيب. هناك تحقيق ينتظرنا. هل ستشاركنا فيه؟

فوجئ "سان-لو" قليلًا بهذه النهاية غير المتوقعة للمعركة. كان يظن أن العراك سيحتدم بينه وبينهم. أومأ برأسه في النهاية قائلًا:

- نعم، نعم. إن كان بإمكاني المساعدة بالتأكيد.

- لديك عقل، إذًا ستستطيع.

وضع "لوبروتون" السبورة بالقرب من المدفأة، في الجهة المقابلة لشجرة عيد الميلاد. أصبحت الشجرة الآن مشرقة متلألئة؛ حيث أحضر لها كل عضو من أعضاء الفريق قطعة ديكور شخصية. لم تكن الأشياء التي

أحضروها في غاية الأناقة ولم يشتروها من محلات كبرى، لكنها وفت بالغرض. وضعتْ "كابستان" صورًا للضحيتين ("سيرج روفوس" و"جاك مير") داخل إطار المرآة، هذا بالإضافة إلى الصورة التقريبية التي رسمها "داكس". بعدما جلس كلٌ منهم في مكانه، بدأت "كابستان":

– من المؤكد أن المتهم بقتل هاتين الضحيتين هو الشخص نفسه.

قالت ذلك وهي تشير بإصبعها إلى صور المجني عليهم وكذلك الصورة التقريبية للجاني. ثم أردفت قائلة:

– لا تهتموا بهذا الشعر الأخضر، ما يهمنا هو الجزء العلوي من الصورة. لا بد أن ثمة علاقة بين هؤلاء الثلاثة وعلينا أن نصل إليها. لكن قبل هذا كله، نود أن نعرف أخر الأخبار عن "روفوس" يا "ميرلو"؟

كان النقيب "ميرلو" –بحكم شبكة علاقاته القوية– مكلفًا بالبحث عن الشائعات والحياة الليلية والمعارف غير العادية الخاصة بالمفتش "روفوس". أجاب "ميرلو" على "كابستان":

– ككثير من زملائه في فرقة مكافحة الجريمة، كان "روفوس" محاطًا بمجموعة لا بأس بها من المخبرين. كان أغلبهم إما من القوادين والمحتالين أو من اللصوص والقتلة التائبين. وهذه ليست معلومة جديدة، لكنه لم يذكر أحدًا من هؤلاء المخبرين في دفتر ملاحظاته. على ما يبدو أنه قد قطع علاقته بهذا العالم تمامًا بعد تقاعده مؤخرًا. لم نلحظ أي شيء غريب في حياته اليومية كرجل باريسي. يتبقى شيء أخير مهم: وهو أنني لم أتطرق بعد إلى مهامه السابقة في مدينة "ليون" وبلدة "بياريتز".. يبدو أنني سأضطر إلى البحث عن شبكات معارف أخرى لتساعدنا في هذا الصدد.

ابتسمت له "كابستان" وشكرته، ثم طلبت منه أن يكمل كلامه:

- للأسف تقرير تشريح الجثة لم يأت بجديد، ما جاء فيه لا يعدو كونه تأكيدًا للتقارير الأولية: حيث تعرض "روفوس" للضرب لعدة ساعات وهو مقيد اليدين مما ترك أثرًا في معصميه. لا يوجد أي أثر لكمامة على فمه، يبدو أنهم كانوا يحاولون إجباره على الحديث، لكن الحديث عن ماذا؟ هذا ما لم نعرفه بعد. ثم نُقل إلى الشارع، حيث تلقى رصاصة عيار 9 ملم في منتصف جبهته. هذا بالإضافة إلى وجود كاتم للصوت. ووفقًا لما جاء في التقرير فإن الوفاة كانت في السادسة صباحًا.

علقت "كابستان" قائلة:

- لا بد أن الجاني قد بذل مجهودًا كبيرًا كي ينقل رجلًا سمينًا مثل "روفوس" إلى المكان الذي قتله فيه. ما الهدف من وراء ذلك؟ وبعدما قتله وضع الجثة تحت لوحة الشارع ليزيد المشهد ترويعًا. هل كان هذا لمجرد المتعة الشخصية أم أنه أراد إيصال رسالة ما إلى أشخاص آخرين؟ هل يريد تخويف أحد بعينه؟ هل هناك ضحايا آخرون محتملون مثلًا؟ كل هذا ممكن ومحتمل.

ثم استأنفت كلامها وهي تشير بقلمها إلى صورة الضحية الثانية:

- كل هذا يجعلنا ننتقل إلى الضحية الأخرى: "جاك مير". هل لاحظتم أنه قد قُتِل قبل "روفوس"؟

أجابها "أورسيني" على الفور:

- نعم. كان قبله بيومين. الزملاء في "أفينيون" هم المكلفون بالتحقيق، وبما أنه لا ينبغي أن يعرف أحد بالعلاقة بين القضيتين، فلم أستطع التواصل معهم للحصول على معلومات إضافية. بيد أني أعرف مراسل صحيفة "لابروفنس" في هذه المنطقة جيدًا، فهو الذي كتب المقالة التي تتحدث عن مقتل "جاك مير". مشهد القتل يكاد يكون واحدًا في الحالتين.

هناك آثار لكمات على وجه "جاك مير" لكنها أقل من لكمات "روفوس"، على ما يبدو أنه أخبرهم بما يريدون بسرعة. بعدها تلقى رصاصة في جبهته في وقت متأخر من ليلة الخامس والعشرين من نوفمبر. كان ذلك بعد ليلة وحدة من ظهور اسمه على النصب التذكاري للموتى.

علقت "روزيير":

- ألم يخف هذا الرجل؟! لو كنت مكانه، كنت سأنطلق بسرعة الصاروخ لأختفي بعيدًا بمجرد أن أرى أسمى على نصب الموتى.

- كلامك صحيح فعلًا، لكنه كان مرتبطًا بالمدينة جدًا. وعلى ما يبدو أنه كان لديه أشياء يجب أن يفعلها قبل أن يفكر في الهرب.

سألته "روزيير" وهي تعقد ذراعيها حول صدرها لدرجة أن الميداليات التي كانت تزين صدرها قد تحركت من مكانها:

- أخبرني كيف تبدو هذه المدينة؟

رفع كلب "روزيير" الذي كان باسطًا ذراعيه أمامه، أذنيه ثم خفضها سريعًا. يبدو أنها كانت إشارة خاطئة من قبل "بيلو".

- "إيل سور لا سورج" هي مدينة صغيرة جدًا تقع شرق "أفينيون"، في منطقة "لوبيرون". يوجد بها عدد كبير من متاجر التحف أكثر من المخابز، ويزداد عدد زورها ابتداءً من شهر أبريل. عادة ما يقوم السياح بجولة في مجموعة من القرى الساحرة، والتي يمرون خلالها بـبعض المناطق مثل: "إيل"، و"فونتين -دو- فوكلوز"، و"جورد" و"روسيون".. باختصار، مدينة صغيرة لكنها سياحية بامتياز. يعتبر "جاك مير" الرجل الخيري الأول في المدينة. كان لديه واحدة من كبرى الشركات في المنطقة، والتي تعمل في مجال الأثاث الفاخر، والمنتجات الخشبية اليدوية عالية

الجودة. كان يقوم بدعم ورعاية معظم الأندية الرياضية والجمعيات الخيرية المحلية والحضانات والمكتبات. رجل لا غبار عليه، ليس لديه أي مشاكل مع أحد، يحظى بتقدير واحترام الجميع رغم أنه ليس من السكان الأصليين للمدينة. مما كان يثير بداخله أحيانًا -كما هو الحال بالنسبة لساكن المدينة عندما يقطن في الأقاليم- شيئًا من الاستعلاء. استقر "جاك" في هذه المدينة منذ ما يقرب من عشرين عامًا.

علقت "روزيير" قائلة:

- فعلًا، أحسن إلى الناسِ تَستعبد قلوبهم. لكن كيف كان هذا الرجل؟ صفه لنا.

- كان رجلًا وسيمًا في السبعين من عمره، متزوج منذ أربعين عامًا من امرأة تُدعى "إيفون". وهي الآن نزيلة في إحدى دور رعاية المسنين اسمها "ليه لافاند" بسبب إصابتها بآلزهايمر. لديهما طفلان، يبلغان من العمر 42 و47 عامًا، تعيش الابنة في شمال إنجلترا، أما الابن فلديه بيت على بعد أربعمائة متر من منزل والديه.

استفسر "لوبروتون":

- كيف كانت الكتابة على نُصب الموتى؟ أكانت منقوشة أم مجرد كتابة عادية بفرشاة رسم؟

انحنى "أورسيني" نحو منضدة القهوة حيث كان هناك كيس ورقي مليئ باليوسفي، كان "داكس" قد اشتراه لأفراد الفرقة. فاحت الرائحة الحمضية لليوسفي بعدما تناول "داكس" الثمرة الثالثة. ومن ثمَّ، سيطرت على الاجتماع رائحة هادئة لطيفة لا علاقة لها بأجواء الجريمة والقتل.

ردَّ عليه "داكس" في النهاية:

- الاثنين معًا. أخبرني الحرفي الذي استشرته في هذا الأمر أن الأدوات المستخدمة في النقش هي أدوات بدائية جدًا يمتلكها أي شخص هاو. ويتضح ذلك أيضًا من طريقة الطلاء العشوائية.

- لا بد أنه قد استغرق وقتًا طويلًا في النقش والطلاء، إذًا يمكننا الاستعانة بكاميرات المراقبة الموجودة في المنطقة؟

ردَّ "أورسيني" وهو يزيل القشرة الرقيقة عن ثمرة اليوسفي قائلًا:

- كلا، لا يمكنني فعل ذلك دون الحصول على إذن من الشرطة.

استحسن "لوبروتون" كلام "أورسيني"، وأمسك هو الآخر بثمرة يوسفي ذات لون برتقالي ساطع ثم قال:

- أوافقك الرأي طبعًا. نحن هكذا أمام قاتل يريد إما تخويف أشخاص آخرين أو أن يجد متعة خاصة سادية من خلال هذه الممارسات كما ذكرتم منذ قليل.

أكدت "كابستان" على وجهة نظر هذا الأخير:

- هو كذلك فعلًا. أعتقد أنه مختل عقليًا، لكنني لاحظتُ أنه لا يتبع الطقوس نفسها في كل مرة. فقد غيَّر مثلًا طريقة إعلانه عن الضحية هذه المرة. علينا أن نقارن بين الضحايا وأن نحاول توقع قيامه بجرائم أخرى مماثلة. وأنت يا "داكس" عليك أن تصل إلى سجلات المكالمات التليفونية الخاصة بـ"جاك مير" وتقارنها بسجلات "روفوس"، خاصة المكالمات الأخيرة لكلٍ منهما. ربما كانا على اتصال ببعضهما بعضًا أو كانا على اتصال بالأشخاص أنفسهم.

ظل "داكس" يحدق في الفراغ قليلًا، ثم استفاق وأخرج دفتر ملاحظاته - الذي لا يفارقه أبدًا - من الجيب الداخلي لسترته الجلدية كي يدون التعليمات بكل دقة.

استفسر "لوبروتون" وهو ينزل ساقه من على ساقه الأخرى:

- وهل تمت عملية الدفن؟

هز "أورسيني" رأسه بلا، ثم ردَّ عليه وهو منهمكٌ في التهام ما تبقى معه من ثمرة اليوسفي:

- تمَّ تأجيل الدفن ليوم الجمعة بسبب تشريح الجثة.

سألته "كابستان":

- وهل تظن يا سيادة النقيب أن حضور الجنازة يستحق عناء السفر؟

كانت "كابستان تعرف الإجابة مسبقًا لكنها أرادت أن تتركها لـ"أورسيني" باعتباره أول من توصل لهذه الجريمة وتولى أمر التحقيق فيها.

- نعم، بكل تأكيد.

وزعت "كابستان" المهام على فريقها. كان كلٌ من "أورسيني" و"روزيير" وكلبها على أهبة الاستعداد للتحرك فورًا. ومن المؤكد أن "لوبروتون" سيلحق بهم هو الآخر. كانت المهام المطلوب إنجازها هي: تجميع معلومات أكثر عن شركة "جاك مير"، وأصدقائه، وعرض صورة المفتش "روفوس" وكذلك الصورة التقريبية للجاني على معارف المجني عليه وأقاربه وكل من كان يتردد عليه. لكن ما زالت عمليات البحث والتحقيق تحتاج إلى عنصرين آخرين.

قالت "كابستان":

- نريد متطوعين آخرين.

هنا طلَّ الفأر برأسه من كم "ميرلو" وقفز على ركبة "إيفرار".

قضي الأمر. وقع الاختيار عليهما بفعل الفأر.

11

كان الجنوب قذرًا وباردًا وبعيدًا. جلست "روزيير" بارتياح على كرسي من الجلد الفاخر في سيارة "لكزس" فاخرة، يقودها "لوبروتون". أثناء سيرهما على طريق "بونتيه"، راقبت "روزيير" تلاشي جمال وسحر الطبيعة شيئًا فشيئا كلما اقتربوا من منطقة "بروفنس" عبر نافذة السيارة المغطاة بقطرات المطر. دفعها فضولها وعدم صبرها -الذي تندم عليه الآن- إلى السفر ليلًا. كانت "روزيير" مصدومة مما تراه، فقد كانت تتوقع مشهدًا ساحرًا: حيث السماء الفيروزية التي تغطى الأسطح الفخارية ذات اللون الأحمر القاتم، وأشعة الشمس التي تغمر المكان بما فيه، مع صوت حشرة "الزيز" في الخلفية الذي يزداد مع حرارة الشمس. لكنَّ شيئًا من ذلك لم يكن.

في فصل الشتاء، تُجَسِّد منطقة "بروفنس" المعنى الحرفي للقبح المثير للشفقة. لم تكن واجهات البيوت المطلية بالجير مصممة لمقاومة الأمطار الغزيرة، بل كانت مليئة بالغبار الذي يمتص مياه الأمطار، من ثَمَّ يتحول إلى بقع شبه رمادية على أهبه الاستعداد للسقوط كالأنقاض. يُعتبر الصيف هو الفصل المفضل في الريف حيث الطقس المعتدل والتلال الخضراء المتلألئة، لكن مع حلول شهر ديسمبر يتبدل الحال تمامًا حيث

المناطق التجارية المتزايدة بشكل عشوائي، والحقول المغطاة بالمشمعات البلاستيكية، والمخازن المهجورة، ومتاجر التخفيضات الكبيرة الواقعة في مناطق منعزلة لكنها تربط المواقع السياحية ببعضها. على طول الطريق ذي الأربع حارات، كانت الأشجار عارية منحنية تغطيها الأكياس البلاستيكية التي استقرت على أغصانها بفعل الرياح الشمالية الشديدة. كانت هذه الأكياس البيضاء -المثقوبة من كل مكان- أشبه بأشلاء الأشباح. وعلى ما يبدو، ستظل عالقة هنا إلى الأبد. إن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على الإهمال الجماعي. شعرت "روزيير" بالغضب من هذا المشهد المؤسف، التفتت نحو "لوبروتون" وقالت:

- أخبرني إذا شعرت برغبة في النوم، فجمال المنظر لا يشجع على البقاء مستيقظًا.

- لا تقلقي، فلم أعد أنام أثناء القيادة. هذا بالإضافة إلى أننا على وشك الوصول.

- حقًا! أتمنى أن يكون الفندق مريحًا وإلا سأعود إلى باريس فورًا. أظن أنه لا بد أن أقضي إجازة في مدينة "فينسيا" الإيطالية أو مدينة "أكابولكو" المكسيكية قبل التحقيق في جريمة قتل أخرى، وإلا فلن أستطيع الاستمرار في هذا العمل.

- ماذا كنتِ تنتظرين؟ هذا أمر طبيعي لأننا ما زلنا في شهر ديسمبر، ولن يكون الشهر كله مخصصًا لتبادل بطاقات المعايدة بكل تأكيد.

- فعلًا؟! لم أكن أعرف ذلك! ليس هناك أي مشكلة على الإطلاق!

تنهد الرائد "لوبروتون" وهو يبتسم، غير أنه لم يكن مقتنعًا بما قالته "روزيير":

- نحن هنا في أجمل منطقة في العالم، تجمع بين البرية والجمال في الوقت نفسه. أعلم أنها تكون قبيحة خلال شهرين من كل عام. رغم ذلك فإن هذا القبح قد يروق لبعض الناس. ولا تنسي أننا على طريق عمومي. فمثلًا إذا حكمتِ على باريس من خلال طريقها الدائري فلن تكون أفضل حالًا من "بروفنس".

ثم اختتم كلامه وهو يبتسم قائلًا:

- دعي "بروفنس" وشأنها يا "إيفا". فأنا أحبها كما هي.

وجهت "روزيير" كلامها لكلبها قائلة:

- حسنًا. ألا تتفق معه أنت الآخر؟!

لم يتأخر "بيلو" في الرد على صاحبته العزيزة التي يعتني بكل شيء يخصها ويدافع عنه.

ردَّ عليها "لوبروتون" وهو يصر على رأيه:

- بلى، بلى، بلى! سأثبت لكِ كل ما قلته عندما نصل ونحتسي فنجانين من القهوة في مكان هادئ جميل.

ثم استطرد كلامه وهو يمد يده بقطعة من البسكويت نحو "بيلو"، الذي جلس فورًا على الغطاء الخاص به بعدما حصل على ما كان يتمنى.

همهمت "روزيير" بعدما شعرت أنها بالغت في انتقادها قائلة:

- حسنًا! حسنًا! ليس لدينا سوى هذا الموضوع أم ماذا؟ والآن جاء دوري سيدي السائق. أخبرني متى ستكون الجنازة؟

- في الحادية عشرة. لقد وصل "أورسيني" بالقطار أمس، أما "إيفرار" و"ميرلو" فقد استقلا قطار هذا الصباح.

- أعلم ذلك، فقد أرسل لي "أورسيني" رسالة نصية. لا بد أنه حاول بشكل أو آخر الاختلاط مع متعهدي دفن الموتى كي يحصل على بعض المعلومات. أعتقد أن هيئته ستساعده على فعل ذلك دون أدنى مشكلة. ليس عليه سوى ارتداء الكرافتة الخاصة بمتعهدي دفن الموتى كي يتخفى ويتسلل بين صفوفهم دون أن يلحظه أحد. وأنا على يقين من أنه لن يسلم حتى على الشخص الذي سيسلمه مفاتيح سيارة نقل الموتى. رغم ذلك، أرى أنه أنسب شخص لهذه المهمة.

وكعادته دائمًا، استقبل "لوبروتون" كلام "روزيير" الجاف دون أي تعقيب أو تعليق. حينها سألتْ "روزيير" نفسها: "لماذا لا يرد عليَّ؟ هل يسمعني فقط؟ يا له من رجل ذي قلب طيب!". على إثر ذلك، شعرتْ ببعض الاستياء والسعادة في الوقت نفسه، ذلك لأنها استطاعت أن تفحمه بكلماتها الجافة القاسية دون أي رد أو اعتراض منه. كانت أذناه بمثابة متنفس لها، فقد استباحتهما دونما أي اعتراض منه. كانت على راحتها تمامًا، فليس عليها سوى الكلام، الكلام فقط. يا له من زميل رائع! بل يا له من صديق مخلص وفي! لم يفتها بالطبع الحديث عن الوافد الجديد "دارتانيون" واغتيابه:

- أظن أنه مريب بعض الشيء، هذا الوافد الجديد. أليس كذلك؟

في هذه المرة، أبدى " لوبروتون" موافقته رافعًا أحد حاجبيه. فمن الصعب إنكار أن "دارتانيون" شخص غريب الأطوار. ثم استطردت كلامها:

- كلا. هل يُعقل أن يضم السيد "بورون" إلينا كل الشرطيين المعاتيه من منطقة "إيل دو فرنس"؟ أعلم أننا منبوذون من قبل الإدارة العامة، لكننا ما زلنا أَكْفَاء إلى حد ما. فأنا ما زلتُ كاتبة مشهورة، و"كابستان" كانت بطلة سابقة، وأنتَ كنت قائدًا ناجحًا في فرقتك، و"أورسيني"

شخص مثقف وواسع الاطلاع لكنه ممل، أما "إيفرار" فبالرغم من مشكلة إدمانها للقمار فهي طبيعية إلى حد كبير. وحتى "ميرلو" ذلك المزعج مدمن الكحول، يؤدي عمله كما ينبغي. أما "داكس" و"لوويتز" فهما يشبهان أبطال مسلسل الرسوم المتحركة "غزو الأرانب". ومع ذلك ما زال بإمكانهما مفاجأتنا من حين لآخر. أما هذا الوافد الجديد، فيدَّعي أنه وُلِدَ عام 1593! ما زال يعيش في القرون الأولى!

– لكن بخلاف ذلك، تبدو طريقة تفكيره متماسكة إلى حد ما.

– نعم، بخلاف ذلك كما تقول.. هذا طبعًا في حالة إذا تجاهلنا حقيقة أنه يتحدث عن "ريشيليو" وكأنه التقى به أمس. وإذا تجاهلنا أيضًا ما حدث منه ليلة أمس عندما ألقى علينا قفازه لمجرد أنه شعر أننا نسخر منه. بخلاف ذلك كله يمكن أن تكون طريقة تفكيره متماسكة فعلًا..

هذه المرة، لم يستطع "لوبروتون" أن يمنع نفسه من الضحك. ليلة أمس، أبدى "داكس" -كعادته- بعض الملاحظات والتي كان من بينها أن "سان-لو" قصير القامة صغير الحجم مقارنة بفرسان الملك. هنا شعر "سان-لو" بالإهانة، وأخذ يُذَكِّرهم كيف كانت أطوال الرجال في ذلك الزمان، والتي يبدو أن السيد "داكس" يجهلها ذلك لأنه لم يزر قرى العصور الوسطى. هذا بالإضافة إلى أنه يستقي معرفته عن هذه الحقبة الزمنية من خلال أفلام ديزني، غير موثقة المصدر. ناهيك عن أن كل عظماء التاريخ أثبتوا بما لا يدع مجالًا للشك أن الطول والشكل لا علاقة لهما بقيمة الإنسان. عندئذٍ ألقى قفازه في وجه "داكس" – الذي اندهش للغاية من فعله هذا – وطلب منه أن يصلحه له على وجه السرعة. أخذ "داكس" يقلب القفاز ثم ردَّ عليه بجدية شديدة:

- أعتقد أن هذا القفاز لا يحتاج إلى إصلاح، فهو على ما يرام. لا بد أنك تقصد القفاز الآخر. أعطني إياه وسأتركه لأمي -إن أردت- فهي تحيك بشكل جيد جدًا.

أدت بساطة "داكس" في التعامل مع الموقف إلى نزع فتيل عدوانية "سان-لو"، الذي لم يجد الرد المناسب. لذلك استعاد قفازه مرة ثانية وهو يتمتم:

- كلا، كلا. أعتقد أنه جيد هكذا.

ظلت "روزيير" في الشرفة تضحك على هذا الموقف لمدة ساعتين.

بعد رحلة طويلة، ظهرت أمامهم أخيرًا لافتة مكتوب عليها"إيل سور لا سورج".

بعدما وضعا أمتعتهما في الفندق، الذي كان رائعًا حقًا. خرج كلٌ من "روزيير" و"لوبروتون" كي يتناولا قهوتهما على إحدى الطاولات المطلة على النهر. توقف المطر وعادت الشمس من جديد. بدأت الألوان الهادئة المريحة في الظهور شيئًا فشيئًا؛ واجهات البيوت الصفراء، والأسقف البرتقالية، والبلاط الأحمر المصنوع من الصلصال. كل هذه الأشياء استعادت ألوانها البراقة تحت نور الشمس الصافي. تحت أقدامهما، تتدفق مياه نهر "لا سورج" فوق الطحالب الخضراء. اعترفت "روزيير" في النهاية -على مضض- أن كل هذه القنوات المائية التي تعبر المدينة، وكل هذه السواقي المعطلة المهجورة، وهذه الكباري الصغيرة، والتعريشات الجميلة، والساحات المظللة، والأحجار البيضاء، تستحق مزيدًا من العناية والاهتمام. بعدما ألقى "لوبروتون" نظرة على كتيب معلومات الفندق، أخبر "روزيير" أن المدينة لها اسم آخر وهو "فينسيا كومتادين"، غير أنها قابلت ذلك بسخرية كالعادة.

ظهرت رسالة على شاشة تليفونها "الآيفون"، واردة من "أورسيني":

"ستبدأ المراسم في غضون نصف ساعة. موعدنا أمام الكنيسة، في وسط القرية".

صاحت النقيب "روزيير" وهي تسكب ما تبقى من قهوتها في فمها قائلة:

- توقف عن المزاح، وهيا بنا بسرعة. فقد بدأت مراسم الدفن، نود أن نعرف ما إذا كان "ملك هذه القرية" محبوبًا أم لا.

تحت السماء الصافية الزرقاء التي أنصفت أخيرًا هذه المنطقة الرائعة، كانت ساحة الكنيسة تعج بأصوات خافتة يسودها الاحترام. حتى وإن تعالت أحيانًا، فيكون ذلك عن غير قصد وسرعان ما تعود إلى طبيعتها الخافتة الهادئة. كان هناك شيء من الأناقة على مستوى الملبس غير أن الألوان الداكنة لم تتناغم مع هذا الطقس الرائع، على ما يبدو أنه كان عليهم البحث في أعماق خزانات الملابس كي يجدوا مثل هذه الألوان. كان الرجال يرتدون بذلات ذات أكمام قصيرة، رغم ذلك كانوا يشدون هذه الأكمام في محاولة منهم لغلق أزرارها. أما النساء فكنَّ يرتدين ملابسهن المعتادة وفوقها وشاح أسود. هناك مجموعة من الشباب كانوا يرتدون سراويل سوداء وأحذية جديدة كأنهم نُدُل يعملون في أحد المقاهي. كان من بينهم شاب بدين لم يبلغ بعدُ العشرين ربيعًا، بدا عليه أنه غير مرتاح مع رابطة العنق التي كادت تخنقه حقًا. لا يجب على مثل هذا أن يأتي إلى العزاء. احمرت عيناه وهو يستنشق قدر الإمكان في محاولة منه لكبح حزنه الحقيقي.

همس "أورسيني" إلى زملائه قائلًا:

- هذا أحد المتدربين في مجال صناعة الأثاث والصناديق.

علقت "روزيير" قائلة:

- يبدو أنه متأثر جدًا..

- نعم، هذا صحيح. فقد كان أول رئيس له في العمل، هذا بالإضافة إلى أنه كان يحبه كثيرًا. لذلك فقد صنع له النعش بنفسه، بمساعدة بعض الحرفيين الذين اختاروا أجود وأجمل ألواح خشب البلوط. ظلوا لثلاثة أيام يزينون النعش ويزخرفونه. وهم من سيحملونه إلى المذبح قبل أن يُنقل إلى مثواه الأخير.

هنا توقف "أورسيني" قليلًا، فقد سمع صوت إطارات سيارة قادمة ببطء نحو الميدان، ثم أردف قائلًا:

- ها قد وصلت عربة الموتى.

تحركت الأرملة المنزعجة قليلًا واستدعت اثنتين من صديقاتها كي تشهدا على "جاك"، ثم قالت:

- أين هو "جاك"؟ لا بد أنه ما زال يتسكع في المنزل.

لم تعرف صديقاتها المصدومات كيف يتصرفن أو كيف يذكِّرن هذا المرأة التي أنهك ألزهايمر عقلها، أن زوجها قد جاء في الموعد دون أن يتأخر، وها هو ذا يخرج لتوه من هذه الشاحنة السوداء.

استكملت العجوز عتابها:

- كل هذا لأجله! وها هم كل أصدقائه قد وصلوا قبله.. من المخزي حقًا ألا يأبه المرء بما يفعله الآخرون من أجله.

وقف أولاده وأزواجهم على مسافة بعيدة، فلم يعودوا قادرين على تذكير أمهم كل دقيقة بوفاة أبيهم. في نهاية المطاف، تركوا ألزهايمر يتولى الأمر متخفين خلف أحزانهم وآلامهم.

يمر النعش الذي يحمله موظفو مصنع الأثاث عبر الأبواب العالية، حيث يتناغم المشهد مع قرع الأجراس. مازالت هذه الأرملة توبخ زوجها

وهي تسير خلف الموكب الذي دخل الكنيسة. أبدى "لوبروتون" إعجابه بهذه الكنسية قائلًا:

- هذه الكنيسة هي خير مثال على الطراز "الباروك" المثير للإعجاب المتميز بكثرة زخارفه كتلك الملائكة الصغيرة التي تملأ أركان المكان.

كانت الكنيسة في غاية الجمال والإشراق، تُشع سرورًا لا يتماشى تمامًا مع الموقف. كان الحزن مخيمًا على جميع الحاضرين، عدا هؤلاء الشرطيين الثلاثة، الذين جابوا المكان بأعينهم بحثًا عن معلومة أو تفصيلة أو شخص ما قد يفيدهم في مسار التحقيق. كان "أورسيني" ملازمًا لصديقه المراسل الصحفي، الذي كان نحيفًا جدًا. كان يرتدي سترة مراسل حربي، ويعلو وجهه ابتسامة عريضة تكشف عن أسنانه التي تشبه أسنان الممثل الكوميدي "فرناندل". وقد زوَّد هذا المراسل النقيب "أورسيني" بكثير من المعلومات التي نقلها بدوره إلى زملائه:

- جميع الحاضرين في الكنيسة من المنطقة. ليس بينهم غريب واحد.

علَّق "لوبروتون" قائلًا:

- هذا غريب حقًا، فـ"جاك مير" لم يأتِ إلى هنا إلا منذ عشرين عامًا فقط. ألم يكن لديه أصدقاء من ذي قبل؟ أليس لديه أسرة أخرى؟

- وبديهيًا، فهم ليسوا من بين هؤلاء الحضور.

علقت "روزيير" هي الأخرى قائلة:

- الأمر يكتنفه شيء من الغموض، فالإنسان لا يأتي إلى الحياة هكذا، ثم فجأة يجد نفسه قد بلغ من العمر خمسين عامًا. لا بد أنه تعمد القطيعة بين ماضيه وحاضره. أظن أنه غَيَّرَ هويته. حتى أرملته هذه، أليس لديها أسرة هي الأخرى؟

- بلى، لديها أخ أكبر منها، لديه ابنتان. لكنهم يعيشون في ولاية أريزونا، ومن الصعب السفر لمسافات بعيدة كهذه في مثل هذه السن.

اصطدمت ركبتا "روزيير" بالكرسي الذي أمامها عندما قررت النهوض. كانت المسافة بين صفوف الكراسي ضيقة جدًا. لحسن حظها أنها تركت "بيلو" في الفندق. كانت تفكر في خطة ما.

كانت المراسم على وشك الانتهاء. بعد أن وضعوا النعش في المنتصف، كان بإمكان "لوبروتون" سماع كل الأسئلة غير المنطقية التي ما زالت تطرحها الأرملة المصابة بألزهايمر، وكذلك نحيب الأطفال وبعض الموظفين. أما الشاب البدين فكان في الصف الأول مع رفاقه، واقفًا يشبك يديه وهو يحدق في النعش، الذي يحوي صاحب الفضل عليه الذي اعتنى به وعلَّمه كل شيء بأمانة وإخلاص. بعدما انتهى القس من إلقاء الموعظة، غمر المنضحة في الماء المقدس ثم رفع ذراعه عاليًا كي يرش الماء على شكل صليب على النعش المصنوع من شجر البلوط اللامع. وما إن سقطت القطرات الأولى حتى أسرع الشاب -مدفوعًا بضميره المهني الذي لا يمكن كبته- نحو النعش كي يمسح الماء بالمنديل قبل أن يلطخ الخشب. وبمجرد أن انتهى من مسح آخر قطرة ماء على النعش استقام ظهره، ثم فُوجئ بنظرة استغراب من القس الذي توقف عن رش الماء المقدس الخارج من المنضحة. هنا احمر وجه الشاب خجلًا، ثم عاد إلى مكانه وهو يتمتم بكلمات غير مسموعة، ويهرب بنظراته بعيدًا في محاولة منه لتجاوز الموقف. حاول كل من كان في الكنيسة أن يكتموا ضحكاتهم قدر الإمكان.

في الوقت الذي كانت تحاول فيه "روزيير" جاهدة منع نفسها من الضحك، أخذ كلٌ من "أورسيني" و"لوبروتون" يجوبان بأعينهما في المكان

بحثًا بين الوجوه عن شخص قد يساعدهما. في الصف قبل الأخير على اليسار، كان هناك رجل نحيف يرتدي بذلة رمادية، بدا عليه وكأنه لم ير المشهد. عيناه حائرتان كأنه يتفحص القاعة هو الآخر. وبشكل عفوي، أخرج قطعة شوكولاتة ماركة "كواليتي ستريت" ذات غلاف أخضر لامع ثم قام بسحب طرفيها كي يخرج ما بها من حلوى، ثم التهمها. في هذه اللحظة التقت نظراته بنظرات "لوبروتون"، قبل أن يزيح هذا الأخير نظره عنه سريعًا.

تحرك الحضور بعدما حملوا النعش واستعدوا للخروج من الكنيسة. وفجأة توارى الرجل عن أنظار "لوبروتون" بالرغم من طول قامته، وذلك بسبب الزحام. وبعدما استطاع أخيرًا أن يخرج من هذا الزحام كي يبحث عنه بين جموع الناس، اكتشف أن الرجل اختفى تمامًا.

وقف أولاده -في حالة ذهول- عند باب الكنيسة كي يتلقوا العزاء في أبيهم. أما أمهم فقد كانت بعد بضعة أمتار منهم، ينتابها حالة من الدهشة والاستغراب من هذه الكم من المصافحات، إلا أن تربيتها منعتها من إبداء أي اعتراض على أي أحد جاء لمصافحتها.

وجهت "روزيير" كلامها لـ"لوبروتون" الذي بدا منزعجًا من عدم العثور على هذا الرجل:

- انتظر، لا تتحرك، سأجرب حيلة ما.

شقت "روزيير" الزحام بين الناس إلى إن وصلت إلى الأرملة، ثم ضمتها إلى صدرها وعزتها قائلة:

- خالتي!

بعد هذا العناق غير المتوقع، ابتسمت لها المرأة دون أي تفاعل من جهتها، وعيناها يملؤهما القلق الذي يلازم مرضى ألزهايمر بسبب عدم

قدرتهم على التعرف حتى على أقرب المقربين لهم. الحقيقة أن كلمة "خالة" لم تُذَكِّرها بشيء على الإطلاق. أصيبت "روزيير" بشيء من خيبة الأمل إلا أنها مازالت مصرة على تنفيذ خطتها.

كانت جدتها -حبيبتها الغالية- تعاني هي الأخرى المرض نفسه. فكانت لا تستطع التعرف على أحد ممن يتحدثون إليها. فلم تكن تميز بين زوجات أبنائها ولا أزواج بناتها ولا أحفادها ولا حتى أولادها. لقد انهارت ذاكرتها تمامًا، لكنَّ ذكاءها ظل على حالته هذه بالإضافة إلى إرادتها القوية في إخفاء حالته المرضية. كانت جدتها تُنصت جيدًا إلى من يتحدث إليها علها تصل إلى علامة أو أمارة تشير إلى هويته، ومن ثمَّ يكون بإمكانها معرفة ما إذا كان المتحدث هو حفيدها المفضل أم ساعي البريد. وكي لا ترهق جدتها في التفكير، كانت "روزيير" تبدأ كل محادثاتها معها بكلمة "مامي"، وبدورها كانت تقابلها بابتسامة عريضة كلها حب ومودة وتناديها "يا دلوعتي" كما كانت تفعل مع حفيداتها الست الأخريات. والحقيقة أن الجدة كانت لا تستطيع التمييز بينهن، لكن لم يتسبب الأمر في أي مشكلة على الإطلاق، بل على العكس كانت جميعهن سعيدات مع جدتهن. كانت "روزيير" دائمًا ما تقول لنفسها لو أن أحدهم مرَّ من أمام منزل جدتها وحياها قائلًا "مرحبًا مامي"، لا شك أنها ستجيبه "أهلًا بك يا دلوعتي". بل ربما تعطيه كل ما لديها من مال.

أسرع "لوبروتون" نحوها وسألها:

- ماذا تفعلين يا "إيفا"؟

- لا تقلق، هذه الأرملة لن تتذكر شيئًا مما قلته لها، بل ستنسى الأمر برمته فورًا. ليس لدينا سوي يومين فقط للوصول إلى أكبر قدر من المعلومات لذلك علينا أن نتصرف بسرعة.

قبل أن يتمكن "لوبروتون" من كبح جماحها، توغلت "روزيير" وسط الحشد مرة أخرى وألقت بنفسها من جديد في أحضان الأرملة. وهي تناديها:

- خالتي!

ردت عليها هذه المرة قائلة:

- أهلًا بكِ يا عزيزتي.

- كيف حالك يا خالة؟ لم أرَ عمي منذ وقت طويل. كنت أفكر في تلك الأيام الجميلة. أتذكرين ماذا كان اسمه عندما كنا صغارًا؟

ردتْ عليها المرأة وقد اغرورقت عيناها:

- نعم بالطبع. لقد مر وقت طويل، أنتِ على حق يا عزيزتي. يبدو الأمر كما لو كان البارحة، في ذلك الزمان كان يُدعى "جاك ميلون". كنت أحبه كثيرًا، فقد كان وسيمًا ذا كتفين عريضتين..

- هل كان هذا وقتما كانت تربطكما علاقة بـ"سيرج روفوس"؟ أم بهذا الشخص؟

قالت ذلك وهي تعرض عليها الصورة التقريبية للرجل ذي الشعر الأخضر.

في الحقيقة، هذه ذكريات بعيدة جدًا يصعب على امرأة مصابة بألزهايمر أن تتذكرها، لكنَّ الأمر يستحق المحاولة على كل حال.

- كلا يا عزيزتي، لا أتذكر شيئًا عن ذلك..

لقد نفد صبر المعزين الواقفين خلف "روزيير"، التي أدخلت الصورة في الكيس الخاص بها، ثم استأنفت حوراها مع الأرملة المسكينة:

- أخبريني إذًا لماذا غيرتم اسم العائلة الخاص بكم؟

- آه يا لئيمة، أنتِ تريدين أن تنتزعي مني معلومات عن ماضينا. عمومًا أنا لا أعرف شيئًا عن ذلك حقًا. كل ما أتذكره أنه عاد إلى البيت ذات يوم وطلب مني أن أجهز حقائبنا وحقائب الأولاد ثم قال لي: "سنرحل من هنا، سيكون من الصعب التعود على الحياة الجديدة في بادئ الأمر، لكن سيكون كل شيء على ما يرام، أعدك بذلك". وكان ذلك فعلًا، فنحن في غاية السعادة هنا..

- تمام، لكن..

- لكن ماذا؟! اذهبي واسأليه هو! ما لكِ تتحدثين عنه وكأنه قد مات! "جاك"! "جاك"!

هنا، تركتها السيدة الأرملة وانصرفت ومن خلفها موجة كبيرة من المعزين، استسلمت "روزيير" في نهاية الأمر. شعرت بخيبة أمل كونها لم تصل إلى ما كنت تصبو إليه، وشعرت بحزن كبير في قلبها على حال هذه المرأة المسكينة.

كانت "روزيير" تعلم أنها، ذات يوم، ربما ينتهي بها الأمر كهذه الأرملة، وستكون محاطة بغرباء يعرفون عن حياتها أكثر ما تعرف هي، وربما يجعلها هذا عرضة للجنون. شعرتْ بشيء من الذنب وتأنيب الضمير بسبب خدعها لهذه المسكينة التي توارت في وسط المعزين. لا شك أنها لن تتذكر شيئًا من ذلك كله. لكن في الوقت نفسه، قد فعلت "روزيير" كل هذا من أجل الوصول إلى قاتل زوجها.

لاحظ "لوبروتون" عودة زميلته بخفي حنين، فكان عليه أن يعترف لها أن مجرد التوصل إلى الاسم الحقيقي للضحية يُعد إنجازًا عظيمًا في حد ذاته.

12

يقع المقهى عند مدخل المدينة، يبدو كأنه مطعم مهجور على جانب أحد الطرق. تحولت شرفته الواسعة -التي تزدحم بالزبائن في فصل الصيف- إلى مجرد ساحة أسمنتية تتناثر فيها برك المياه الراكدة المغطاة بالقمامة. في إحدى الزوايا، كانت هناك كومة من الكراسي البلاستيكية البيضاء التي تغطيها الرطوبة وفضلات الطيور، بالإضافة إلى بعض أوراق الشجر الميتة العالقة في الأرجل. كان الحامل - الخالي من النبيذ - يشبه حمالة تجفيف الملابس. حتى المناظر الطبيعية المحيطة بالمكان -التي يفترض أن تُشعرنا بالدفء والاسترخاء- لم يبقَ منها في الشتاء سوى وجهها المظلم كأنها عملة صدئة. تبادل "إيفرار" و"ميرلو" النظرات قبل أن يفتحا الباب.

كان المكان عبارة عن صالة كبيرة ذات أرضية مبلطة، وحوائط بيضاء خشنة، وهناك بار طويل في المنتصف. على الجانب الآخر من البار كان الركن المخصص للمطعم، أما هنا فكان الركن الخاص بالمقهى والبطولة الأسبوعية للعبة "البلوت". بمجرد دخولهما، خفتت الأصوات وتوجهت الأنظار صوبهما. كان الأمر أشبه بمشهد من أحد أفلام الغرب الأمريكي.

ابتهج "ميرلو" بصوت عالٍ كأنه "ريتشارد قلب الأسد" ذو القلب الرحيم مع الشعب المهزوم، ثم تحدث بنبرته الهادئة الواثقة:

- وها هي واحدة من الحانات الصغيرة غير المتوقعة في ريفنا الجميل! أنا على يقين أنهم يقدمون أفضل أنواع "الباستيس" هنا.

وبخطى الفاتح المنتصر توجَّه نحو البار وتحدث إلى النادل الذي رآهم متكبرين بعض الشيء، ثم طلب منه قائلًا:

- اثنان "ريكارد" من فضلك...

ثم بعد أن ألقى نظرة على هؤلاء الرجال الجالسين جواره، أردف وهو يحول نظره صوب زميلته قائلًا:

- ... أما السيدة، فلا أدري ماذا ستأخذ.

أخذت "إيفرار" كأس "ريكارد" هي الأخرى ثم تساءلت في سرها: "كم من السنوات يجب أن ننتظر حتى تتوقف نكات البار السمجة هذه؟!".

ثم سألت وهي تسكب الماء فوق الكحول، الذي تغير لونه وبدأ يأخذ اللون الأصفر الغامق الجميل:

- هل من طريقة للمشاركة في هذه البطولة؟

الحقيقة هي أن هذه البطولة ليست سوى طقس من طقوس المكان. هناك ترى الخاسرين يواصلون اللعب وينتقلون من طاولة إلى أخرى حتى موعد إغلاق المكان. من بين أكثر اللاعبين حماسةً نجد موظفي مصنع الأثاث الخاص بـ"جاك مير" -الواقع في الجهة المقابلة للمقهى- وخاصة هذا المحاسب الكفء ذي الخبرة في عمله، إلا أنه مقامر ومدمن خمر سيئ على حد وصف أحد سكان منطقة "لابروفنس". وهذا المحاسب هو الشخص الذي يبحث عنه كلٌ من "إيفرار" و"ميرلو" على أمل أن يكون

لديه معلومات قد تفيد في مسار التحقيق. كان هذا بتكليف من "روزيير"، التي أوصتهم بأن يتركوا له الفرصة كي يفوز عليهم.

إن إفساح الطريق له كي ينتصر هو خير وسيلة للوصول إليه، لأن الخاسر في هذه اللعبة يسقي كل مَنْ على الطاولة على حسابه. إذًا ستكون مهمتهما هي فعل كل ما بوسعهما للخسارة أمامه. ما إن سمعت "إيفرار" هذا الكلام حتى سال لعابها، فهي تعلم جيدًا - باعتبارها مدمنة قمار قديمة - أن الخسارة تجعلك أكثر إدمانًا للعب، بل إنها تجعل جسمك يفرز هرمون الأدرينالين بالقدر نفسه الذي يفرزه في حالة الفوز، فإذا خسرت ما لديك من مال فلن تستطيع مواصلة اللعب.

تتلخص خطة اللعب في التركيز التام في الورق، واللعب ببساطة للسيطرة على زمام الأمور. إخراج الورقة الرابحة في الوقت المناسب، إجبار الخصم على زيادة المراهنة، تغيير اللعب، التخلص من العشرات، محاصرة الخصم وخداعه لاقتناص النقاط العشرة الإضافية. هناك شعور ينتابك وأنت تطوي الورق بعد أن تلتقطه وترتبه بطريقة احترافية ثم تُسَوِّي حوافه بحركة ماهرة على حافة الطاولة، ثم تفكر وأنت تخدش برفق مفرش الطاولة بطرف الورق، وفي النهاية تضعها أمامك على شكل مستطيل كي تلقي نظرة خاطفة على المساحة الفارغة التي بينك وبين الخصم.

من المهم، بل من الرائع حقًّا أن تنتصر، لكن هذه المرة سيتوجب على "إيفرار" أن تبذل قصارى جهدها كيلا تفوز. ردَّ عليها النادل وهو يفتح درج الخزنة كي يضع فيه ورقة النقود المكرمشة التي أخذها لتوه من "ميرلو":

- عليكِ الذهاب إلى هذا الرجل.

فإذا برجل ذي شارب طويل ومعه حافظة صغيرة يضع فيها المال، قيمة الاشتراك ثمانية يوروهات لكل متسابقَين اثنين. بعد ذلك يدون هذا الرجل الأسماء على ورقة كبيرة مربعة يُجمِّعُ فيها الفرق التي ستلعب مع بعضها. اختار لهما طاولة في الزاوية بالقرب من نافذة ذات زجاج متسخ، يكاد لا يُرى من خلاله ظلمة الليل الذي كان قد حلَّ بالفعل، لكنه يعكس الصالة وإضاءة النيون التي تزينها.

سألت "إيفرار" نفسها وهي تسحب كرسيًا كي تجلس عليه: "ما الجميل في أن تجلس في مكان كئيب كهذا؟ هل هي طاولات القمار وكؤوس الخمر التي تملأ أرجاء المكان؟ أم أن الأمر يكمن بكل بساطة في الصحبة المجتمعة هنا؛ حيث يتجاذبون أطراف الحديث معًا هاربين من هذه المدينة التي تشبه الصحراء القاحلة، فلا يمر به سوى بعض السيارات، وحتى أرصفتها تشتكي قلة المارة.

اضطر "ميرلو" إلى دفع كرسيه للخلف قدر الإمكان كيلا يضغط على بطنه المنتفخ. كان عليه أن يمد ذراعيه كي يتمكن من وضع يديه على الطاولة. بعدها مسح بيده على رأسه الأصلع وهو يبتسم، ثم استدار فجأة نحو منظم البطولة وقال له:

- ألا ترسل لنا منافسين يا صديقي؟! اللعنة!

أثناء البطولة، كان كل من "ميرلو" و"إيفرار" يراقبان فريق المحاسب متمنيين له الخسارة، كي يعرضا عليه بطريقة طبيعية أن يلعبا مع فريقه حتى وقت إغلاق المقهى.

وقد كان ذلك بالفعل؛ حيث بدؤوا اللعب معًا رغم إرادة "ميرلو" الواضحة إفساد اللعب. فقد كان يلعب بشكل سيئ جدًا، رغم أنه أكد

لـ"إيفرار" قبل اللعب أنه يعلم الأساسيات جيدًا، لكنه كعادته يبالغ في تقدير مواهبه وقدراته.

كان "ميرلو" يمسك أوراقه بطريقه يبدو منها وكأنه لا يبالي أن يراها الجميع، ثم أخذ يتحدث بمرح مع "جاك-مارك" -وهو المحاسب ذاته- الذي عُرض عليه أن يبدأ لعب الجولة الرابعة من هذه المباراة. بدا "جاك-مارك" هو الآخر وكأنه لا يستطع أن يفرق بين ورق "الديمن" و"الكلفس". هنا فكرت "إيفرار" في مستوى خصمها الذي بدأ يظهر على حقيقته هو الآخر، وبالتالي سيُصِّعب المهمة عليها أكثر فأكثر.

سألها المحاسب:

- ما هي الورقة الرابحة.

ردت عليه "إيفرار":

- "السبيت".

وكما توقعت "إيفرار" منذ عشر ثوانٍ، ظل المحاسب يسأل بانتظام عن الشيء نفسه في كل جولة وكأنه ساعة الوقواق السويسرية التي تدق كل ساعة بشكل منتظم، مما يجعلك ترغب في تحطيمها.

- مَنْ الذي أخذ الورق آخر مرة؟

- أنت.

- وكم كانت قيمته؟

- مائة وثلاثين.

كيف لهذا الرجل أن يعمل محاسبًا؟ وهو لا يستطيع التركيز أكثر من أربع ثوانٍ في كل جولة، كان هذا طبعًا بعد أن تناول بعض كؤوس الـ"ريكارد".

بدأ "ميرلو" التحدث عن الفقيد وكأنه يعرفه جيدًا:

- لقد فقدنا رجلًا عظيمًا هذا الصباح. سنفتقده كثيرًا، كان واحدًا من قادة الصناعة القلائل حقًا.

استغربت "إيفرار" بعض الشيء من حديثه عن الفقيد باعتباره واحدًا من قادة الصناعة، فمصنع الأثاث الخاص به ليس من ضمن شركات مؤشر البورصة الباريسية "كاك 40". لكنها تجاوزت كلامه وأخذت تنظر في ورقة "السبيت" التي معها، والتي من الممكن أن تُسقط الخصم. هنا أصابتها الحيرة بعض الشيء.

أبدى "كريم" -زميل المحاسب- موافقته على كلام "ميرلو"، قائلًا بنبرة حزينة:

- نعم، سنفتقد "جاك" كثيرًا.

أعرب "جاك-مارك" عن موافقته هو الآخر قبل أن يستفسر قائلًا:

- ما هي الورقة الرابحة؟ "القلب"؟ كان رجلًا صالحًا. سنصبح جميعًا عاطلين عن العمل في أقل من أسبوع من الآن، لقد كان رجلًا صالحًا حقًا!

ردَّ "كريم":

- كلا، ليس "القلب" هو الورقة الرابحة، بل "السبيت". أظن أنك بدأت تهذي يا "جاك-مارك"، بسبب خمر الـ"بيكارد"، أتمنى ألا تزعج أصدقاءنا بأسئلتك المتكررة.

ردَّ عليه "جاك-مارك" دون حدة قائلًا:

- حسنًا يا "كريم"، لكنك تعرف مثلي أن المصنع سيغلق أبوابه بعد موت صاحبه. من أخذ "السبيت"؟

كان كل ما يريده هو أن يُعلِمهُ أنه على دراية بالأمور كلها، غير أن رفيقه لم يعجبه الكلام وبدا غير مرتاح على كرسيه. كان الرجلان يتحدثان

بلهجة إقليمية قوية؛ حيث كانا ينطقان مقاطع الكلمات بشكل منفصل وواضح لدرجة أنهما كانا ينطقان حتى حرف الـ"e" غير المنطوق. مما دفع "إيفرار" إلى تقليدهما مكررة نهاية الكلمات وراءهم بشكل غنائي.

قبل أن تأخذ "إيفرار" دورها في الكلام، طرح "كريم" سؤالين على زميله المحاسب:

- ألن يتولى أمر هذا المصنع شخص آخر؟ ألم يتحدث معك أحد بهذا الخصوص؟

- كلا، ما هي الورقة الرابحة إذًا؟

قال ذلك وهو ينظر حول الطاولة كما لو أن هذا الورقة سترد عليه.

تساءلت "إيفرار" وهي تأسف على اللعب معهم: "كيف لهم أن يلعبوا بهذا السوء؟!". ذلك رغم أنها لاحظت أن معظم المشاركين في البطولة يلعبون بشكل جيد، لكنَّ المحاسب ورفيقه كانا..

ربما كان هذا هو السبب وراء موافقتهم بهذه السهولة على اللعب مع "إيفرار" و"ميرلو". لا شك أن أحدًا لم يُصر على اللعب معهما، كانا سيئين للغاية، هذه ليست مزحة. رغم ذلك، فقد انتابهما شيء من الغرور، وبدا عليهما أنهما يسخران من "ميرلو"، وبدآ يشعران أنهما يستحقان الفوز عن جدارة. هنا أرادت "إيفرار" أن تعزز هذا الشعور لديهما، فقالت متظاهرة بالإعجاب بهما:

- لقد قطعتما الطريق علينا بطريقة ماهرة!

والحقيقة أن المحاسب نسي أن ورقة "كلفس" كان قد سقط بالفعل، لذا فقد اعتقد أنه يمكنه الفوز بالورقة رقم 10.

ثم أردفت "إيفرار" قائلة:

- أظن أن المحاسبين هم الوحيدون الذين يعلمون مستقبل هذا المصنع.

- معكِ كل الحق يا آنسة! وأزيدكِ من الشعر بيتًا، كان "جاك مير" يضخ كل شهر من أمواله الخاصة في هذا المصنع، ولو لم يفعل ذلك لكنا قد أعلنَّا الإفلاس منذ وقت طويل.

أمواله الخاصة؟! ما حجمها؟! وما مصدرها؟! هل كان يستخدم المصنع لغسل الأموال المشكوك فيها؟ شعرت "إيفرار" بأنها قد وصلت لطرف خيط مهم في مسار التحقيق.

- وهل كان يضخ مبالغ كبيرة؟

هنا تدخل "كريم" الذي بدا عليه عدم الارتياح من هذه الأسئلة الغريبة:

- أتمنى أن تركز قليلًا يا "جاك-مارك" بدلًا من حكاياك التي تعطلنا. قلنا لك مرارًا إن الورقة الرابحة هي "السبيت".

- حسنًا، أليس صحيحًا يا "كريم" أنه من دون الأموال التي كان يضخها كنا سنعاني جميعًا؟ الأمر بسيط حسابيًا، فقد كان حجم المبيعات يساوي عدد الموظفين بالمصنع. بصراحة كان "جاك مير" - قدَّس الرب روحه - يجعلك تعتقد أنه لا يجيد التصرف في أمواله. كان ينفق على عمله بدلًا من أن يُكَوِّنَ ثروة من خلاله.

- لكن يبدو للجميع أن المصنع ناجح ومزدهر.

- يبدو ذلك ظاهريًا فقط، وكان هذا بفضل ما يضخه "جاك" من أموال كما قلتُ لكِ.. بالنسبة لأبنائه، فلا أظن أنهم يريدون تولي أمر المصنع، أمَّا زوجته فهي تعيش في عالم آخر غير عالمنا. ونحن..

تأكدت "إيفرار" أنه ليس لموظفي المصنع أي مصلحة في اغتيال "جاك مير". لكن لماذا يهدر أمواله بهذه الطريقة؟ هل كان يتعرض لشكل من أشكال الابتزاز مثلًا؟ سألهما "ميرلو" هو الآخر:

- أليس هناك رجل يُدعى "سيرج روفوس" سيتولى أمر المصنع؟ يبدو لي أنني سمعت شيئًا كهذا.. ساعدوني يا أصدقاء، هل تعرفون عمن أتحدث أم ماذا؟!

كلا، لا يعرف أحد من الأصدقاء شيئًا عن هذا الرجل الذي تحدث عنه "ميرلو". رفع كلا الرجلين حاجبيه مستغربًا من كلام "ميرلو". استغل "جاك-مارك" الموقف كي يسأل عمن فاز بآخر أربع أوراق، فهو لم يعد يتذكرها. أخرج "ميرلو" من جيبه الداخلي الصورة التقريبية -التي قرض الفأر نصفها- ثم فردها أمامهما على الطاولة.

- وهذا المتنكر في صورة الإنسان الجليدي المقيت "يتي"، ألا تعرفونه؟ ألا يجب عليه أن يتولى مسؤولية هذا المصنع؟ ألم يأتِ بعد؟

هزَّ الرجلان رأسيهما أي لا. هنا بدأ يفوح من كلامهما رائحة رجال الشرطة. وبالتالي لن يستطيعا الحصول على المزيد من المعلومات. وستصبح جهودهما من الآن عديمة الفائدة. لذا، قررت "إيفرار" إسدال الستار على هذا المشهد، وقطعت الطريق على "جاك-مارك" حيث لعبت بآخر ورقة رابحة معها والتي كان قد نسيها تمامًا. لم يعترض أحد منهما على ذلك.

ثم قالت وهي تتنفس الصعداء:

- لقد خسرتما.

ردَّ عليه وهو في حالة صدمة:

- أحقًا لم نكسب هذه المباراة؟

13

لكي يتمكن الملازم "باسيل ديامان" – فرقة "وحدة التسلق للحماية المدنية" – من ممارسة مهامه كمنسق بين فرق البحث المختلفة، فقد خصصوا له غرفة صغيرة بلا نوافذ في نهاية ممر الطابق الأخير من مبني الإدارة العامة للشرطة الجنائية. وما إن جلس هذا الشرطي، الذي يصل طوله مترين ووزنه مائة وعشرين كيلوجرامًا، على الكرسي خلف مكتبه الصغير حتى بدت له الغرفة أضيق وأصغر مما هي عليه. كان الأمر أشبه بالمائدة التي أعدها الأقزام لــ"جاليفر" في رواية "جاليفر في بلاد الأقزام". غير أن "جاليفر" لم يعد لديه مَنْ يتناول معه الغداء، فهو محروم من الولائم منذ ثلاثة أسابيع.

ربما يعود مرة ثانية إلى مكانه، فقد أخبره أحد الزملاء اللطفاء:

– أعتقد أنهم انتدبوك لهذه المهمة فقط، ولن يستمر الأمر طويلًا. ستعود إلى مكانك حالما تنتهي هذه القضية.

كان هذا ما ينبغي أن يحدث لكن.. بعد هذه السنوات من العمل المضني، وجد "ديامان" نفسه جالسًا خلف مكتبٍ صغير يقل عرضه عن عرض منكبيه. فقد كافح كثيرًا، تحمل كل المصاعب والمتاعب، حفر في الصخر كي يصل إلى حلمه الذي يتحطم أمامه الآن. والحقيقة أنه لم يصل إلى فرقة البحث

والتدخل – الأفضل بين كل الفرق – التي تضم نخبة رجال الشرطة، إلا بعد أن بذل الغالي والنفيس؛ فقد كان يتدرب ليل نهار حتى في عطلة نهاية الأسبوع، معتقدًا أن هذه التدريبات الإضافية ربما تكون سببًا في أن يلتحق بهذه الفرقة التي كان مجرد المرور من أمامها يجعله سعيدًا. فبعد حصوله على منحة دراسية وافتخار أمه به، لن يتنازل "باسيل" عن الحد الأدنى من حلمه. لم يكن الأمر سوى عقوبة تأديبية خفيفة، لا تعدو كونها كبوة جواد. إذًا عليه أن يتجاوز هذه المحنة ويستعيد قواه من جديد ليعود كما كان في البداية.

ما زال يتذكر أول يوم عمل له كشرطي صغير، عندما ارتدى الزي الرسمي وأغلق أزراره، وشدَّ الحزام، ووضع القبعة على رأسه. وما إن ارتدى الزي العسكري حتى شعر أنه أصبح جنديًا من جنود الجمهورية، بل أصبح من الآن يجسد النظام والقانون والأمن للجميع. وبعدها انطلق في الشارع مباشرة، وبداخله شعور أنه لم يعد مِلك نفسه، بل ملك هذا الوطن، وأن إهانته هي إهانة للوطن بأكمله، وأنه إذا أخطأ يومًا فإنه بذلك يورط الوطن بأسره بسبب هذا الخطأ. كان "ديامان" يقدر حجم الثقة التي يضعها الناس فيه، فهو في هذا المكان كي يوفر لهم الأمان ويدافع عنهم.

وصل إلى مخزن الأسلحة بصحبة زملاء دفعته، وما إن تسلَّم سلاح الخدمة حتى ارتسمت على وجهه ابتسامة طفل بريء. أخذ يقلب السلاح بين يديه. ثم نزع الخزانة وأعاد تركيبها مرة ثانية، وفحص سلامته. في النهاية، وضع المسدس في الجراب الخاص به. كانت كل خطوة من هذه الخطوات مصحوبة بصور توضيحية تبثها الشاشة التي كانت أمامهم. كان يقلد المحترفين بكل دقة، فقد أصبح رسميًا واحدًا منهم. أعطاه

المسؤول عن مخزن الأسلحة ورقة كي يوقع عليها بالاستلام، ثم قال له بنبرة ساخرة وهو يلملم أوراقه ويضعها في الحافظة:

– أتمنى ألا تبيعه لأصدقائك في الحي، هل تفهمني؟

أي حي؟ وأي أصدقاء؟ كانت أمه تعمل لساعات طوال حتى لا يضطرون للعيش في مثل هذه الأحياء المشبوهة. وقد نجحت في تحقيق ذلك. نشأ "باسيل" في شارع "بيلفيل" في الدائرة العشرين الباريسية. كانت أمه فرنسية بيضاء من إقليم "الأرديش"، ووالده أسود من جزر "الأنتيل"، أما هو فكان هجينًا باريسيًا.

أول مهمة تولاها كانت في شرطة الحدود. حيث لم يسمح له ترتيبه المتأخر بين زملاء دفعته أن يختار شيئًا آخر، لكنه كان سعيدًا في نهاية المطاف لأن مكان العمل لم يكن بعيدًا عن منطقة سكنه.

تسلَّم الشاب "ديامان" مهام عمله في أحد المطارات. انفتحت أمامه آفاق الحياة وآمالها بقدر اتساع مطار "باريس شارل دو جول".

بدأ الرجال النحفاء في النزول، كانت نظراتهم مشوشة خائفة. كل أملهم هو الحصول على اللجوء، قدموا إلى الشرطي الجديد أوراقهم المزورة التي لم تقاوم كثيرًا تحت العدسات المكبرة. كان عليه التحقيق معهم بغض النظر عن كونهم متعَبين. كان عليهم الانتظار بعيدًا قبل أن يخبرهم برفض طلبهم.

لم يكن لدى "ديامان" أي نشاط سياسي، لكنه كان يعلم أن أي قرار يؤخذ على مستوى القيادة لا بد أن تتبعه قرارات أخرى على مستوى أقل. وها هو قد اتخذ قرارًا لتوه عندما قال لهم "لا". لكن يبدو أنه غير سعيد بذلك.

كان "ديامان" يتساءل أحيانًا ماذا لو كان لونه حجر عثرة أمام التحاقه بهذه الوظيفة؟ ربما كان اختياره في هذا المكان مجرد اختبار

لولائه لهذا البلد؟ ماذا لو لم يخشَ المسؤولون أن يصبح لون البشرة سببًا للتواطؤ، وكأن كل أصحاب بشرة واحدة يشكلون عصابات مع بعضهم بعضًا. إن البشر بالنسبة لهؤلاء لا يعدون كونهم بطاقة ألوان من شركة "بانتون". كان من بين أفراد فريقه بعض الزملاء المغاربة من الجيل الثاني. فهل يتعرض هؤلاء للقدر نفسه من التنمر؟ مع ذلك، فإن جهاز الشرطة يضم أفرادًا من أصول من مختلفة. لقد تغيرت الأمور حقًا.

الأمور فقط هي من تغيرت لكن يظل بعض البيض على ما هم عليه.

في الصباح، فتح "ديامان" خزانة ملابسه متجاهلًا نظرات السخرية، والعبارات الاستفزازية، والنكات السخيفة.

- عليك أن تتمتع بروح الفكاهة، فالجميع هنا في قارب واحد.

- ليس صحيحًا يا رفاق.

كانوا قلة قليلة لكنهم ثرثارون، مجرد حثالة فكرية يتشدقون بالشيء الوحيد الذي يجعل لهم قيمة وأهمية. كانوا من البيض الذين لا يجدون شيئًا يفتخرون به سوى كونهم بيض، وكأنهم يحاولون تعويض نقص ما بداخلهم. كان بنيان "ديامان" الضخم يؤهله أن يربح أي مواجهات مباشرة. كان بإمكانه الرد عليهم بقسوة لكنه أغلق خزانة ملابسه، ثم أغلق آخر زر في بذلته العسكرية وغادر غرفة خلع الملابس. لن يتركهم يجعلونه يحيد عن طريقه وحلمه.

نصحته أمه عندما كان صغيرًا؛ حيث قالت له ذات يوم محذرة:

"إياك يا بني أن تنساق خلف انفعالاتك وعواطفك قبل الثلاثين. فإنك إن فعلت سيجانبك الصواب في كل قرارتك، ولن تجني من وراء ذلك إلا المتاعب والندم. لا بد أن تضع لحياتك خطة تسير عليها إلى أن تبلغ الثلاثين، ساعتها عليك أن تتوقف كي تفكر ثم تتحدث".

كان "ديامان" ذا شخصية قوية صارمة تمامًا كوجهه مصنوعة من الخرسانة والفولاذ، كان البناء مثبتًا بإحكام، غير أن قليلًا من اللعب لا يضر. فلتهب الرياح ولتهتز الأرض، لن يتأثر بشيء من ذلك. غير أن يومًا ما سينهار كل ذلك شيئًا فشيئًا. لكنه يتمنى ألا يكون الآن.

عاد إلى مكتبه، وجلس على كرسيه خلف الزجاج المصفح.

توجَّه أحد الرجال النحفاء بشكل تلقائي نحو "ديامان". كان في نظراته وميض أمل آخير، تولد بسبب لون بشرة ضابط الحدود. نظر إليه هذا الأخير ولسان حاله يقول: "كلا، كلا، لا تعلق نفسك بهذا الأمل الزائف، لون بشرتي لن يجدي نفعًا، لا لك ولا لهم".

في كل مساء، كان يجلس وحيدًا في غرفته، تنهال الدموع منه أحيانًا عله يتخلص من هذا الضغط النفسي، ويغسل عينيه من هذه الوجوه التي وصلت إلى نهاية رحلتها، لكنها لم تصل بعد. لقد رحلوا بالفعل وسيعودون إلى أوطانهم في غضون ساعات بعدما فشلت رحلة الأمل التي استغرقت شهورًا ودموعًا. بعد رحيلهم بثوانٍ معدودة لحقت دموعه بدموعهم. العجيب أن كلا الجانبين يراه خائنًا.

ظل متماسكًا صامدًا، لم يضعف أمام أبناء جلدته. كان يسير على الخط الذي رسمه لنفسه مسبقًا كما أوصته أمه. فهو لم يبلغ الثلاثين بعد. لكن سيتبدل كل شيء قريبًا.

حاد "ديامان" عن الطريق ذات لحظة ضعف خلال الشهر الماضي. وها هو قد وجد نفسه هنا. في هذا الغرفة الصغيرة الضيقة. لكن يمكن أن يعود كل شيء إلى ما كان عليه. تولى مسؤولية التنسيق والتواصل بين الفرق المختلفة فيما يخص القضايا المشتركة. "مقتل المفتش سيرج روفوس".

أخبروه في الإدارة العامة ألا ينقل لهم إلا المعلومات عديمة الفائدة، وأن يحتفظ بالتقارير والأوراق المهمة. فهم لا يريدون أن يكون لهؤلاء الفشلة نصيب من النجاح الذي وصلوا إليه في هذه القضية. على كل حال، انتهت هذه القضية عمليًا بعدما اعترف المتهم هذا الصباح.

سألهم "ديامان" وهو يبتسم بعدما بدا له أن كل الملفات والتقارير ذات أهمية:

- ماذا سأرسل لهم إذًا؟

14

جابت "كابستان" الغرفة وبيدها الملفات الأخيرة، كما أن الملازم "ديامان" كان قد أرسل إليها المشاهد المفرَّغة من كاميرات مراقبة المقبرة. وبينما تمر "كابستان" خلف "داكس" الذي كان يضرب بجنون على لوحة المفاتيح وعلى رأسه سماعة بميكروفون، لمحت على شاشته منظرًا لأرض براح مليئة بالأقزام في مقدمتهم غول ذو شعرٍ أخضر يقفز وهو يلوح في الهواء بسيفه.

- أخبرني يا "داكس" أنك لا تلعب بشخصية المشتبه به؟!

اضطربت نظراته لكنه لم يرفعها عن الشاشة حيث يظهر الغول الذي لم يتوقف عن قتل الأعداء، رد عليها:

- بلى، هل هذا يضايقك؟ إنه أنيق جدًا وبما أنني صممته جعلته صورتي الرمزية الـ"أفاتار". على كل حال، هذا ليس مهمًا لأننا لا نعرف هوية المشتبه به ولا اسمه وبالتالي..

قاطعته لتسأله:

- أليست هذه اللعبة على الإنترنت ويستطيع أي أحد رؤيتها؟

رد ساخرًا:

- بلى، وربما يجلب لنا ذلك شهودًا يعرفونه!

- لسنا بحاجة إلى ذلك الآن، فلسنا حتى متأكدين من أنَّ لهذا الرجل علاقة بجريمة القتل، فلم يتعرف عليه أحد حتى الآن، وما نستند إليه هي ذاكرة البائع. ربما التبس عليه الأمر أو خلط بين الأيام، وهذا الرجل الذي تستخدم صورته قد ذهب إليه ليشتري أكوابًا تذكارية لأخته الصغيرة. ينبغي عليك يا "داكس" أن..

وقبل أن تكمل كلامها أمالت رأسها فجأةً نحو الشاشة وقالت:

- وفوق هذا سميته القاتل!

أوقف "داكس" لعبته بعدما شعر بتعرضه لشيء من اللوم، وردَّ بصوت منخفض:

- نعم، لأننا لا نعرف ما اسمه تحديدًا.

بدَتْ على الملازم علامات الندم الشديد، ولم يكن يفهم لماذا تركز المفتشة على الأمر بهذا الشكل. لكنها لخصت الموضوع في هذه العبارة:

- انظر، لأسباب يطول شرحها، أريدك أن تختار صورة رمزية أخرى، وأن تخفي هذه في ذاكرة حاسوبك. اتفقنا؟

وافق "داكس" على مضض وقال وهو مقطب ما بين عينيه تعبيرًا عن إحساس حقيقي بالواجب:

- نعم، سأدون ذلك عندك.

وبالفعل كتب بأحرف كبيرة على ملصق "لا تعبث بشخصية المشتبه به" ووضعها على الشاشة بجانب الملصق السابق.

عادت "كابستان" إلى غرفة البلياردو حيث كانت "روزيير" تعلق أكاليل الزهور على أُطُرِ النوافذ، ويتنافس مجددًا كلٌّ من "لوبروتون" و"ميرلو" و"إيفرار" مع "توريز" ثلاثة مقابل واحد. فجأة أصدر الفأر

صريرًا مستعيدًا توازنه بعدما كاد أن يسحقه "ميرلو" بضربه للكرة السوداء، فاقشعرت "روزيير" اشمئزازًا وطرحت سؤالًا في محاولة منها لتجاوز الموقف وحتى تسيطر على خوفها من هذا الفأر:

- ما اسم هذا الفأر؟

- "راتافيا" مثل فيلم الكارتون.

- كلا، فاسم الكارتون هو "راتاتوي".

- بلى، اسمه "راتافيا" من باب الجناس.

- كلا، فلو أردت الجناس فهي "راتاتوي" من فيلم الكارتون، وقد أخذوا هذا الاسم من طبق الخضروات لا طبق المقبلات.

شعر "ميرلو" بالاستياء من الجدال في أمر تافه كهذا، فاختتم كلامه قائلًا:

- طيب، وهذا الفأر اسمه "راتافيا".

بما أن المحادثة قد انتهت على ما يبدو، فقد لوَّحت "كابستان" بالمظروف البنيِّ الكبير المصنوع من الورق المقوى وقالت:

- وصل إلينا هذا المظروف من الإدارة العامة للشرطة الجنائية.

سألت "روزيير" على الفور:

- ألدينا المشاهد المفرغة من كاميرات مراقبة المقبرة؟

فأجابت "كابستان":

- نعم.

استدارت النقيبة للخلف بسرعة فصدر صوت احتكاك ملابسها، ووضعت دبوسًا بين أسنانها واستأنفت تعليق أكاليل الزهور الحمراء السميكة وقالت:

- حسنًا، جيدٌ أنها لا تحتوي على شيء. إذًا..

نادتها "آن كابستان" متعجبة:

- "إيفا"..

قاطعتها "روزيير" وقالت لها بتعجرف:

- دعكِ من هذا، أنتِ تعرفين الأمر كما أعرفه. ما خطب ملفاتك هذه؟ وما تاريخها؟ أهي بتاريخ هذا الشهر أم السابق؟

رفعت "كابستان" بسرعة أطراف الملفات المكوَّمة وبدأت تقرأ:

- 1998، 2002، 1999..

فقالت "روزيير":

- دعيني أخمن.. هذه هي الكشوفات المصرفية. ألم يتمكنوا من العثور على الأحدث منها؟

فأجابتها "كابستان":

- صحيح.

بدأت "كابستان" تشعر بالحالة المزاجية لـ"روزيير" التي كانت تمر حينها بيوم صعب فتابعت "روزيير" حكيها:

- على العموم، لو أن قضية "سيرج روفوس" قد أُسندتْ إلينا فهذا لأنك تعرفين الضحية ويمكنك الحصول على معلومات من ابنه. أما نحن، فلو جلسنا نلعب ونلهو فلن يضيرنا ذلك في شيء.

وفعلًا هي محقة تمامًا، لكنها محقة على مستوى المعنى، لا على مستوى اللفظ. فردت عليها "كابستان":

- هذا أمر مؤكد يا "إيفا"، وماذا يمنعك إذًا من اللعب واللهو؟ غريبة أنتِ حقًا! تكسبين جوائز فردية لنفسك بعيدًا عن عملنا، ثم تأتين إلى هنا لتعلقي الأكاليل، هل هذا كل ما يجب عليكِ فعله؟! يا لها من ازدواجية!

هل تريدين التقاعد؟ أعلم أنك لن تفعلي، إذًا فكفي عن ذلك لأن هذه الطريقة محبطة. وعلاوة على ذلك..

وبينما تستمر "كابستان" في الحديث، ابتسمت ابتسامة عريضة تدل على مدى رضاها التام.

- .. نحن نحقق في القضية بأماكن أخرى، وقد أحرزنا تقدمًا، ويستخدم زملاؤنا هناك كل الوسائل للتفتيش خلف كل المشتبه بهم، لكنهم لم يصلوا إلى شيء حتى الآن. كما أن احتجازهم لن يجدي نفعًا في حين أن لدينا هنا مئات الخيوط.

- لا بأس، أنتِ محقة يا "آن". أعبِّرُ لكِ عن بالغ أسفي..

ينبغي التسليم بأن "روزيير" على درجة ما من سرعة الاعتراف بأخطائها، وإعادة النظر في أمر حالتها المزاجية.

تابعت "كابستان" كلامها:

- هذا بالإضافة إلى أننا لم نكتفِ بلعب "البلوت" مع موظفي الشركة ولا بالحديث مع الأرملة والاحتيال عليها، بل تعمقنا أيضًا في السعي خلف ما اكتشفناه من أدلة.

جلست "كابستان" على أحد الكراسي الـ"فوتيه" الموجودة حول منضدة القهوة، وراح زملاؤها يُحْضرون بعض الملفات والدفاتر وكراسي الطاولة، ثم جلسوا حولها باستثناء "توريز" الذي استند على حافة طاولة البلياردو. وضعت "كابستان" دفتر ملاحظات على مسند الكرسي وضغطت على رأس القلم وقالت:

- ما الذي حصلنا عليه؟ وماذا ينقصنا؟ بما أننا نعرف أن اسمه "جاك ميلون" فهل نعرف إذًا هويته؟

أجابت "روزيير":

- ليس بعد، فقد غيَّر اسمه إلى "جاك مير" قبل ظهور الإنترنت، وبالتالي لن نجد اسم "ميلون" إذا بحثنا عنه في جوجل. لذا شرع "أورسيني" في البحث في أرشيف الصحافة لكن أمله ضعيف فهو مجرد اسم، لا شيء غير ذلك.

ثم أضافت "روزيير" وقالتها قبل أن تقولها "كابستان" التي كانت ترفع رأسها:

- أجل بالطبع، فهو يحاول البحث عن معلومات تخص قضية "روفوس" بالتوازي مع قضية "جاك مير" من أجل الوصول إلى خيط مشترك بينهما من خلال السجل الإجرامي لهذا الأخير، غير أن قاعدة البيانات..

قاطعتها "كابستان" ساخطةً:

- نعم أعرف، لا يمكننا إذن الوصول إلى هذا.

ردت "روزيير" ساخرةً:

- بلى بإمكاننا، بشرط أن نقدم طلبًا من ثلاث نسخ وننتظر حتى إصدار فيلم "حرب النجوم 22".

أحضر "هنري سان-لو" كرسيًّا فأفسح له زملاؤه الدائرة ليجد مكانًا ثم أدار الكرسي بين أصابعه بحركة بهلوانية قبل أن يضعه ويجلس عليه بقفزة صامتة. بدا على الضباط الأوباش من حوله الجدية والصرامة. لذلك قطَّب ما بين عينيه ليوهمهم أنه يعي جيدًا ما يتحدثون فيه. وعلى الرغم من أنه لم يقصد من الحركة التي قام به لتوه لفت انتباههم، فإنها قد لاقت استحسانهم وانبهارهم.

استأنفت "كابستان" حديثها وهي تشعر بالأسف:

- كما أنه لا يمكننا مقارنة أسلحة الجريمتين. لا يهم، سنتجاوز هذا كله. هل تمكنا من تتبع مصدر أموال مصنع الأثاث؟

أجابت "إيفرار":

- مصدرها سويسرا، إذ كان يملك سيارة تابعة للمصنع لها اشتراك لعبور الطريق إلى سويسرا وبطاقة وقود "توتال". تمكنَّا من إقناع المحاسب بأن يعطينا نسخة من المستندات. ووجدنا أنه يفعل الشيء نفسه كل شهر. وليس هذا بالطبع مصدر المال، لكن رحلة غسل الأموال الشهرية التي تتم عبر "جنيف".

ردت "كابستان":

- حسنًا، نتحدث إذن عن مصدر مشكوك فيه.

أجابت "إيفرار":

- نعم بالتأكيد.

استغل "بيلو" كلب "روزيير" لحظة الصمت التالية ليصدر تثاؤبًا قويًا أنهاه بتنهيدة تعبيرًا عن ارتياحه، ثم رفع رجليه واحدة تلو الأخرى وتمطى وهو يمد قوائمه اثنتان للخلف واثنتان للأمام، ثم ركض نحو الخارج ليذهب إلى وعاء طعامه لكن ليس قبل أن يشم حذاء "توريز" وهي في طريقه. خرج الفأر -هو الآخر- من جيب "ميرلو" ليصعد على كتفه من جديد.

أبدى "سان-لو" ملاحظة وهو يبرم شاربه بعناية فقال:

- سيتيح لنا ذلك تحديد أي فترة من حياة "جاك ميلون" كانت أكثر عرضة للخطر.

سألت "كابستان":

- ماذا تقصد؟

فقال:

- لم تكن الفترة الثانية من حياة "جاك مير" معرضة للمخاطر التي تؤدي إلى القتل، لا بد أنه قُتل على خلفية أمور حدثت له في الفترة الأولى، مما جعله يغير اسمه. وعليه فإن الصلة بين الضحايا تعود إلى هذه الفترة، أي قبل عشرين عامًا أو حتى أيام شبابهما.

توصلت "كابستان" إلى النتيجة نفسها، وهي تعلم أين كان يعمل "سيرج روفوس" منذ عشرين سنة. وقالت:

- علينا أن نعرف متى التقى "روفوس" بـ"جاك ميلون" قبل أن يغير "ميلون" مسار حياته. قبل عشرين سنة انتقل "روفوس" إلى باريس، مباشرة بعد "ليون". ونظرًا لأننا لا نعرف في الوقت الحالي تواريخَ محددة، لذا علينا التحري عنه في المدينتين.

ثم أضافت وهي تبتسم ابتسامة ساخرة وتلوح بالملفات عديمة الفائدة التي جاءت إليهم من الإدارة العامة:

- على كل حال علينا البحث في الأشياء القديمة المنسية.

ردت "روزيير":

- في هذه المرحلة تحديدًا، يُصاب كبار المسؤولين بالإحباط.

اتسعت ابتسامة "كابستان" شيئًا فشيئًا مع زيادة وعي زملائها ووافقت "روزيير" في الرأي قائلة:

- بالضبط، ليس هناك سوى الكهول، عديمي الفائدة.

أضافت "إيفا":

- حفنة من المعاتيه!

هدأها "لوبروتون" وهو يبتسم قائلًا:

- على رسلكِ يا "إيفا" فهم زملاؤنا على كل حال.

وبينما كان الخمسة يراجعون الملفات ويعلقون عليها ويسردون المسائل المثارة أولًا بأول، تذكَّر "لوبروتون" لافتة الشارع والنصب التذكاري وسأل:

- هل يمكن الوصول إلى تواريخ ميلاد "روفوس" و"ميلون"؟

ردت عليه "كابستان":

- عندما كنتم في منطقة "بروفنس"، بحثنا جميعًا على الإنترنت باستخدام الوسائل المصرح بها ولم نجد شيئًا. يرى "داكس" أنه يجب اختراق بعض المواقع الإدارية للحصول عليها، ليس الأمر معقدًا للغاية، لكنه يستلزم رغم هذا معرفة الحد الأدنى عن اختراق المواقع.

فسأل "لوبروتون":

- إذًا، كان لدى القاتل خبرة في اختراق المواقع؟ فهل كان شابًا؟ رغم أن الضحايا كبار في السن.

رد عليه "توريز" حيث يقعد على طرف طاولة البلياردو:

- لا ليس كذلك، فعلى الأرجح يعرف القاتل تواريخ الميلاد لأنه كان صديقًا مقربًا.

وبحركة لا إرادية دفع الكرة البيضاء بيده اليسرى قبل أن ترتد من جانب الطاولة وتعود مباشرة إلى راحة يده.

قالت "كابستان" لـ"توريز" وهي تفكر:

- إذًا نعود إلى افتراض أن القاتل من العمر نفسه وإلى التفتيش في الماضي. نحن لا نعرف شيئًا عن ماضي "جاك مير" على عكس "روفوس"

الذي نعرف محل دراسته ومدارسه وما إلى ذلك، كذلك ملف خدمته الذي حصلنا عليه من الموارد البشرية، أليس كذلك؟

أجابها "توريز":

– بلى، أتريدينني أن أنظر في قائمة زملائه في المدرسة والكلية ربما أجد "جاك"؟

– الأمر يستحق المحاولة.

تسلل "لوويتز" إلى الغرفة وهو يتأبط ألواحًا وأشار بيده إشارة مؤداها ألا تهتموا بوجودي وأكملوا حديثكم، رصَّ أشياءه على طول الجدار الخلفي، ثم خرج على أطراف أصابعه.

سألت "روزيير":

– هل وجدنا مكالمات تليفونية مشتركة في السجلات؟

رد "توريز":

– لا، لقد بحثنا مع "داكس" ولم نجد شيئًا يذكر. لكن "أورسيني" يفحص كشوف حسابات الشركة وسجلات المكالمات الخاصة بها لدى "أورنج" والتي أعطانا المحاسب نسخة منها.

اختتم "توريز" كلامه وهو ينزل من على الطاولة:

– قد يقودنا هذا إلى شيء ما، سنرى غدًا.

ما إن دقت الساعة السادسة، حتى قفز "ميرلو" متذكرًا شيئًا ما:

– الليلة موعد بث حفل مسابقة ملكة جمال فرنسا!

علقت "روزيير" على كلامه كأن المعلومة قد جاءت في الوقت المناسب فقالت:

– حقًا، اختيار ملكة جمال فرنسا الليلة؟ سنحظى بسهرة خاصة إذًا.

عبر "ميرلو" عن رأيه في إحدى المرشحات للجائزة قائلًا:

- لست أدري يا عزيزتي ما رأيك، لكن "جنيف" هذه لا تروق لي ناهيكِ عن أفكارها الــ..

قاطعته "روزيير":

- على العكس! فهي تنظم الحفل بشكل جيد، وتجهز المرشحات و..

لم يعد مُجْديًا مقاطعة سيل الحُجَج بين "ميرلو" و"روزيير" اللذين - دون أن يعبأ بزملائهم الموجودين حولهما- خرجا إلى الصالون حيث توجد شاشة كبيرة مسطحة. تبعهما "سان-لو" بخطوات ثابتة. أما "لوبروتون" و"إيفرار" فقد نظرا إلى ساعتيهما وهزا كتفيهما استهجانًا، ثم قاما أيضًا بعد أن نظرا إلى المفتشة التي أومأت برأسها موافِقةً واتكأت بذراعيها على المسندين للنهوض من الكرسي العميق. تفقدت هاتفها فوجدت على الشاشة مكالمة فائتة من "بورون"، قررت أن تكلمه قبل أن تذهب هي أيضًا إلى الصالون. اتصلت به وقالت:

- مساء الخير سيادة المدير. حاولت الاتصال بي؟

- مساء النور يا "كابستان". نعم حاولت، كنت أريد أن أبلغكِ بــ.. بأن أحد المشتبه بهم من فرقة البحث والتدخل قد أُحيل إلى النيابة، وقد اعترف بأن السلاح المستخدم ملكه، أعني "كان يملكه". ليس لديه أي حجة غياب ليلة وقوع الجريمة، وسجله الجنائي مليء بالجرائم، وكذلك توجد آثار للكمات على يديه.

باختصار، انتهت القضية.

- "كان يملكه"؟

- نعم، فهو بالطبع يدعي أنه باعه.

- باعه إلى مَنْ؟

- إلى رجل ملتحٍ يرتدي نظارة. بصراحة، قد يفتقدون إلى الدقة عندما يخادعوننا. لقد كانٍ هو حقًا، تأكدنا من ذلك بعدما تتبعنا أمر هذا السلاح.

لم يكن للقضية أن تنهي مطلقًا عند هذا الحد.

- كلا! كلا! وهل يتطابق الجاني مع الرسمة التقريبية؟ لقد نسيتَ جريمة "إيل سور لا سورج"، من المستحيل إغلاق القضية بهذا الشكل دون الرجوع إلى..

قاطعها "بورون" قائلًا:

- كلا لم أنسَ شيئًا يا "كابستان". في الواقع، قضى المشتبه به ثلاث سنوات مؤخرًا في "كاربنترا" وهي على بعد عشرين كيلو مترًا من "إيل سور لا سورج". أعتقد حقًا أيتها المفتشة أن القضية قد انتهت. أنا آسف، سنجمع كل الأدلة و..

قاطعته معترضةً:

- لا، لا تفعل. أمهلنا بضعة أيام أخرى وإلا فإن بحثنا سيذهب هباءً. لقد قرأت ملف هذا الرجل المحتجز، ليس له أي مصلحة، وليس في استطاعته فعل شيء من ذلك كله.

- تقصدين ملف المشتبه به! أكان كاملًا؟

سكتت "كابستان" وهي تجز على أسنانها، فقد سأل "بورون" لتوه عن لب الموضوع. رغم ذلك فهي لن تستسلم وتخبره، ليس في مرحلة الاكتشافات التي وصلوا إليها. فردت عليه قائلة:

- .. لا، على الأرجح لا. لكنه ليس القاتل. سمِّها غرورًا أو قناعة شخصية، كما تحب، لكنه..

- أمهلتكِ الوقت يا "كابستان". إذا كنتِ تريدين الاستمرار، فلكِ هذا. لن أزود المحكمة إلا بالضروري المطلق. لكن لا تخدعي نفسك.

غالبًا ما كان يعارضها "بورون" لكنه نادرًا ما رفض لها طلبًا. كانت "كابستان" تأمل أن تكون قادرة على ألا تخيب أمله فيها. ردت عليه:

- شكرًا لك يا سيدي القائد.

كانت القوات المجتمعة الآن متحمسة لأهدافها الجديدة؛ إيجاد القناة، وشرب النبيذ الأحمر أو الأبيض. بدا عليهم العزم على الجلوس على الأريكة من أجل متابعة اختيار ملكة جمال فرنسا. فبدأت "إيفرار" بتجهيز موقد المدفأة بوضع القليل من الجرائد المطوية والأغصان والحطب وثلاثة جذوع ضخمة. من الواضح أنها لن تغادر المكان قبل انتهاء البرنامج.

وبينما هم كذلك، سأل "داكس":

- إشعال النيران ممنوع في باريس، أليس كذلك؟

فردت عليه "إيفرار" وهي تبتسم دون أن تتوقف عن التجهيز:

- هل أنت من شرطة المدافئ؟

ابتسم "داكس" هو الآخر وبدا عليه وكأنه يتساءل عن حقيقة وجود هذه الشرطة ثم سألها:

- برأيكِ، هل يتدخلون بناء على البلاغات الواردة أم مراقبة الأسطح؟

وبينما كانت "إيفرار" تفرك يديها ببنطالها الجينز لإزالة الغبار عنهما، ثنت شفتيها تعبيرًا عن جهلها بالأمر.

جلس "سان-لو" بالقرب من النافذة يتأمل حلول الظلام. كان يتأمل قراميد الأسطح وأسراب الحمام التي تستعد للعودة إلى أعشاشها والانعكاس البرتقالي للمصابيح على الأرض. كان يتمتع بمظهر يشبه تلك الصور الموجودة على

العملات القديمة إذ كان شعره متوسط الطول وأنفه محدب ولحيته مشذبة وشاربه ضخم. سألتهم "كابستان" عما يريدون أكله، ثم اقترحت وهي تنظر إلى "لوبروتون" الذي بقي مثلها من أجل الجو العام، لا من أجل البرنامج فقالت:

- بيتزا، ما رأيكم؟

رد "لوويتز" وهو يلوح بيده بحركات قوية لا بد أنها تذكره بإيطاليا:

- لا، لنأكل مكرونة بصوص البولونيز، من صنع "لوويتز"، وستقولون لي رأيكم يا رفاق.

سمعته "كابستان" وهي في المطبخ الملطخ ببقع من الأرض إلى السقف.

صاح "ميرلو":

- أما زالت ملكات الجمال بالفساتين المموجة؟ متى يرتدين المايوهات، يا إلهي؟

ردت "إيفرار":

- هل سيرتدين المايوهات بالفعل؟

فقال "ميرلو":

- نعم.

وبينما كانت "روزيير" تفرغ محتوى الأطباق في سلة القمامة باستخدام أدوات المائدة قبل أن تضعها في غسالة الأطباق، سألت من غير أن تبطئ ذهابها وإيابها:

- ألا يوجد أي شيء مهم في الملفات التي زودنا بها "ديامان"؟

أجابتها "كابستان":

- كلا، نحن نهدر الوقت. سنحتاج إلى مسار "روفوس" الوظيفي كاملًا لنفحصه مرة أخرى وأخيرة، وهذا من شأنه أن يساعدنا في حل القضية وإنهاء حالة التواطؤ الموجودة في الإدارة العامة.

ثم أردفت قائلة:

- سأطلبهم من "بورون" وكذلك من سجلات "ليون". لا أعرف لماذا أشعر أن علينا التوجه نحو الجنوب.

- برأيك، هل سيعطيها لكِ؟

أجابت "كابستان" وهي تفكر في المكالمة الأخيرة والنهاية الوشيكة للتحقيق.

- لا، لا أعتقد ذلك، ولكن هذا لا يمنعنا من المحاولة.

كشطت "روزيير" بقايا الجبن السائح من الطبق بحافة السكين، وأدارت وجهها تجاه غسالة الأطباق ثم قررت أن تسأل "كابستان":

- والابن، متى ستستجوبينه؟

هذا سؤال منطقي لم يكن لدى "كابستان" أي نية للإجابة عنه، فقد انتدبوها في هذه القضية من أجل صلة القرابة التي كانت ترفض بإصرار استغلالها، ولم يكن في اعتباراتها الخاصة الخضوع لحسابات وآمال رؤسائها وزملائها.

لم ترغب في استجواب "بول" فقط، بل كانت ترغب بشدة في أن تجتمع به في لقاءات غير رسمية.

ذكَّرها الصمت الذي دام بعد اختفاء صوت غسالة الأطباق بوجود "روزيير" فأجابتها:

- عندما أريد يا "إيفا"، ليس قبل ذلك.

15

وضع "أليكسي فولووسكي" صينيته وجريدته المطوية على طاولة بجوار السرير، نفش الوسادتين الكبيرتين اللتين أسندهما بدقة إلى ظهر السرير، ثم خلع نعليه ورفع لحافه ليدخُل تحته، من أجل متعته الصباحية ألا وهي؛ الإفطار والقراءة. في هذه الغرفة ذات السقف المميز بعوارضه الخشبية المكشوفة، كان يحب لحظة الهدوء والسكينة هذه، حيث تطل نافذته الصغيرة المفتوحة في الجدران السميكة على صفحة من السماء وجزء من برج الكنيسة. كانت تذكره طبقة من بخار الماء الخفيفة على الزجاج من الخارج بأن وجوده بالداخل أفضل من الخارج، بعد سنوات من الصدمات والكفاح الشاق، تمكن أخيرًا من استعادة شيء من السكينة، وهذه السكينة كانت لها متعتها الخاصة رغم هشاشتها.

ارتشف "أليكسي" من الشاي وقضم من شطيرة خبز الـ"تارتين" بالزبدة، ثم أعاد الكوب إلى صحنه في وسط الصينية. بعد ذلك، فتح ببطء الصفحات الكبيرة لجريدة "لو بروجريه" الصادرة في "ليون"، وتصفح في البداية صفحات الأخبار المحلية والدولية، ومرَّ على صفحات البرنامج التليفزيوني مرور الكرام ثم عاود الإمساك بالشطيرة المُزَبَّدة قبل أن ينغمس في صفحة الوفيات.

تجمَّد في مكانه عندما رأى النعي الثالث، ومكتوب فيه:

"تنعى إليكم جمعية "الذكرى المحفورة" بمزيد من الأسف موت "أليكسي فولووسكي" المفاجئ، وستقام مراسم الجنازة في كنيسة "سان بول" في الثامن من ديسمبر بلا أزهار ولا تيجان ولا أصدقاء".

جعل العرق البارد منامته قارسة البرودة، كان يومها الثامن من ديسمبر، فالتفت "فلووسكي" إلى مُنبِّهه فوجدها الساعة 6:27 صباحًا. كان عليه أن يتصرف بسرعة، وينسى رعبه الذي أقعده.

نهض مذعورًا يدفعه فجأة تدفق الأدرينالين الذي أصابه بالرجفة وحرك كل شيء في عقله بشدة، وراح يبحث عن حقيبته. وجد في أسفل خزانته حقيبة الظهر السوداء المصنوعة من النايلون فائق الخفة، فوضع فيها قميصين، وسروالين، ومفتاحه، ومخطوطته. توجَّه بسرعة إلى الحمام ليجمع بعض مستلزمات العناية الشخصية، ووضعها في حقيبة وجدها أمامه. سيشتري ما ينقصه فيما بعد، هذا إن ظل أصلًا على قيد الحياة إلى ميعاد الاستحمام التالي. ارتدى بسرعة سروالًا وانتعل جوربًا وحذاءً كما ارتدى سترةً فوق المنامة مباشرة.

أخذ رداءه ذا القلنسوة المعلق على المِشْجَب وهو يمسك الحقيبة بيسراه، ووضع بتلقائية في جيبه حفنة من حلوى "كواليتي ستريت"، ثم فتح باب شقته الذي طقَّ خلفه. وما هي إلا درجات أولى نزلها بسرعة حتى أدرك أنه لم يلقِ حتى نظرة أخيرة على شقته بحي "ليون" القديم. صُعق فجأة حينما تذكر أن العنوان هو كنيسة "سان بول"، حيث يسكن أمامها مباشرة.

وما كان قد وصل بعدُ إلى مدخل البناية حيث ما زال أمامه طابقان عليه أن ينزلهما، إذ تمهل "فولووسكي" لينال راحة قصيرة على بسْطَة السلم وقلبه

يخفق بقوة، حتى تردد في أذنيه معلنًا مرور الثواني. لم يكن باستطاعته البقاء مكانه فهذا خطير جدًا، ولا حتى الخروج فهذا أيضًا خطير جدًا.

أيهما أقل خطورة؟

كانت غريزة البقاء تدفعه نحو الخروج والهروب، لكن هذه لم تكن إرادته، بل كان هذا بدافع من الغريزة البدائية النابعة من عقله المشوش. شعر "أليكسي" بالحر في ذروة شتاء "ليون". يوافق الثامن من ديسمبر مهرجان الأنوار حيث لن تفارق اليوم عيون العذراء "سانت ماري" آلاف الشموع، وستأسر الأنوار التي تحتفل بها لُبَّها، لن تستجيب إلا إلى صلاة أهل مدينتها العظيمة، أما صوت هذا البائس الآثم الذي يتضرع إليها وهو يحتضر فلن ينال أبدًا رحمتها الأبدية وسيموت دون مغفرة. ليس اليوم، فلا يمكن أن يموت اليوم، فلم يحن وقته بعد. لم يعد يشعر بالزمن، حدَّق في الفراغ المظلم حيث تنعطف درجات السلم، وراحت نفسه تحدثه، اقفز فيها، اُسْقط، هيا تحرك.

بعد تردد وجيز، عاد إليه الإحساس بالزمن مستمعًا إلى ضجيج قلبه، فعاود النزول مرة أخرى. انحنى من على "الدرابزين" عند المنعطف الأخير وأطال النظر إلى الرَّدْهة أسفله، فوجد صناديق القمامة بالخارج، والمكان الذي يلي صف صناديق البريد فارغًا. ولم يجد من موقعه أي منطقة غير مرئية. كانت الساعة 6:43 صباحًا، والمكان آمنًا. يستطيع نزول الدرجات الأخيرة ثم يتحرك.

هل سيقتلونه في الصباح الباكر؟

ربما لم يستيقظ القاتل من نومه بعد. كانت هذه فرصته الأخيرة. عليه إذن الخروج في الحال.

أمسك "أليكسي" مقبض حقيبته وشده بيده، بدت قبضته وكأنها تفكر في شأنه، وبينما هو ممسك بها على هذا النحو أرادت ذراعه ترك الحقيبة. ماذا عن

إخفائها؟ نعم، إخفاء الحقيبة هو الخيار الأمثل، إخفاؤها في خزانة عداد الكهرباء سيكون سريعًا وآمنًا لبعض الوقت، فلقد مر قارئ عدادات الكهرباء الأسبوع الماضي، كلا خزانة الرَّدْهة ليست مناسبة فهي ظاهرة للغاية، بل هي خزانة العداد فهي أكبر بقليل وقد كانت مرحاضًا قديمًا قبل تحويلها إلى خزانة. صعد "أليكسي" السلالم بسرعة وفتح الحقيبة ليُخرج منها المفتاح وأغلقها قبل أن يدسها بعمق على يسار العداد. أصغى لعله يسمع صوتًا، لكنه لم يسمع شيئًا.

رجع إلى الأسفل وفتح الباب الثقيل برفق لعقاره المبنيِّ على طراز عصر النهضة، ألقى "أليكسي" نظرة خاطفة على ميدان "جيرسون" الهادئ، فإذا بالسيارات المركونة تحت الأشجار الساقطة أوراقها، وحجارة الرصيف المفككة، وجدران الكنيسة السميكة الراسخة في جانب الرصيف الواسع، وعلى بُعد بضعة أمتار بالأعلى يُرى سياج خط السكة الحديد الواصل بين محطة "سان بول" العتيقة والضواحي الخضراء لـ"ليون" الغربية، حيث تمر به قطارات قليلة وليست مصدرًا للضوضاء. ومن غير المرجح أن يفتح المقهى المسرحي الكائن أعلى سلم محطة القطار أبوابه قبل المساء، ويُعتبر هو المتجر الوحيد بالميدان.

في هذه الأثناء، كان "أليكسي" وحده تمامًا في هذا الميدان، لم يرَ أحدًا فتحرك. طرق أحدهم الباب خلفه بشدة وقيل له:

– صباح الخير يا "أليكسي".

انتفض "أليكسي فولووسكي" وتساءل عما إذا كان هذا الألم هو نوبة قلبية أم هو فقط من الخوف. حاول أن يستجمع شتات نفسه ويُبدي على وجهه الترحيب وقال:

– كنت في انتظارك، لقد احتفظت بكل شيء وسأعطيك إياه.

– أعرف يا "أليكسي".

16

في هذا الصباح الباكر، بعد مناوبات الليل الأخيرة وقبل خِضَمِّ الأعمال اليومية، كان مبنى الإدارة هادئًا حيث الصمت هو سيد الموقف، لم يكن بالطابق إلا بعض الأشخاص الذين يستغلون بعض الدقائق القليلة المتبقية من هذا الهدوء، وحدها ماكينة القهوة التي كانت تصنع بعض القهوة لهؤلاء المرهقين الذين يتجولون في الممرات الفارغة. كانت "كابستان" قد انتهت من شرب قهوتها، قبل أن تذهب إلى "بورون". كانت تعلم أنها لن تحصل بسهولة على سجلات المحفوظات، خاصة سجلات "ليون". ولن يسدي إليهم المدير معروفًا من أجل تسهيل عمل هذه الفرقة، خصوصًا في سبيل قضية يفترض أنها حُلَّت. لم يكن من المفترض أن تزعج فرقة "كابستان" سيادة المدير من حين إلى آخر بهذا الشكل، يكفي أنه يساعدهم سرًا كلما أتيح له ذلك. رغم هذا، استقبلها "بورون" فاتحًا لها الباب على مصراعيه، مع ابتسامة صادقة وإيماءة وديَّة، وبعد التحية المعتادة طلب منها الجلوس وجلس هو خلف مكتبه وسألها:

– كيف حال المستجد "دارتانيون"؟ أما زال يعتقد أنه مخلد؟

– لا، في الحقيقة هو ليس مخلدًا، بل مسافرًا عبر الزمن.

قهقه "بورون" وهو يرفع بعض الأوراق وقال:

– آه نعم، في الحقيقة لا علاقة لهذا بذاك.

– كلا، لا علاقة فعلًا، فهو مسافر عبر الزمان لأنه جاء من القرن السابع عشر مباشرة دون أن يعاصر القرون الأخرى، لقد استيقظ عام 1982.

وأخيرًا وبعد أن ترك ما كان بيده، شبك ما بين أصابعه ثم قال:

– أجل، أرى أنه يتحسن كثيرًا.

اكتفت "كابستان" بهز كتفيها. كان يظهر أحيانًا في عينَي "هنري" حنين المنفيِّ إلى وطنه الذي لا تستطيع أي أرض تعويضه. وحتى إذا لم يكن قد أتى من القرن السابع عشر فهو يعاني من أعراض هذه الحالة. تراه يعيش وحيدًا، من زمن آخر ومكان آخر، بلا أصدقاء أو أقارب يهتمون لأمره. هكذا كان واقعه الخاص به، وهكذا كانت الحقيقة من وجهة نظره.

وبما أنها شرطية لم تكن "كابستان" تهتم كثيرًا بمفهوم الحقيقة، فعندما قال لها رجل أنه امرأة، صدقته، وحينما تحدث أمامها شخص مؤمن بالأساطير بكلام لا معنى له، استمعتْ إليه، ولما تكلم معها رجل كان مشهورًا ذات يوم عن معجبيه الحاليين –غير الموجودين أصلًا– هنأتْه. إقامة الدليل على الحقيقة –بالنسبة لها– في مثل هذه الحالات ليس له أي أهمية على الإطلاق. فليدهس الجميع المنطق بأحذيتهم طالما أن الأمر لا يعنيها. فهي لن تبالي بصدقهم من عدمه. أجابت "كابستان" وهي مستغرقة في التفكير:

– في النهاية، ربما يكون قد سافر عبر الزمن حقًا.

– حقيقي.

اعترت وجه "بورون" الدهشة التي قد تصل إلى حد الاستغراب، بل الرفض، لكنه استجمع نفسه وحدق في المحققة بإذعان، فدائمًا ما يعجز عن فهم منطقها إلى حد ما، وهذا ما كان يشتته.

لوح بيده في إشارة إلى تخطي هذا الأمر الذي لم يعد مهمًا، وقال:
- أخبريني يا "كابستان" حقًا، ما الذي أتى بكِ؟ فلن أقضي اليوم كله في هذا.
بدءًا من هذه اللحظة بدا المدير أكثر حزمًا.

قالت "كابستان":

- إنَّ الصلة التي تربط بين "روفوس" و"ميلون" تعود إلى بداية التسعينيات. لا أدري إن كنت تتذكر أن "روفوس" قد عاش في "ليون" قبل الانضمام إلى فرقة البحث والتدخل، وبالمناسبة كان يُدرَّس في أكاديمية "سان سير" العسكرية..

- نعم، بالكاد أتذكر، وماذا بعد؟

- أود الحصول على محفوظات شرطة "ليون" في هذه الفترة والقضايا التي كُلف بها. أعتقد أنه يوجد عدد كبير منهم، وإن وجدنا اسم "ميلون" أو شيئًا ذا صلة في أحد الملفات فإننا..

قاطعها "بورون":

- حقًا؟ حقًا يا "كابستان"؟ من أجل هذا سأضطر إلى التواصل مع إدارة "ليون"، وأن أطلب منهم أن يسدوا إليَّ معروفًا، وبالتالي سأكون مدينًا للقيادات المحلية كلها. كل هذا من أجل أن تبحثي عشوائيًا عن اسم واحد من بين آلاف الأوراق؟

- أجل يا سيدي المفوض، سأكون حقًا ممتنة.

- أنتِ تستفزينني أيتها المفتشة.

- لستُ أهلًا لذلك.

أخفى "بورون" ابتسامته وقرر تقريب مفكرته منه ونزع الغطاء عن قلمه ودوَّن الطلب ثم أعاد الغطاء وقال:

- حسنًا! سأقرر وفقًا لحالتي المزاجية، هل من شيء آخر؟
- لا أقصد استغلال الوضع.
- طبعًا! طبعًا! هذا واضح جدًا.
- هذا غير صحيح. إذا كان ملف القضية قد أُغلق بالنسبة لفرقتي البحث والتدخل والبحث الجنائي فإنني أود الحصول على المستندات التي احتفظوا بها لاستخدامهم الحصري مثل الموارد المالية وما إلى ذلك، وكذلك محفوظات "روفوس" في مكافحة العصابات، في الواقع أريد النسخة الكاملة حتى نُحكم قبضتنا على خيوط القضية.

تمتم "بورون" وهو ما يزال يدون:

- اممم أجل.
- وأخيرًا، إذا صادفت أي جرائم قتل غريبة عند لافتات الشوارع أو النصب التذكاري.. هنا أو في أي مكان آخر، وتستطيع مشاركتها فــ..

هزَّ "بورن" رأسه موافقًا وقال لها ختامًا بينما يتكئ بكلتا يديه الكبيرتين على مكتبه لينهض:

- لكِ أن تتخيلي أنني قد فكرت في هذا من تلقاء نفسي، لكن حتى هذه اللحظة ليس عندي ما أضيفه.

نهضت "كابستان" هي الأخرى، وبينما كان يصطحبها إلى الباب، عاودت الكلام عن "هنري سان-لو" فقالت:

- أتعلم أن تاريخ تعيينه كان عام 1612؟
- أجل، وقد ضاع ملفه أثناء نقله في الثمانينيات، وكلما سُئل عن أول منصب له يقول إنه كان "من فرسان الملك". ذات يوم اقترح أحدهم التسجيل له من باب الفكاهة ثم..

هنا تغير وجه "بورون" ورفع نظارته فوق رأسه قبل أن يتابع كلامه:

- تكفلت ألغاز إدارتنا الغامضة ببقية الأمر..

- لا بدَّ أنه حصل على مكافأة أقدمية.

تجمدت ابتسامة المفوض لبعض الوقت كي يحسب المبلغ، وبصفته مديرًا متفاهمًا مع مرؤوسيه، كان يعتقد أن أطرف النكات هي تلك النكات المجانية. أما "كابستان" فلم تفكر كثيرًا في راتب "سان-لو" الذي يقارب راتب "بورون"، ذلك لأنها ترى أن هذا الأمر إنما هو من اختصاص الموارد البشرية التي لا يمكن السيطرة عليها.

أشار الصمام الثنائي الوامض لوحدة التحكم الكبيرة على مكتب المدير إلى مكالمة واردة. وبخطوة واحدة عاد "بورون" إلى مكتبه قبل أن يرفع السماعة ويضغط على زر الرد ويقول:

- نعم؟

ظل يستمع لبضع ثوانٍ وهو ينظر إلى "كابستان" ثم قال:

- هل اكتشفوا ذلك للتو؟ حسنًا، اتصل بمحافظ إقليم "الرون" بالنيابة عني من فضلك، فهو صديق، وأود أن أطلب منه خدمة. شكرًا لك، سأتواصل معك بعد قليل.

أغلق المفوض الخط واستدار لـ"كابستان" بحاجب معقوف لرجل يتعجب من تهيئة الظروف بهذا الشكل وقال:

- لقد طلبتِ مني أن أساعدكِ في أمرين، وها أنتِ ذا تحصلين على الاثنين معًا.

في متحف "كارنافاليه"، يكاد المقعد المخملي الأحمر أن يكون مهترئًا حيث اعتاد "سان-لو" أن يتناول كل يوم – دون أن يراه أحد قدر المستطاع - إفطاره المكون من رغيف خبز ونصف ملفوف من اللانشون. كان يحب لوحة الرسام "فرانسوا بونيل الأصغر" أكثر من غيرها من اللوحات، حيث يظهر فيها موكبًا للرابطة الكاثوليكية في "إيل دو لا سيته". وحتى لو لم يكن يقدر الرابطة في حد ذاتها، إلا أن هذا الحشد على الرصيف قد أثر فيه.

يظهر في اللوحة عن اليمين راهبًا بدينًا ذكَّره بزميله النقيب "ميرلو" الذي يتعامل معه دون كلفة، فهناك حالة من التفاهم بينهما بسبب الذوق المشترك في فصاحة اللسان وشرب النبيذ الطبيعي. وعامة كان الجو العام في فرقته الجديدة أكثر دفئًا، حيث قلت المشاحنات ولم يعد لنصب الكمائن أو الصياح مكانًا، بل حل محلهما العمل والأخوة.

الساعة العاشرة إلا بضع دقائق، ما كان ينبغي أن يُرجئ "سان-لو" أكثر من ذلك، إذ كان عليه أن يفي بموعده الشهري مع البروفيسور "ستاين"، فما زال بحاجة إلى أن يقول مرارًا وتكرارًا ما في صدره عن طفولته، عن الإسطبلات والمبارزة وساعات القراءة والنضج والموت، والشعور دائمًا بأن رجل العلم كان يسعى للإيقاع به في الشَّرَك.

تنهد بإعجاب ثم رفع وهنْدَم قبعته عريضة الحواف وقال:

- هذه اللوحة جميلة جدًا.

17

جريمة قتل أخرى، تتجه البوصلة هذه المرة صوب الجنوب حيث مدينة "ليون". كان عليهم التصرف بسرعة، لذا رتَّب لهم "بورون" زيارة ودية. ومن ثمَّ غادرت "كابستان" و"توريز" على متن أول قطار فائق السرعة، سيتولى "لوبروتون" تنظيم الرحلة التالية. لم يكن أمامهم سوى يومين فقط لإنهاء عمليات البحث في القضية وتحليل الروابط بينها وبين القضيتين الأخريين بالرغم من قلة عددهم.

على الرصيف وبين عربات القطار، كانت "كابستان" و"توريز" يتناوبان على الاتصال بالفنادق الذين كانوا يضحكون في وجوههم استغرابًا من طلبهم. غرفة شاغرة في هذا التوقيت؟! في الثامن من ديسمبر؟ كانا بحاجة لمن يصلي ويضيء شمعة من أجلهم، فقد اجتاح ملايين الزوار المدينة. أخيرًا وبعد معاناة وجدوا أربع غرف شاغرة في أحد الفنادق، وسيكمل "لوبروتون" باقي إجراءات الحجز.

أوصلتهم سيارة الأجرة التي استقلوها من محطة "بار-ديو" إلى مدخل ميدان "جيرسون"، بجوار كنيسة "سان بول". تسلل شعور غامر بالحنين إلى أعماق "كابستان". تنفست بعمق وحدقت في أحجار تلك

الواجهات المألوفة بالنسبة لها. لقد حدد المسار الذي عليهم أن يسلكوه. كان "توريز"، الذي بات قلقًا الآن من مقابلة زملاء جدد قد يكونون ضحايا لشؤمه المعروف به، كان واقفًا ينتظر بجوار المفتشة بينما كانت تغلق أزرار معطفها الأسود وتمسك حقيبتها الجلدية الكبيرة.

بدا الملازم غير عازم على التحرك قيد أنملة دون أن تسبقه، ظلَّ هنالك واقفًا ويداه مستقرتان في جيوب معطفه ماركة "لا كانديان" وحذاؤه مثبت في الأرض، إلى أن نظرت إليه باسمةً وقالت:

- هلا ذهبنا، سنلفت الانتباه إلينا إذا ظللنا كثيرًا على هذه الحالة.

مرا من تحت شريط مسرح الجريمة دون أن يقترب أي شرطي ليتحقق من هويتهما. وبينما كانا يتقدمان للقاء مجموعة الضباط المنشغلين حول الجثة، أرهب ظل "توريز" هؤلاء الضباط فتراجعوا وأعادوا تشكيل أنفسهم واحدًا تلو الآخر كسرب من أسماك السردين التي تخشى سمكة القرش.

همست "كابستان" لزميلها قائلة:

- يبدو أنك تتمتع بشهرة كبيرة يا "جوزيه".

أجابها الملازم مازحًا بصوت لم يخف قلقه:

- لقد عملت جاهدًا لأحقق ذلك.

- لا تقلق، سيكون لدينا بعض الوقت للتحقق من ذلك.

قبل أن تصل إلى الجثة، أدارت "كابستان" وجهها نحو زميلها من إدارة "ليون" لتحييه، أما "توريز" فظل واقفًا كرأس برجل وسط صحراء خالية.

- مرحبًا. أنا المفتشة "كابستان"، إننا...

قاطعها المفتش "فاراموند"، وهو رجل خمسيني ذو شعر رمادي أشعث، ثاقب العينين رغم كل ما يحيط به من ضجة صاخبة وأضواء ساطعة، قائلًا:

- نعم، مرحبًا. لقد علمنا بقدومكم.

تصافح الزميلان بودٍ، ثم أشار "فاراموند" إلى الجثة، الملقاة داخل موقف سيارات شاغر تمامًا، قائلًا:

- تشير الملاحظات الأولية إلى حدوث اختناق، أعتقد أن الحادث وقع باكرًا هذا الصباح، فمن المحال أن يركن في هذا المكان إلا بعد أن أغلقت جميع الملاهي الليلة أبوابها.

ابتسمت "كابستان" معلقةً:

- هذا ما نسميه بالخبرة الميدانية.

أومأ "فاراموند" برأسه ساخرًا وأضاف:

- لقد وجدنا محفظته ملقاة فوقه وبداخلها بعض النقود، اسمه "أليكسي فولووسكي"، أخبرنا الجيران أنه يسكن في تلك البناية بالأعلى كما حددوا لنا الطابق الذي يسكنه إلا أنه لم يكن يحمل أية مفاتيح فطلبنا خبير أقفال ليفتح باب الشقة ووجدنا داخلها جريدة تحوي إعلان وفاته.

هزت "كابستان" رأسها سائلة:

- ألم يكن يحمل أية مفاتيح؟

- لا، لم يكن معه مفاتيح، حيث وجدناه في الباب من الداخل.. ما يعني أننا أمام خيارين إما أن يكون قد نسيها عند المغادرة، أو أنه كان يمتلك نسختين حصل القاتل على إحداهما.

- إذا افترضنا أنه قرأ الجريدة، فمن المؤكد أنه كان متعجِّلًا ومضطربًا.

رد عليها "فاراموند" بنبرة ساخرة:

- نعم، لدرجة أنه أخذ بعض الحلوى قبل أن يخرج.

زادت الحيرة حدة، مرت "كابستان" بجوار "توريز" وطلبت منه الانضمام إليها، ثم توجه كلاهما نحو الجثة التي تركها بقية أفراد الشرطة فجأة كما يترك لاعب القمار ورقه عند أول إنذار.

يبدو من هيئة الرجل الملقى هنالك أنه في الستين من عمره، نحيف البنية ولا شيء يميزه على الإطلاق إلا بنطاله المُحَاك بجودة عالية والذي يبدو باهظ الثمن دون شك، وكذلك سترته المصنوعة من الكشمير. لكن الغريب في الأمر أنه كان يرتدي منامة تحت هذه السترة، ربما لأنه كان على عجلة من أمره.

كان وجهه شديد الزرقة من أثر الاختناق وأذنه اليسرى تنزف وعيناه مليئتين بنقاط حمراء، أما فمه -الممتلئ بحلوى "كواليتي ستريت"- فكان مفتوحًا على مصراعيه في محاولة لاستنشاق بعض الهواء. هناك في ذاك المكان المخيف، ظهرت أغلفة شوكولاتة لامعة ذات ألوان زهرية وخضراء وزرقاء وبرتقالية كانت بمثابة انفجار ألوان مبهج ومأساوي في آن واحد.

سادت لحظة من الصمت المعتاد في حضرة مشهد الموت الوحشي المهيب الذي لا رجعة فيه ولا عودة منه، قطعها "توريز" بعد ما يقرب من دقيقة محركًا رداءه ماركة "لا كانديان" ببطء قائلًا:

- هذه الشوكولاتة ذات الغلاف الزهري ليست لذيذة المذاق فهي محشوة بقطعة من القشدة البيضاء بالسكر... إنني أفضل تلك المحشوة بجوز الهند، لكنني لا أتذكر لونها.

أجابته "كابستان" وهي تراقب هذا المشهد الغريب قائلة:

- لونها أزرق، المحشوة بجوز الهند ذات غلاف أزرق.

بدا المشهد وكأن الرجل قد مات مختنقًا بسبب الكراميل.

لو كان القاتل هو نفسه قاتل "روفوس" و"ميلون"، فقد تخلى عن المسدس وكاتم الصوت، ربما لأنه كان يبغض القتيل وأراد أن يقتله بيديه أم أنه أراد من وراء ذلك الاستمتاع بالمشهد المهين للضحية؟

من الواضح أن هذا الرجل لم يتعرض للضرب، لسنا بحاجة لجعله يتكلم حتى نعلم ذلك. إذًا نحن أمام خيارين إما أنه لم يكن يعلم شيئًا يجهله القاتل أو أنه سقط بكل بساطة دون أدنى مقاومة.

اقترب المفتش "فاراموند" قائلًا لـ"توريز" الذي انضم بشكل تلقائي إلى الممر و"كابستان" التي كانت تنتظره:

- إذا كنتم قد انتهيتم فإنهم سيأخذون الجثة. أما نحن فسنذهب إلى الشقة مرة أخرى لالتقاط الصور واستجواب الجيران وكل هذه الأمور المزعجة المعتادة، وعليه سنبقى هنا طوال اليوم على ما أعتقد. لكن إذا أردتم سأعطيكم المفاتيح غدًا وسأُبلِّغ المسؤولين عن أختام الشمع الأحمر كي يسهلوا دخولكم، القرار لكم.

- تمام، شكرًا لك. سيكون هذا عمليًا حقًّا، لكنك ستقابل زملائنا في استجواب الجيران بكل تأكيد، فنحن أيضًا لدينا صور سنعرضها عليهم.

فكر "فاراموند" لوهلة ثم سألها:

- هلا ذكرتني مرة أخرى إلى أي فرقة تنتمون؟

أجابته "كابستان" دون خجل:

- إلى إحدى الفرق التابعة للإدارة العامة للشرطة الجنائية (36).

- الإدارة العامة للشرطة الجنائية! المعروفة بـ"36"، التي لو لم نكتبها بالأرقام نكتبها بحروف كبيرة هكذا (السادسة والثلاثون)، أليس كذلك؟

هنا شعرت "كابستان" ببعض الغرور والتعالي الذي يصيب الباريسيين. شكرت زميلها ورحبت بالتعاون معه بطريقة فيها شيء من الاستعلاء. ثم اجتاح المفتشة شعور بالخجل قادم من الماضي، غيرت على إثره نبرة حديثها مع الرجل؛ حيث قالت مازحة:

- نعم، لا يتقن اللعب بالأساطير إلا أهلها.

ثم أردفت:

- ألم يخبركم أحد عن سبب حضورنا؟

- بلى، أظن أن الأمر يتعلق بقضية أخرى على الأرجح، لكن "ليس هناك دليل قاطع بما يكفي حتى نزعج أنفسنا بأحداث لا علاقة لها بقضيتنا"، لا نريد أن نشتت انتباهنا. هل تفهمين قصدي؟

- نعم، فهمت.

كانت "كابستان" أمام خيارين: إما أن تمضي في المسار الذي حدده ضابط إدارة "ليون" لتوه والذي يفيد بعدم وجود أي علاقة بين هذه القضية وقضايا أخرى، ومن ثمَّ سيتوجب عليها الاعتذار والانصراف، أو أن تخرج عن هذا المسار وتثبت لمديرها أن ثقته فيها كانت في محلها. اتجهت بوصلتها نحو الخيار الثاني فقد بدا لها أكثر جراءة وإقدامًا. رأت "كابستان" أنها إن أخبرت ضباط إدارة "ليون" بأسماء الضحايا الآخرين فإن هذا سيسهل عليهم مأموريتهم بشكل كبير، خاصة أن جريمة القتل هذه لها صلة بجريمة أخرى وقعت بالجوار في وقت سابق.

استمع إليها "فاراموند" بجمود ثم تركها تفكر، وبدا أنه يميل إلى فكرة الرفض، فهو لا يرى شيئًا يستحق المفاوضة معها. في النهاية، فتحت "كابستان" حقيبتها وأخرجت ملفًّا كانت قد جمعت فيه كافة أوراق

قضيتي "روفوس" و"مير" بالإضافة إلى الصور التي يريدون نشرها في الحي، وسلمتها إلى المفتش الذي أخذه مقطبًا حاجبيه باندهاش.

سلمته الملف مؤكدة على أنه سري للغاية وليس للنشر، ثم عقبت:

– ها هو ملخص لقضيتين ترتبطان بشكل وثيق مع خبر الوفاة الذي أُعلن عنه في صحيفة "لو بروجريه"؛ قضية قتل المفتش المتقاعد "سيرج روفوس" في باريس، وصانع الأثاث "جاك ميلون" الشهير بـ "جاك مير" في "إيل سور لا سورج".

– هل أُعلن عن الجريمتين في الصحيفة أيضًا؟

– لا، بل على لافتة شارع ونصب تذكاري. إننا أمام قاتل سادي يحب قذف الرعب في قلب ضحاياه ويهيؤهم للموت بشكل مسبق وبعناية بالغة، فهو ليس نمطيًا يتبع طريقة واحدة لا يحيد عنها، ولكنه ينشد الاستمتاع من خلال التنويع في أساليب القتل. أُرجح أنه يقتل بدافع انتقام طال انتظاره، فقد ضرب "روفوس" بقسوة لكن بشكل مختلف عن "ميلون"، وها نحن الآن أمام طريقة جديدة ومختلفة عن سابقتيها.

– كأنَّ هؤلاء القتلى الثلاثة يريدون أن يقولوا لنا شيئًا ما.

أكدت "كابستان" على كلامه قائلة:

– نعم، هذا ما نعتقده في أعماقنا أيضًا، لكن ربما غطى الغرور أعيننا..

– ربما، شكرًا لكِ أيتها المفتشة على هذه المعلومات، أظن أن ذلك سيختصر علينا الكثير من الوقت. كما أنني إن صادفت هذه الأسماء في أحد الملفات فلا أظنكِ سترفضين الاطلاع عليه، أليس كذلك؟

– كنت سأطلب منك ذلك لكن منعني خجلي. أما وقد عرضت ذلك فسأكون ممتنة حقًا..

أومأ المفتش برأسه ومد يده لـ"كابستان" فصافحته. ثم أخذ الفنيون المتخصصون مرة أخرى بزمام هذا المشهد وتلك الضحية المثيرة للفضول. ترك "توريز" الممر الذي كان يقف فيه وغادر الشرطيان المكان من الجانب المؤدي إلى أرصفة نهر "ساون".

بينما كانت تسير على رصيف "بوندي"، عبرت ذكرى جديدة أفق خيال "كابستان" من خلال المباني الممتدة على طول الشاطئ والتي تمتاز بواجهاتها الملونة بمزيج ما بين اللون الأحمر والأصفر على طريقة مباني مدينة "فلورنسا" الإيطالية، مما يبرز روعة الطراز المعماري لمدينة "ليون". على اليسار يظهر تل "كروا-روس" بشموخ حيث تعانق قاعدته هذا النهر العتيد. وفي الجهة المقابلة على اليمين، يضرب تل "فورفيير" بجذوره في حي "رونيسانس" ويشرئب بقمته حتى نهاية برج الكنيسة الذي هو أعلى نقطة في المدينة، كأنه قاب قوسين أو أدنى من السماء.

هنا، على هذا الشاطئ الساحر المحدب قضت "كابستان" أجمل سني شبابها، حين كانت تدرس بالمدرسة الوطنية العليا للشرطة في "سان سير أو موندو". كانت تقطن أحد المباني القديمة ذات الحوائط السميكة والأبواب ذات النقوش البارزة، لم يكن هناك مصعد، بل سُلَّمٌ تشهد درجاته على صعود ونزول السكان لعشرات السنين، بالإضافة إلى الستائر الخشبية الكبيرة التي ما إن ترفعها حتى ترى أمامك منظرًا رائعًا خلابًا حيث نهر "ساون" الذي لا يفارق النافذة أبدًا.

كانت "آن كابستان" على استعداد أن تصل الليل بالنهار منتظرة لساعات دون حراك أمام الجمال الساحر لهذه المدينة، لاسيما في الثامن من ديسمبر حين كانت حواف نوافذ المدينة تتزين بآلاف الشموع الراقصة، ثم تخرج

العائلات لزيارة مدينتهم، يسبقهم بحوالي مترين أو ثلاثة بحد أقصى جموع الأطفال الذين يركضون بحماس مشتعل في هذه الليلة الاستثنائية ليقطعوا صفوف الزبائن الواقفين بانتظار دورهم أمام عربات السجق المدخن، ومن ورائهم تشرق واجهات جميع المباني بأضواء مبهجة. كانت هذه الأضواء بمثابة إشارة لقدوم الشتاء قبل أن ينتشر الأمر ويصبح حدثًا سياحيًّا.

كانت "كابستان" تقضي معظم لياليها في مدينة "ليون" الساحرة بجوار النافذة تحدق شاخصة وكأنها تتلقى وحيًا من السماء. على الجانب الآخر من الرصيف، رأت "بول" يغادر بائسًا حاملًا دلوًا من الطلاء، كانت تعلم يقينًا أنها لن تحب أحدًا غيره طيلة حياتها.

18

"ليون"، مارس 1992

كان "بول" جالسًا على أريكة الاسترخاء المهترئة من ماركة "أيكيا"، يتأمل حافة زجاجة البيرة، سائلًا نفسه؛ ما الذي دفعه إلى التصرف بهذه الطريقة. أجابه "دوني" زميله في فرقة "ليه بليرو"، الذي كان يجلس في الكرسي المقابل له، مؤكدًا أنه تعامل مع الموقف بطبيعته وباعتباره واحدًا من أعضاء فرقة "ليه بليرو"، وأنه لو ظل يفكر فيما حدث ثلاثة أيام متواصلة فلن يغير ذلك من الأمر شيئًا.

كان "بول" رجلًا يحب الاستعراض والتباهي، لذا تراه يتأرجح ما بين النقاء والجفاء، الذكاء والغباء. وحتى لو لم تكن هذه شخصيته الحقيقة إلا أنه كان يعشق الشعور بالأدرينالين الذي يسري في أوصاله، والذي يحرره من كل القيود وكأنه يملك الدنيا بأسرها. لقد كان دائمًا نجم الفرقة الأول، وقائدها المسيطر صاحب الطلة المميزة. كان حقًا بمثابة العمود الفقري للفرقة. وعلى الرغم من أن شهرة الفرقة كانت ما تزال محلية، فإن خشبة المسرح كانت مشتعلة بنجاحهم، ترى الجمهور يحييهم ويتغنى بأسمائهم

كصافرات إنذار باريسية مما جعل "بول" يتألق أكثر فأكثر. كان دخوله للمسرح أشبه بدخول الفاتحين الغزاة الذين يتملكهم الغرور والعظمة، تراهم يوزعون الإيماءات والبسمات وإشارات اليد مثل الصدقات على الحشود الغفيرة. كان جميلًا بشوشًا متفردًا في كبريائه.

لم يلعب قط دور "دون جوان"، وليس له مغامرات عاطفية، كان قلبه الرقيق يبحث دومًا عن الحب الخالص، فهو ضعيف أمام هذا النوع من الحب حتى وإن كان عابرًا.

كان عاشقًا ولهان لا ترى عيناه سوى حبيبة واحدة طغى وجودها على كل من عداها حتى أصبح الجميع في وجودها مجرد هواء. تملكت "بول" رغبة يحفزها النجاح الذي وصل إليه في أن يسحق كبريائها، ويستجمع شجاعته وقواه ويقول لها:

- هل أنتِ مدركة لهذه الفرصة؟ هل تعلمين عدد أولئك اللاتي يحلمن بأن يكن مكانك؟ ومن بينهن جميعًا اخترتكِ أنتِ لتحظين بهذا الشرف.

كان يخشى ألا تدرك ذلك وحدها، يا له من أحمق! أما هي، فكانت تظن أنها تستحقه بكل جدارة وأنَّ الأمر لم يكن كما يُخيل له. كانت معجبة به إلا أن غرورها منعها من البوح بذلك. ابتسمت له ابتسامة خفيفة وأومَأت له برأسها، ثم عادت إلى بيتها لتخلد إلى النوم، تاركة إياه في ملهاه غارقًا في غروره.

يستمر الأحمق ذو الثلاثة والعشرين عامًا في الشرب حتى الثمالة. رفع ذراعيه وابتسم ابتسامة نصر قائلًا لأصدقائه المحيطين به:

- أنا على علاقة بشرطية المستقبل يا رفاق! نعم شرطية! لكنها ليست قبيحة، بل متفجرة الأنوثة!

كان سعيدًا فخورًا فقد حقق نجاحًا باهرًا في هذه الليلة، لا سيما بين هؤلاء الرجال. صفق بحرارة وشرب بغزارة. لكن ابتداءً من اليوم التالي ستنقطع علاقته بـ"آن"، فقد جرح كرامتها ومس كبرياءها. تلك الفتاة التي لطالما كان الكبرياء من صفاتها الأصيلة والتي لم يكن عليها أن تتخلى عن كرامتها من أجله.

اتصل بها بعد ثلاثة أيام معتذرًا بكل ما تسنى له من كلمات وما تيسر له من حركات بأعمق ما أوتي من إخلاص. فأجابته باقتضاب:

- نعم، نعم. أتفهم ذلك.

ثم أغلقت الخط. لم يكن يملك أي حل سوى التحديق في حافة زجاجته في يأس، غارقًا من أعماقه في العجز، أمام رفيقه الذي نفد صبره. لقد وأد بيديه قصة حبه الأجمل كصبي أهوج في بداية أيام المراهقة، لقد دمر المعنى الحقيقي لحياته.

- هون عليك يا "بيبير"، لن تظل على هذه الحال طيلة حياتك.

يناديه رفيقاه في فرقة "ليه بليرو" باسم "بيبير". وهو تصغير لاسم الممثل "روبرت ريدفورد"، هذا على اعتبار الشبه الذي بينهما. ومن ناحية أخرى، كانت هذه طريقة لتهدئة غروره بعض الشيء غير أنها لم تفلح في نهاية المطاف.

- ماذا الآن؟ أتريد أن تبقى على هذه الحال؟ إما أن تتخلى عن هذا الأمر كله أو أن تفعل المستحيل، ولكن لا يمكنك أن تمتنع عن الطعام والخروج وتجلس هكذا لتتأمل زجاجات البيرة لساعات. ماذا تريد أن تفعل حقًّا؟

أشاح "بول" بنظره عن حافة الزجاجة وأخذ يفكر فيما سمعه متسائلًا: ما عساه أن يفعل؟ هل لا تزال هناك فرصة ما؟ هل ما زال على استعداد لأن يفعل أي شيء ليصالح "آن"؟ لم تخطر على باله أي فكرة

ذكية أو مبتكرة. كل ما جال في خاطره في تلك اللحظة أن يأخذ دلو الطلاء الموجود في ردهة المنزل ويكتب لها "أحبك" بأحرف كبيرة أسفل منزلها. كان ذلك كل ما رغب به. يا له من مراهق!

ثم باح لصديقه بما كان يجول في خاطره:

- تعرف لو أنني كنت أصغر من ذلك لذهبت لأكتب لها أسفل نافذتها "أحبك". لكنني كبرتُ على مثل هذه التصرفات.

قام صديقه "دوني" من على كرسيه وحرك ساقيه ليُنزل أرجل بنطاله الجينز على حذائه ذي الرقبة، وأطفأ سيجارته في منفضة السجائر الممتلئة على طاولة القهوة وقال له:

- حسنًا، فليكن هذا إذًا، قم وتعال معي.

ارتدى سترته من ماركة "شوت" وتأكد من أنه يحمل مفاتيح سيارته وأمسك بالمقبض المعدني لدلو الطلاء دون حتى أن يلتفت إلى "بول" أو يأخذ رأيه، إلا أنه هبَّ واقفًا على قدميه وأمسك بالفرشاة. وانطلقا.

وصل الصديقان في سيارة "فولكس فاجن" إلى رصيف "بوندي" أسفل البناية التي تسكنها "آن".

قال "بول" لصديقه:

- أوقف السيارة في الصف الثاني، لن أستغرق الكثير من الوقت.

نزل من السيارة بحذر شديد بسبب بيرة "كارلزبيرج" المعتقة التي شرب منها الكثير، تتسارع دقات قلبه حتى مائة ألف في الدقيقة، حاملًا على ذراعه دلو طلاء يزن ثلاثة كيلوجرامات من "الأكريليك" الأبيض. كانت فكرة سخيفة وميؤوسًا منها، لكنها كانت آخر خيط أمل يتعلق به.

– أنت تراقب الطريق يا "دوني" أليس كذلك؟ إن اعتقلتني الشرطة فسيركل أبي مؤخرتي.

أومأ "دوني" برأسه وخرج من السيارة يلتفت يمنة ويسرة ويراقب الطريق بعيون يقظة، كان ذلك في الرابعة صباحًا والهدوء يعم المكان. ظل "بول" يحاول فتح دلو الطلاء بمفاتيحه لبعض الوقت ولم يفكر في استخدام مفك البراغي، وأخيرًا تمكن من فتح الغطاء. انغمست الفرشاة في الدلو لتخرج متشبعة بالطلاء الأبيض الفاتح.

ألقى "بول" نظرة خاطفة على العمارة، كانت شقتها في الطابق الثالث حيث كل الأضواء منطفئة فلا شك في أن "آن" كانت نائمة في هذه الساعة المتأخرة من الليل. أدار "بول" ظهره لتلك النافذة السوداء، شعر بالحماقة لكنه كان مضغوطًا ومضطربًا، ربما لتصرفه الصبياني هذا أثر في نفسها وتسامحه على إثره. شعر بالسوء الشديد تجاه نفسه، فها هو يحاول أن يصلح طيشه بطيش آخر. كان يتألم من داخله، إلا أنَّ محاولة إرضائها كانت تدفعه إلى هذا التصرف.

بدأ يكتب بحروف كبيرة على الرصيف، كان الأسفلت متسخًا ويكسوه التراب، حتى أن "الأكريليك" لم يلتصق به وعادت الفرشاة مغطاة بالتراب الذي لطخ الطلاء في الدلو.

كانت قطرات العرق تدخل في عيني "بول" وهو يمسح جبينه بكمه، كان يشعر بالحرارة. لم تفلح محاولته الأولى لكنه أعاد الكرة وغمر الفرشاة بالطلاء حتى بدت كأنه صب عليها الطلاء صبًّا، بدأت الحروف بالظهور، كتب اسمها ثم تابع حتى وصل إلى حرف الباء من كلمة "أحبكِ" وهنا بدأت قطرات المطر تتساقط غاسلة الطلاء من على الرصيف، وسرعان ما ذاب "الأكريليك" في الماء.

لم تصمد الرسالة طويلًا أمام سيل المطر المفاجئ الذي جرفها، حاول "بول" إصلاح الكلمات وتداركها إلا أن المطر سقط وابلًا على الرصيف بلا هوادة خالطًا الطلاء الأبيض بالمياه المتسخة من أتربة الرصيف. لم يكف "بول" عن المحاولة مرارًا وتكرارًا، بحماقة وعناد رغم أنه كان يعلم تمامًا أنه هُزِم. جرت أمامه بركة واسعة من اللون الأبيض المخفف وأخذت تتدفق نحو البالوعة إلى أن سقطت فيها، كأنه مجرى نهر. جثا "بول" على ركبتيه على الرصيف ممسكًا بالفرشاة في قبضته وإذا بصديقه يناديه فقد أتت سيارة وكان عليهم الانطلاق. نهض "بول" من على الرصيف مثقل الكاهل وأخذ الدلو وعاد إلى السيارة الـ"فولكس فاجن" وكتفاه منخفضتان وشعره مبلل، وهو يجر أذيال الخيبة.

استلقى على المقعد الأمامي في صمت، وكذلك فعل صديقه الذي لم ينبس بكلمة واحدة. أدخل المفتاح ثم أدار المحرك، ما كاد يتحرك حتى توقفت سيارة بمحاذاتهم على اليمين، فتح "بول" نافذة السيارة فوجد أباه. لم يكن يرغب في الضحك هذه الليلة، تمامًا مثل والده الذي لا يرغب أبدًا في الضحك، ربما يتفاهمان ولو لمرة. سأل "روفوس" ابنه بنبرة قلقة:

- هل كل شيء على ما يرام؟ ماذا تفعل هنا في هذه الساعة؟ هل خرجت من الملهى للتو؟

قوبلت الأسئلة بتجاهل تعجز الكلمات عن وصفه، فهز "روفوس" رأسه باستياء واضح. وحين عاد "بول" -وهو عابس الوجه- إلى مقعده لإعادة تشغيل السيارة، رأى رجلًا يجلس في المقعد المجاور لأبيه، ويتناول حلوى الكراميل بقلق.

19

لم تفارق "كابستان" صورةَ "بول" في هذه المدينة وأثناء هذا التحقيق، لقد عانت بشدة لأشهر من أجل انتزاعه من خيالها، كان استرجاع الأحداث بالتفاصيل يستنفد قدرتها على التحمل. لم تستطع التخلص من تلك الابتسامة العريضة ولا تلك النظرات الساحرة، ولا كل تلك الذكريات السعيدة، كانت كل جهودها من أجل تغيير الموضوع تذهب سدى في كل مرة.

بسبب غرقها في الماضي وذكرياتها، اعتمدت "كابستان" على فريقها بشكل كامل في هذا التحقيق من أجل الوصول إلى نتيجة بدلًا منها، بينما في المقابل كان فريقها -هو الآخر- يعتمد عليها في هذا التحقيق بالذات أكثر من غيره منتظرين منها حلولًا ورؤى غير عادية. كانت كل مهاراتها شبه معطلة بسبب حيرتها بين قلبها وعقلها. حاولت جاهدة أن تبني حصونًا منيعة حول قلبها كي تستطيع التركيز في عملها، غير أن سيل القضايا المؤلمة في فرقة حماية الأحداث - التي كانت تعمل فيها وقتها - أثَّر فيها بشكل كبير، بل كان ذلك سببًا في تركها لرفيقها ومغادرة تلك الفرقة.

عندما كانت شابة قادتها روحها المرحة الهانئة إلى رجل وسيم طريف، كانت بصحبته تسبح في بحر متلألئ تحت شمس شهر أغسطس الساطعة لكنَّ حِمْلها الثقيل في شرطة باريس كان قد ارتفع من الأعماق المظلمة

ليمسك بكاحليها ويسحبهما إلى الأعماق، فابتلعت الكثير من الماء، وغالبًا ما كانت تلوِّح بذراعيها بشدة معلنة استسلامها للأمر الواقع في صمت شديد.

ومن ثمَّ هجرها رفيقها وتركت العمل في فرقة حماية الأحداث. ومنذ ذلك الحين وهي منزوية عن كل شيء إلا فرقتها. كانت تهرب من النهايات الحزينة والأخبار السيئة كي تحافظ على سلامها النفسي، والذي بات شيئًا صعبًا على كل حال، إلا أن عودة "بول" أعادت إليها الأمل، فألقت بها في النهاية على البر أو ربما تكون قد محت آثار وحدتها إلى حد ما.

لم تكن "كابستان" تعرف بعد.

تمكن باقي أفراد الفرقة من اللحاق بهم بعد الظهيرة. التقى كلٌ من "لوبروتون"، "روزيير"، "لوويتز"، "داكس"، "ميرلو"، "إيفرار"، أورسيني" و"سان-لو" أسفل عقار "فولووسكي". تفاجؤوا جميعًا ببرودة الجو باستثناء "لوبروتون" و"أورسيني". كانوا يحكون أقدامهم في الرصيف ليشعروا بشيء من الدفء. وبدورها وضعت "روزيير" كلبها "بيلو" بكوفيتها. وبينما كانوا يتحدثون، تكونت حولهم هالة من البخار ممزوجة بدخان السجائر.

انضمت "كابستان" إليهم، بينما ظل "توريز" خلفهم ببضعة أمتار، وبعد أن عرفوا ملخص أحداث الصباح، وُزِّعتْ عليهم المهام. كان على كل من "ميرلو" و"إيفرار" و"داكس" و"سان-لو" أن يُمَشِّطوا المناطق المحيطة ويعرضوا رسمة الجاني التقريبية وصورتي "روفوس" و"ميلون". كان "سان-لو" سعيدًا بفكرة مسح هذه المنطقة التي تعود إلى عصر النهضة، والتي كان يعرفها سابقًا إذْ كانت على مسيرة شهر من العاصمة بالحصان. أما باقي أفراد الفرقة فسيتولون أمر الجيران بعد أن يفحصوا الشقة جيدًا. تفرقوا بعد أن عرف كل منهم مهمته.

بمجرد وصولهم إلى بسْطَة السلم، رفعت "كابستان" الشريط الأصفر ليدخلوا، وقالت:

– من غير أن نلمس شيئًا، سنفحص الشقة وندون الملاحظات ثم نغادر ونتركها على حالتها نفسها لزملائنا في "ليون".

كانوا يتجولون بحذر في أرجاء الشقة الواسعة، كانت أرضيتها من خشب البلوط القديم الملمَّع، وجدرانُها بيضاءَ مدهونة بالجير، ومسقوفة على الطريقة الفرنسية. لقد كانت في "ليون" القديمة إلا أن تجديدها كان ذا جودة فائقة، يبدو على الأثاث الفاخر كأنه جاء مباشرة من أجود محلات التحف. لم يكن بها لا كتب ولا مجلات إلا رِزمة من الجرائد اليومية. اقتربت "كابستان" من صف الصور المعلقة على الحائط، فرأتْ صورة زفاف بالأبيض والأسود لا بد أنها التُقطت في الثلاثينيات وهما على الأرجح والدا الضحية، وصورة أخرى تجمع عددًا من الطلاب على مقعد حجري أمام مباني جامعة "ليون" الثالثة، وبضعَ صورٍ أخرى للأصدقاء وكذلك صورة امرأة، يرجع تاريخها كلها إلى الثمانينيات والتسعينيات ولا تحتوي أيٌّ منها على "أليكسي".

استدارت "كابستان" وتفقدت بعينيها الغرفة سريعًا، لا وجود لأي مرآة. يبدو أن "فولووسكي" لم يطق النظر إلى وجهه، ويبدو أيضًا أنه يعيش وحده منذ عشرين عامًا. كان "ميلون" يعيش نمط الحياة نفسه تقريبًا.

في غرفة المعيشة الكبيرة، كانت هناك أريكة تحتل الزاوية، عريضة مخملية لونها بيج، وأمامها شاشة سينمائية مسطحة. كان الضحية يمتلك الكثير من المال لكنه لم ينفقه في شراء فيلا فاخرة، بل كان –وفقًا لتقدير "كابستان"– ينفق خفية وبحذر شديد دون تبذير، وحتى هذه الشقة فقد صارت بهذه السعة بعد دمجها مع الشقة المجاورة. أعادت المفتشة

التفكير في المُبَذِّر "جاك مير" وفي مصادر أمواله الغامضة. إن هذه الأموال هي مفتاح من مفاتيح القضية.

يبدو أن "روفوس" هو الوحيد الذي لم يحظَ بثروة، وكذلك هو الوحيد الذي تعرض للضرب، ربما لم يكن ذلك لإرغامه على الكلام، بل كان مجرد عقاب، كما أن دوره في القضية مختلف عن دور الضحيتين الأخريين. ما الخطب إذًا؟

شرطي قاسٍ، وأب سخي، ومُعَذِّب رقيق. أين عرف هؤلاء الأشخاص شديدو التباين بعضهم بعضًا؟ من قضى عليهم؟ كم كان عددهم؟ وهل سيكون هناك ضحايا آخرون؟ أم أن هذا هو آخر من بالقائمة؟

لم يكن هذا من أساليب القاتل المتسلسل، فنحن أمام عدد محدد من الضحايا. كانت المفتشة على يقين من ذلك. ولكن في الوقت نفسه فإن القائمة قد تصل إلى 7 آلاف في حالة إذا أراد القاتل الانتقام من كل الأسماء المذكورة في كتاب دليل التليفون.

وبمجرد أن فتحت "روزيير" الخزانة الموجودة بغرفة المعيشة وجدتْ رفًّا كاملًا مملوءًا بعلب حلوى "كواليتي ستريت"، فهَمْسَهَسْت قائلة:

– يا عجبي! إن لم يكن بد من أن ينتشي، فكان يجدر به تعاطي الهيروين مباشرة، إذ كان سيوفر له المساحة. انظروا إلى هذا!

أمسكت "روزيير" علبةً عشوائيًا وهزَّتها، فتردد صدى صوت خافت، ففتحت الغطاء وقهقهت قائلة:

– يبدو أن هذا المسن لم يكن يحب قطع الحلوى ذات الغلاف الأحمر، إلا أنه بالرغم من هذا لم يرد التخلص منها، بل ملأ بها هذه العلبة.

ثم فتحتْ علبة أخرى أو علبتين مما لم يعودا مغلقتين بالشريط اللاصق وقالت دون أن تشعر:

- فارغة كما توقعت. لحظة! قد يبدو كلامي تافهًا، ولكن كي تستطيع أن تأكل هذا القدر من الحلوى لا بد أن يكون لديك أسنان جيدة والكثير من المال. يبدو الأمر غير طبيعي حقًا.

قال "أورسيني" بنبرة مريرة واضحة:

- بالنسبة لمسألة المال، فلم يكن الرجل على الأرجح يفتقر إلى الموارد، أما من حيث الذوق فرداءته واضحة، إذ كان يستطيع أن يشتري من متجر شوكولاتة "فوازان" و"برناشون" أو غيرهما في المدينة، وسيكون هذا أفضل من هذه المواد الضارة المصنعة. ربما كان يعاني الحرمان في طفولته، لذلك منح نفسه الكثير من الكراميل الذي كانوا يحرمونه منه. مجرد وسيلة انتقام طفولية.

اعترضت "روزيير" قائلة:

- حلوى "كواليتي ستريت" جميلة جدًا، يحضرها لي ابني كل عام في عيد الأم.

هزَّ "أورسيني" كتفيه غير مبالٍ وفتح الأدراج وفتش المكتب بحثًا عن المستندات والأدلة غير مكترث بزميلته التي غادرت ببساطة، ثم توقف واستدار حول نفسه ببطءٍ ليجوب المكان بعينيه، كان كل شيء مرتبًا ونظيفًا، لكنه في الوقت نفسه بلا روح ولا هوية، فلا شيء يشير إلى شخصية المالك، مما جعل الضباط مكتوفي الأيدي. ويبدو أنه يحتفظ بوثائقه الإدارية في مكان ما، لا بد أن لديه خزانة رقمية.

وفقًا لكلام "كابستان" فإن ضباط "ليون" قد جمعوا الإقرارات الضريبية وبعض مفردات الراتب القديمة لكنهم وجدوا فيها أرقامًا صغيرة للغاية. كما أنه ليس لديه حسابات. في النهاية أخذوا حاسوبه وجهازه اللوحي ليفحصوهما، وتركوا الطابعة بأسلاكها التي تتدلى بطول المكتب. ازداد وجه "أورسيني"

عبوسًا، إذْ لم يترك أيٌّ من الضحايا أثرًا خلفه يساعدهم في بحثهم عن الجاني. ليس أمامهم إذًا سوى الجاني الذي بإمكانه أن يفسر لهم كل شيء، هذا طبعًا إن وصلوا إليه. وفي هذه الأثناء سأل "لوويتز" "روزيير":

– هل يقدم لك ابنك حلوى "كواليتي ستريت" في عيد الأم؟

فأجابت بتحدٍ:

– نعم! مع باقة من الورود، ولا ينسى ذلك أبدًا، وعلى كل حال هذا أفضل من تقديم العطر كل عشر سنوات، وأؤكد لك أنه عندما يحضرها لي، فإنني آكل الحلوى قبل أن أقص سيقان الورود حتى.

وقف "لوبروتون" أمام الأرفف واضعًا يدًا في جيب بنطاله الجينز والأخرى يدلك بها رقبته وهو يسترجع بانتباه الذكريات التي تجول بخاطره: مدينة "إيل سور لا سورج" والجنازة. الرجل الذي كان يراقب الحشد بالكنيسة ثم اختفى بمجرد أن نظر إليه "لوبروتون".

اتجه "لوبروتون" نحو "كابستان" التي كانت تمعن النظر في لوحة فوق منضدة وهي تربط شعرها وقال:

– هل معكِ صورة للضحية؟

فأجابت وهي تخرجها من حقيبتها الكبيرة:

– نعم، معي صور الجثة ونسخة من مستندات هويته.

استعرضهم "لوبروتون" سريعًا قبل أن يعيدهم إليها ثم قال:

– كان الضحية يعرف "ميلون" فقد حضر جنازته.

قالت "كابستان" في نفسها "هذا ما كنت أتوقعه". وهكذا بدأت تتشابك خيوط القضية لكن دون أن نعرف حتى الآن ما هي طبيعة العلاقة بينهما. سألته "كابستان":

– هل كان يعرف العائلة والأصدقاء؟

فأجابها:

– لا، على ما أعتقد، لقد كان يراقب المشهد من بعيد مثلنا تمامًا.

فقالت وهي تدوِّن:

– طيب، لا يبدو لي أننا سنجد شيئًا مهمًا في هذه الشقة، لكن لو وجدنا أي شيء يشير إلى "بروفنس".. أنا ذاهبة لتفقد الغرفة والحمام.

أومأ "لوبروتون" برأسه وذهب إلى المطبخ. فتحت "كابستان" خزانة الحوض حيث توجد المرآة الوحيدة في الشقة، ولم تكن تحتوي الخزانة على حقيبة العناية الشخصية ولا ماكينة الحلاقة ولا فرشاة الشعر. وجدت على اللوح المثبت عليه الحوض كأسًا به أنبوبة معجون وفرشاة أسنان، فتذكرت "كابستان" جثة المجني عليه، فقد كان حليقًا وشعره ممشط بعناية، ومع ذلك فقد نسي أن يضع فرشاة أسنانه ومعجونه في الحقيبة التي أعدها قبل أن يرحل.

بدَتْ أدراج طاولة السرير مِثلُها مثل أرفف الخزانة مليئة بصفوف مرتبة بعناية من الملابس الداخلية والقمصان والتيشرتات والسترات الصوفية. يبدو أنه لم يضع كثيرًا من الأشياء في الحقيبة التي أخذها معه.

كانت صينية الإفطار وصحيفة "لو بروجريه" ما تزالان فوق الفراش المبعثَر. يبدو أن نيران الخوف كانت تدفعه دفعًا نحو الهرب.

وقف "توريز" في منتصف الممر شابكًا ذراعيه فوق سترته المُزرَّرة وكان يحدق في لوحة تجريدية كما لو أنه يلومها على شيء ما. وبينما تشاركه "كابستان" أفكارها أومأ لها برأسه، ثم حرَّك ذقنه وهو ينظر إلى اللوحة قبل أن يتوجه إلى غرفة الجلوس وقال:

- علينا تفتيش غرفة الجلوس وبما أنه أغلق الباب، فربما يكون قد ترك حقيبته هنا ثم وجد نفسه محاصرًا، وإن لم يكن هذا هو ما حدث، فقد أخذها القاتل.

- نعم، هذا هو الاحتمال الأكبر. لا أدري لماذا أطيل التفكير في هذا، لكنني يجب أن أعترف بأنه من العجيب ألا نجد في هذه الشقة أي متعلقات شخصية، لم نجد إلا خمس صور وعلب حلوى وبعض أجهزة التحكم، أهذه حياة طبيعية؟!

- هل فتشتم العلب؟

- نعم، فكرت "روزيير" في هذا، ففتشها "لوويتز" ولم يجد شيئًا.

حدق "توريز" في ساعته ونقر عليها بحركة مألوفة يفعلها بسبَّابته ثم قال وهي يفتح الباب:

- الساعة السادسة مساءً، أنا جائع. أراكم غدًا.

سيكون حجز المطعم لتسعة أفراد أقل صعوبة من عشرة. هذا إن كانوا يسمحون بدخول الكلاب والفئران.

اجتمع أعضاء الفرقة معًا حيث أخذوا طاولة كبيرة بالقرب من نافذة عليها ستارة صغيرة مزركشة باللون الأحمر والأبيض. كانوا قد استفادوا بأعجوبة من إلغاء حجز فريقٍ من مندوبي المبيعات. يُعتبر هذا المطعم واحدًا من أشهر المطاعم وأكثرها ازدحامًا في "ليون". و"الأشهر" هنا تعنى أن المالك يتحدث إليك كما لو كان عليك شكره والامتنان له لاستضافته لك في مطعمه الشهير. كان المكان صغيرًا، دافئًا ومليئًا بالأرفف المائلة التي تحتوي بقدر لا بأس به على أواني طهي نحاسية، وكؤوس على

شكل كرات، وبراويز صغيرة معلقة بها اقتباسات فلسفية تتحدث عن المصداقية والقيادة وفوائد النبيذ. تطل صالة الطعام على المطبخ مباشرة، حيث يمكنك رؤية الطهاة والنُّدُل، ويزداد الجو صخبًا مع قرع الطاسات عندما يهزونها على النار بشدة.

لعبت "كابستان" دور الفتاة المحلية ونبهتهم أن الوجبات في هذا المطعم ليونية أصيلة، وأنهم بحاجة إلى أن يشمروا عن سواعدهم ويعمروا جيوبهم، وإذا كان منهم من يشعر أنه دون المستوى فالأفضل له أن يغادر على الفور. تنحنح "ميرلو" من يقينه بكلامها وطلب في البداية ثلاث زجاجات من نبيذ "كوت دو رون"، ثم أخذ يعقب على قائمة المطعم فقال وهو يومئ بعينه إلى "روزيير":

- آه! دجاج "بريس" يا رفاق، إنها دجاجة ممتلئة بحق مثل التي عندنا.

بدا على عيني "روزيير" الخضراوين قليل من الإعجاب بمدحه. ثم سأل "إيفرار" وهو يشير إلى سطر في القائمة:

- وهذا الصنف ما اسمه؟

فردت عليه:

- صدر البط.

- آه، لقد قرأتها صدر المنحط.

وبعدها بقليل، ضحك "ميرلو" وانحنى نحو صديقته وقال لها:

- ظننتُ المكان سيكون مملًا.

كان النقيب يشعر بأنه في مكان وديٍّ، مكان يسمح له بأن يُخرِج طاقته دون حرج. كان بإمكانه مزاحمة الآخرين في أطبقاهم، وتلطيخ قميصه من دون أي عقاب، كان يشعر أنه بخير كما هو حاله معهم دائمًا.

نجح "ميرلو" وحده في الحصول على شبه إجابات بخصوص رسمة الجاني التقريبية؛ ومفادها أن الخباز في شارع "سان بول" كان قد باع ثلاث قطع من الكرواسون إلى رجل يشبه الجاني. لكن كان شعره أقصر من الصورة، يبدو أنه قد حلق شعره مع ازدياد جرائمه بدلًا من أن يضع باروكة. والحقيقة أنه كان قد أطال شعره قبل أن يبدأ سلسلة جرائمه كحركة استباقية منه.

وقفت النادلة عند نهاية الطاولة وهي ترتدي مريلتها. كانت ستينية لا صبر لها، شعرها قصير بلاتيني، كانت تمسك قلمها الصغير الذي وضعت سنَّه على دفتر الملاحظات، ثم أومأت بذقنها لتدعوهم ليطلبوا الطعام الآن. هنا، أدركت أنها قد نسيت الزجاجة الثالثة عندما لاحظت أن "ميرلو" يحدق بها وحاجباه مقوسان كحاجبي العقيد الساخط في فيلم "لا مادلون"، فأقرَّت وقالت:

– عذرًا.

ورجعت خطوة للخلف لتحضر زجاجة من على طاولة المشروبات.

وبعدها كانت أطباق المقبلات تُوضع على المائدة طَبَقًا بعد طبق، كان الشرطيون يناولون بعضهم بعضًا أطباق سلطة العدس بالخل وكوارع الخنزير والخيار المخلل. بعد أن أكلوا المقبلات لم يعد أحدهم جائعًا عندما جاءت الأطباق الرئيسية وهي "الكوينيل" وفطائر "بريوش" بالنقانق والسجق المشوي، لكنهم أجبروا أنفسهم على الأكل. طلب "ميرلو" زجاجتين أخريين.

خرج كلٌ من "لوبروتون" و"روزيير" أمام المطعم كي يدخنا السجائر في انتظار وصول التحلية التي كانت عبارة عن كريم كراميل وكمثرى بالنبيذ الأحمر. لم يكن هناك سوى مصباح واحد يضئ هذا الزقاق الواقع في منطقة شبه جزيرة "بريسكيل" في قلب "ليون". كان الليل شديد العتمة وبخار الماء يغطي زجاج نوافذ المطعم.

كانت "كابستان" تُحدق في باقي الفريق الذين أتخموا من كثرة الأكل حتى أن كراسيهم كادت أن تشتكي. البعض منهم كانوا يتحدثون بصوت عالٍ، بينما البعض الآخر كانت عيونهم شاردة حيث اكتفوا بحالة النشوة والارتخاء التي أصابتهم بعد تناول الطعام. في هذه الأثناء، ظهرت رسالة على تليفون "كابستان" أرسلها "توريز" يقول فيها: "لقد وجدت الحقيبة".

لحقت "كابستان" بـ"توريز" أمام المبنى حيث كان ينتظرها تحت هالة ضبابية تحيط بعمود إنارة، ثم فكَّ لها اللغز وهو يشرح لها مصدر إلهامه فقال:

- عندما كان ابني يدخن سرًا، كان يلجأ إلى إخفاء السجائر في خزانة عداد كهرباء المبنى حتى يكون متأكدًا من أن أحدًا لن يعثر عليها، لا نحن ولا إخوته ولا أخواته. أجل، أجل تمامًا كما يفعل مروجو المخدرات. لذلك قلت في نفسي، تخيل أن الرجل قد رأى اسمه في صفحة النعي فأراد الهروب بشيء مهم، لكن ربما ينتظره القاتل بالخارج، لذا وضع الحقيبة جانبًا قبل أن يلقي نظرة خارج المبنى ثم يعود ليأخذها إلا إذا قُتل.

أضاء الكشاف وهو يصعد أولى درجات السلم قائلًا لـ"كابستان" التي تبعته:

- وعليه فقد جئت هنا لأتفقد المكان.

فتح الخزانة وأشار إلى الحقيبة القماشية السوداء بالداخل وقال:

- ها هي.

خفضت "كابستان" رأسها لتستعيد الحقيبة من تحت العداد. في الحقيقة كانت تحتوي على القليل من الملابس وحقيبة عناية شخصية

صغيرة ومخطوطة ضخمة. لم يأخذ "فولووسكي" الحاسوب، بل اكتفى بالمخطوطة. قالت المفتشة وهي تُثني على جهوده في الوصول إلى الحقيبة:

- لقد وجدت شيئًا مهمًا يا "جوزيه"، والآن أتساءل إلى ماذا يمكن أن يقودنا هذا الاكتشاف؟

استيقظت "كابستان" مفزوعة على كابوس مليء بأطفال تحت أعينهم هالات سوداء فجلست تتنفس ببطء ليهدأ قلبها الذي كاد أن يخرج من مكانه. فجأة وجدت نفسها تغني بكل تركيز أغنية "جو داسان"، وهي أول شيء خطر على بالها وقتها في محاولة منها لطرد تلك الصور المخيفة، ثم راحت تنظر إلى الجدران البيضاء والستائر البيج والزخارف المألوفة. انتصر عليها ذلك الاحساس الموحش بالوحدة الذي يحاصرها منذ وصولها إلى هذا الفندق، فكرت حينها في أطفالها، أولئك الذين لم تنجبهم أصلًا.

عندما كانت شابة -شأنها شأن قريناتها- كانت تسخر من رفقاء البنات الأخريات وتقول عنهم أنهم مزعجون ولا يمكن تحملهم في الإجازات.. ثم تغيَّر كلامها شيئًا فشيئًا إلى أن توقفت تمامًا عن ذمهم، ثم كان القلق الصامت الذي تحول إلى جزع وخوف من أن يمضي عمرها هباءً. كان كل عام يمر عليها بمثابة صفعة تذكرها بأنه ربما قد فاتها قطار الحياة.

بمجرد أن اغتسلت وارتدت ملابسها، جلست المفتشة على طرف السرير وفتحت التليفزيون ثم أخذت تغير القنوات إلى أن صادفت مسلسل "فريندز"، ورغم أنها تعرف أحداث هذا الموسم حق المعرفة، فإنه قطعًا سيفي بالغرض. ظلت تشاهده بانتباه دون أن تفكر في شيء آخر إلى أن تلاشت تلك المشاهد السوداء من رأسها تاركة الخلايا العصبية تنعم بشيء

من السلام، ومع عرض الحلقة الثالثة كانت مستعدة للنزول لتلحق بـ"توريز" في بوفيه الفندق.

كان الملازم يجلس إلى طاولة منهمكًا في تناول الكرواسون واللحم البارد الموجودين أمامه، كان يأكل برويِّة ونظام، ورغم هذا كان فمه مملوءًا بالطعام حتى أنه رفع سكين الزبد ليرحب بوصول زميلته التي سألته:

- هل نمتَ جيدًا؟

حاول الملازم أن يبتلع ما في فمه ليجيبها إلا أن كمية الطعام بدت كبيرة على أن تُبلع على دفعة واحدة، فاكتفى بهمهمة إيجابية، ثم أتبعها بهمهمة أخرى معيدًا عليها سؤالها. فأجابته:

- وأنا كذلك نمت جيدًا جدًا، أشكرك. سوف أحضر لنفسي قهوة وطعامًا لأبدأ بهما يومي، هل أُحضر لك شيئًا؟

وضعت "كابستان" على المائدة طبق الخبز والزبدة والمربى وقطع الفاكهة وكذلك فنجان قهوتها قبل أن تجلس وتفرد منديلها وتقول:

- في بيتي، لا أتناول الطعام صباحًا قط، إلا أنني أغتنم الفرصة بمجرد أن أرى بوفيه فندق.

فرد "توريز":

- وأنا أيضًا، أتعلمين أنني راضٍ لمجيئي هنا، فالأطفال كانوا يعانون طوال الليل واحدًا تلو الآخر من نزلة معوية، ولا أدري كيف استطاعت زوجتي الرد على اتصالي هذا الصباح.

أراد "توريز" التخفيف من حدة الانطباع الذي قد يتركه كلامه فقال:

- بالتأكيد كنت أشعر بالشفقة عليها، لكنَّ شعوري الغالب هو الفرح للنجاة من هذه الفوضى.

ثم استطرد كلامه وهو يمضغ متأملًا:

- كلا، أنا أمزح لأن الأمر انتهى بالفعل. يمكن للنزلة المعوية أن تسبب ذعرًا رهيبًا. دعيني أخبرك بأنه عندما دخل ابني الأكبر المستشفى أول مرة، كان مزاجي متعكرًا جدًا، استمر الوضع لأربعة أيام وكان ذلك سببًا كافيًا لتغيير حياتي. فجأة ودون أي مقدمات تشعر وكأن الأرض تنهار تحت قدميك كأنك تقف على أرض رخوة، وأن وجودك بأكمله، وكل ما أنفقت من سنوات لبنائه أصبح متوقفًا على صحة إنسان واحد. إنه لإحساس صعب حقًا! تتسارع ضربات قلبكِ ويرتعش جسدكِ طوال الوقت. في الحقيقة، ما دمتِ لم تنجبي أطفالًا، فلن تعرفي معنى الخوف.

فردت عليه:

- وماذا عن الخوف من ألا يكون لك أطفال؟

ظل "توريز" بلا رد فعل لجزء من الثانية ثم خفض بصره وقال:

- أجل، أجل. لديكِ حق فعلًا.

ثم قطَّع لحم الخنزير الذي أمامه إلى شرائح وترك أدوات المائدة ثم استدرك قائلًا:

- كلا، في الواقع هذا غير صحيح، لأن اليأس من أن تمتلك شيئًا ما سيصبح مع الوقت حقيقة تتعايش معها، أما الخوف من أن تفقد عزيزًا فهو شعور مجرد وغامض. إن الرعب الحقيقي هو رعب الفقدان.

حدقت "كابستان" في عيون الملازم العذبة وسط شعر لحيته الطويل، ولأول مرة تتخلى عن ذرة من ضعفها، فهل أشفقت على نفسها؟ محتمل.

كانت ستواصل الحديث معه حول هذه النقطة وترد عليه بالحجة والمنطق إلا أنها رأته مرتبكًا ومحرجًا بسبب افتقاره إلى اللباقة في كلامه. أما

هو فلم يعرف كيف يواصل حديثه معها، فأدار الشوكة والسكينة بين كفيه الكبيرين، ومباشرة قبل أن يعاود تقطيع شريحة اللحم، تركهما وقال:

- أتعلمين أن أطفالي ليسوا مني، وكيف يكونون مني وهم أطفال أنابيب. لكن هذا لا يمنع كونهم أبنائي.

فأجابته "كابستان" وهي تبتسم بلطف:

- نعم، لا أشك في ذلك لحظة واحدة.

كانت القاعة ذات الستائر المشجرة تدوَّى بالأحاديث وتحيات الصباح وجلبَة أدوات المائدة والأطباق. كلما فتحت النادلة الباب لتزود البوفيه بعصائر الفواكه الطازجة أو الزبادي أو حافظ الماء المغلي انبعث من المطبخ أزيز غسالات المواعين وصوت ماكينات الإسبريسو. كما كانت روائح القهوة والخبز المحمَّص غالبة على المكان. جمع "توريز" الفُتات المتناثر على مفرش المائدة. وبالرغم من هيئته الصامتة وطلته الكئيبة فقد كان في حالة مزاجية جيدة هذا الصباح سمحت له بالتواصل مع زميلته.

ثم لفت "توريز" انتباه "كابستان" قائلًا:

- وأنا أيضًا لا أشك في ذلك، بيد أني أريد أن أضيف شيئًا: يمكننا أن نثور على كل شيء لكننا لن نغير الحقائق، فمثلًا لا يمكن لمكان ما أن يكون مسقط رأسك إلا إذا وُلدت فيه، ولا يمكن أن تكون أبًا إلا إذا زرعت بذرة أبنائك بنفسك، حتى وإن تركتهم قبل أن يبلغوا شهورهم الثلاثة الأولى. إن الأرض والدم هما السبيلان الوحيدان للنسب واللذان يقر بهما الجميع دون أدنى معارضة. وما عداهما لا يعدو كونه امتيازًا مؤقتًا وعليك أن تثبت بالأدلة والبراهين أحقيتك له.

ربما كان "توريز" محقًا، لكنه ليس أكيدًا على كل حال. ابتسمت "كابستان" له مجددًا وهي تعطيه قطعة كرواسون أخذها برضى واضح. أما هي فلم تكن تؤمن إلا بمبدأ الجدارة والاستحقاق.

وبعد ساعة، وقفت "كابستان" تنتظر المفتش "فاراموند" أسفل ساعة محطة قطار "لا بار ديو" حيث كان سيستقل الفريق القطار إلى باريس. رأته في الجهة الأخرى من ساحة المحطة وهو يسرع الخطى. توقف أمامها وهو يلهث قليلًا، ثم سلمها حافظة ملفات سميكة من الورق الأصفر المقوى وهو يقول:

– خذي، أعددتُ لكِ نسخة من قضية مثيرة للاهتمام، ستجدين فيها على الأقل اثنين من الضحايا وهما المفتش "روفوس" و"فولووسكي". أظن أنك ستجدين الثالث أيضًا لكنني لستُ متأكدًا.

حدقت "كابستان" في الحافظة وكانت تتوق إلى فك الأربطة المطاطية إلا أنها لم تستطع فعل ذلك في الحال أمام المفتش. وهكذا امتلكوا تفاصيل رجلين وربما ثلاثة في هذا الملف نفسه المسمى "ليون 1992". أخيرًا حصلوا على شيء يجمع الضحايا الثلاث.

– شكرًا أيها المفتش. ومن باب الأخذ والعطاء، خذ هذه الحقيبة التي وجدناها، هي تحتوي على مخطوطة احتفظت بنسخة منها، أرجو أن تسامحني.

صوب "فاراموند" نظره إلى الحقيبة بعينين مذهولتين وقال:

– ما هذا؟ وأين وجدتموها؟

– في خزانة عداد الكهرباء الخاص بالمبنى الذي يسكن فيه "فولووسكي".

– هذا مذهل!

فتح الحقيبة وأمسك بحزمة الأوراق وأخذ يقلبها بين يديه المشعرتين.

ثم قال لها:

- حسنًا، دعينًا لا نستبق الأمور، لا ندري إلى أي مدى ستتطور الإحالات، ومن الممكن أن تُسحب القضية منا..

- أجل، وربما لن يُشركونا فيها وستُسند إلى فرقتي التحقيقات الجنائية والبحث والتدخل. سوف نرى ما سيحدث، وحتى يحين ذلك الوقت، شكرًا على تعاونكم، لقد كان تعاونًا مثمرًا.

- كذلك كان تعاونكم أيتها المفتشة، يسعدني أننا عملنا معًا.

ابتسمت "كابستان" وصافحته ثم أسرعت كي تلحق بزملائها المجتمعين على الرصيف ومن دون أن تتحدث إليهم قطعت الرباط المطاطي العلوي لتتمكن على الأقل من قراءة اسم القضية.

"ليون - 4 أغسطس 1992 - سطو مسلح على بنك "مينرفا" - قتيلان وثلاثة جرحى".

أجل، إن الأمر ذو أهمية. كان التحقيق سيُسحب منهم في الوقت الذي بدؤوا يصلون فيه إلى خيوط القضية.

ملأ "توريز" غلاية الماء ووضعها على قاعدتها ثم ضغط على الزر، وبينما تسخّن الماء وضع الزبدة بالقرب منها لتذوب، وأخرج ستة أوعية ووضعها على طاولة المطبخ الموجود فوقها علبة حبوب غذائية وزجاجة حليب ومربى وسكاكين وملاعق صغيرة ومناديل ملفوفة على كل واحدة منها اسم فرد من أسماء العائلة، ثم وضع ثلاث شرائح من الخبز الأبيض في المحمصة وفتح كيس شاي زوجته ليفرغه في الوعاء. كان الماء ساخنًا، فصبَّه على الفور. راق لزوجته أن الشاي سيُترك قليلًا من الوقت ليبرد قبل أن تشربه.

ثم ملأ رضَّاعة حليب بـ240 ملم من الماء مع ثماني ملاعق من الحليب البودرة ورجَّها قبل أن يضعها على كرسي الأطفال المرتفع. أخرج شرائح الخبز الثلاث من المحمصة ووضع مثلها، ثم أخذ علبة طعام الأرانب المجفف واقترب من قفص "كاسياس" الذي لا يزال مفتوحًا. إما أن يكون هذا الأرنب ذكيًّا بحق، وإما أن يكون أطفاله مشاكسين بحق. تنهد "توريز" وصرخ في الشقة كلها بصوت عالٍ:

- أين "كاسياس"؟

فرد عليه ابنه الأكبر ضاحكًا:

- في "ريال مدريد".

تنهد "توريز" مرة أخرى ورأى أسرته بالكامل في المطبخ فراح يوزع قبلاته على الخدود ويهز الكراسي. كما وضع صغيرته "آخر العنقود" فوق كرسيها المرتفع، وفتح رضاعتها وظل واقفًا يقدِّم للجميع الحليب والشوكولاتة وشطائر الخبز المُزَبَّدة، ولم يرتشف قهوته إلا بعد ذلك.

كان حريصًا على أن يغسل الأطفال أسنانهم كما ينبغي بمجرد تناول الإفطار، وخلال هذا الوقت كانت في آخر مرحلة من تجهيز نفسها، وما إن انتهت حتى قبَّلتهُ ثم اصطحبت الأطفال في سيارتها لتوصلهم إلى المدارس والحضانات التي كانت قريبة من مسكنهم.

أمَّا "توريز" فقد رتب الشقة كلها وهوَّاها: المطبخ وغرفة النوم والحمام، وجمع الأشياء المبعثرة، ثم استمتع أخيرًا بقهوته في هدوء تام. بالتأكيد ذكره ذلك بمشهد من فيلم "يوم خاص" حيث كانت البطلة "صوفيا لورين" ترتدي ملابس رثة ومنهمكة في غسل ملابس عائلتها

التي غادر أفرادها البيت في الصباح دون أن يوليه أحد أي اهتمام. إلا أن "توريز" وخلافًا لــ"صوفيا" كان سعيدًا تمامًا.

انتهى "توريز" من تناول قهوته الصباحية، ثم فرد طاولة المكواة وقرَّبَ سلة الغسيل، وملأ المكواة بالماء ثم وصلها بالكهرباء وهيأ نفسه. ضغط بيمناه على مؤقت لعبة الشطرنج الذي اشتراه من متجر متخصص، وانتظر حتى تصل درجة حرارة المكواة إلى درجة حرارة التشغيل المثالية، وعند رنين الجرس التقط قميصًا، كان عليه كيه أولًا.

20

جلست "روزيير" ملتفة على نفسها فوق أريكتها البيضاء المصنوعة من الجلد بمنزلها الجميل الكائن بشارع "السين" تتأمل غلاف المخطوطة الشفاف التي وجدوها في "ليون". كانت لا إراديًا تداعب أذن "بيلو" الذي يستمتع باللحظة التي يرقد فيها بجانبها وعيونه مغمضة نصف إغماضة. لِزمَتْ التأملَ لحظةً قبل التركيز على ما يُتوقع أن يكون عنصرًا حاسمًا في قضايا المُسِنّين الثلاثة.

من الواضح أن "روزيير" الروائية المتمرسة قد وجدت نفسها مناسبة تمامًا للنظر في هذا الدليل المفيد المكون من 650 صفحة، وهو الورقة الرابحة التي احتفظت بها "كابستان" سرًا، لأنها كانت تعلم أن الوقت المتاح لديهم للنظر في قضية "فولووسكي" قليل، لأنه سرعان ما سَتُحول القضية إلى البحث الجنائي وبالتالي ستخسر كل التقدم الذي أحرزته. فعندما يُقدَّم ملف السطو الذي وقع في "ليون" على طبق من ذهب للإدارة العامة للشرطة الجنائية مع ما لديهم من أدلة أخرى فإنهم سيستغنون قطعًا عن خدمات فرقة "كابستان".

وعليه فقد رأت "كابستان" أنه إن لم يَطلب أحدٌ هذه المخطوطة فلا داعيَ للتنازل عنها، وإذا لم يصرح أحدٌ بوجودها فلن تُطلب. هذا

بالإضافة إلى أن فرقة "ليون" لن تزود الإدارة العامة بشيء من المعلومات ظنًا منهم أن "كابستان" ستقوم بهذا الدور، هذا على اعتبار أن تبادل المعلومات يجري بسلاسة بين فرق البحث المختلفة.

أخذت "روزيير" نفسًا عميقًا وقلبت الصفحة الأولى، فلم تنقلب بسهولة حيث كانت المخطوطة مجلَّدة ومكعبة بإحكام. ماذا يريد أن يقول "أليكسي فولووسكي" في هذا المجلد الضخم؟ هل سنجد الضحايا الآخرين؟ وهل كان يتمتع حقًا بموهبة الكتابة؟

وصلت "روزيير" إلى الصفحة رقم 102 عندما دوَّى في أرجاء المنزل مطلعُ مقطوعةِ "الربيع" لـ"فيفالدي". تساءلت النقيبة وهي تقطب ما بين عينيها وتنظر بحدة أكثر مما كانت عليه عن معنى ما كانت تقرؤه إذ لم يكن واضحًا بما فيه الكفاية.

أعقب اللحن على الفور نباح الكلب، الذي كان قد وثب على الباب بسرعة ليُعلِم مَنْ بالخارج أن ثمة أحدًا أيضًا بالداخل وأنه شرس. كانت النقيب قد بدأت تمل من مقطوعات "فيفالدي" لا سيما وأن الكلب لم يتوقف عن النباح منذ أن بدأت مقطوعة "الفصول الأربعة". لا بد أن "لوبروتون" قد جاء ليصطحبها معه إلى الاجتماع المزمع. نهضت "روزيير" وهي تتأوه تعبًا.

كان الرائد ينتظر على باب منزلها بفارغ الصبر واضعًا يديه في جيوب بنطاله. كان أمامهما متسع من الوقت لشرب القهوة قبل أن ينصرفا لحضور الاجتماع، حيث سيطلعان على آخر ما توصَّل إليه الفريق.

كانت "روزيير" ترتدي فستانًا أرجوانيًا يُربط من الأمام، وفوقه سترة طويلة من الكشمير الأبيض وتنتعل صندلًا ذهبيًا، وما إن فتحت الباب حتى ارتمى الكلب في أحضان "لوبروتون".

قالت "روزيير":

- أهلًا يا "لوي بابتيست"! أنا تقريبًا جاهزة، هل أعد لك فنجانًا من القهوة وأنا أجمع أغراضي؟

- مرحبًا "إيفا"! أجل هذا ممتاز.

تَبِعَها حيث دخلت، بداية بالمر الواسع مرورًا بغرفة المعيشة ثم غرفة الطعام وأخيرًا دخلا المطبخ حيث قعد "لوبروتون" على كرسي طاولة المطبخ المصنوع من الكروم الصلب. عرضت عليه "روزيير" عددًا هائلًا من كبسولات القهوة المختلفة، فأخذ واحدة عشوائيًا وبعد بضع ثوانٍ، وضعت "روزيير" على طاولة المطبخ الرخامية فنجانًا يصعد منه البخار وقالت له:

- اجلس واسترخِ قليلًا حتى أحضر حقيبتي وسلسلة الكلب، سأعود حالًا.

كان هناك شيء ما يثير اهتمام "لوبروتون" إلا أنه لم يستطع تحديده. فحص الديكور فوجد كل شيء بالضبط كما اعتاد أن يراه؟ فما هو إذًا؟

نزلت "روزيير" وغادرا المنزل برفقة "بيلو" الذي كان يمشي في دوائر. وبينما هم في شارع "السين" الذي تعلوه الأنوار المضيئة المقوسة، حيث كان يُشغل كل متجر جزءًا من أغنية عيد الميلاد "جينجل بيلز". هنا أدرك "لوبروتون" الشيء الذي كان يثير انتباهه؛ وهو أن "روزيير" ملكة ديكور عيد الميلاد بمقر الفرقة لم تعلق أي شيء في منزلها. يبدو أنها لن تحتفل بعيد الميلاد في بيتها هذا العام.

كان الجميع يملؤهم الفضول، كحشد كبير قبل عرض الحلقة الأخيرة من كارتون "مغامرات النحلة مايا". عاد "لوويتز" ويداه مملوءتان بعشر نسخ من الملف، وكانت "إيفرار" تنظف اللوحات وهي تدندن، أما "داكس" و"لوبروتون" و"سان-لو" فكانوا يرتِّبون الكراسي بينما كانت "روزيير" تتابع قراءة المخطوطة وكان "ميرلو" يصب لنفسه كأسًا، بينما كان

"أورسيني" جالسًا يحدق في اللوحات بجدية واضعًا ساقًا فوق الأخرى ويديه فوق كومة الأوراق الموضوعة على ركبتيه. وبالنسبة لـ"توريز" فلن يظهر قبل بداية الاجتماع ذلك لأنه كان مشغولًا في إجراء بعض المكالمات التليفونية لمعرفة مشتري الطلاء الذهبي المستخدم في الكتابة على النصب التذكاري.

ظلت "كابستان" واقفة تفكر أمام النافذة المرسوم عليها شُهب ببخاخ الثلج. مما لا شك فيه أن الجميع الآن صاروا يعرفون سياق القضية وطبيعة الصلة بين الضحايا. أصبحت القضية تستحق أن يتولى التحقيق فيها فرقتا البحث والتدخل ومكافحة الجريمة، هذا طبعًا في حال إذا علموا بآخر تطورات القضية. من جهتها، كانت "كابستان" لا تنتوي أن تعطيهم أي معلومة من تلقاء نفسها. بعيدًا عن هذا كله، أصبح لديها الآن سبب وجيه للتباطؤ؛ حيث بات عليها أن تتخذ قرارًا مهمًا بعد اكتشافها لورقة محورية ستغير مجرى التحقيق تمامًا. وقد أزالت "كابستان" هذه الورقة من النسخة المصورة التي حصلوا عليها أثناء تواجدهم في "ليون"، وأزالتها كذلك من النسخ التي أعطتها لأعضاء فريقها. كل الاحتمالات قائمة، ولا يمكن استبعاد شيء منها.

كانت "كابستان" تتأمل نافورة "الأبرياء" التي تلمع بالجليد، والناس بالخارج عبارة عن كتل من الصوف يمرون من متجر إلى آخر ورؤوسهم بين أكتافهم المرتفعة وخطوات مقيدة لكنها متعجلة. خرجوا من المحلات بصناديق مملوءة بالهدايا، يعتبرونها ضرورية في حين أنهم سينسون محتواها في غضون شهرين. بينما كان المشردون الجالسون على درج المتاجر يرون الشعارات المطبوعة على حقائب ورق "الكرافت" تروح وتجيء أمام أنظارهم. كانت الأشجار الخاصة بمطاعم "ماكدونالدز" ذات الإضاءة البيضاء تمثل الجزء الأكبر من سحر الميدان. وقريبًا سيُقام سوق الكريسماس المعروف بطقوسه

الخاصة في عدد من الأكواخ الصغيرة ذات السحر العابر. لكن السؤال الذي يطرح نفسه أين تذهب هذا الأكواخ بقية العام؟ أهناك حديقة لهذه الأكواخ حيث تشرب فيها غزلان الرنة المتعطلة عن العمل في نخب "سانتا كلوز"؟

ليس بيدَي "كابستان" شيء وما كانت بمقدورها -في حينها- أن تخبر فريقها بشأن هذه الورقة، حتى لو كان اختفاؤها سيُكتشف سريعًا. كان من خلفها صمت يشير إلى أن فريقها بات جاهزًا أخيرًا للاجتماع، وأن الوقت قد حان لإخبارهم بقصة السطو الذي حدث في "ليون"، حتى أن "إيفرار" أطفأت الموسيقى التي غالبًا ما كانت تجعلها خافتة. أشار إليها "توريز" من مقعده على كرسي الردهة إشارة خفية معناها: لنبدأ بآخر التطورات فسأل:

- هل وصلت إلى شيء يا "جوزيه"؟

- أجل بخصوص الطلاء الذهبي المستخدم في الكتابة على النصب التذكاري للموتى، وجدتُ مَنْ اشتراه وأوصافه متطابقة مع الرسمة التقريبية التي أخذتُ منها صورة ضوئية، كان ذلك منذ ثلاثة أيام مضت في متجر للمشغولات اليدوية بـ"أفينيون"، أما عن النعي المنشور في "لوبروجريه" فلقد تم بالتليفون ولا توجد أي معلومات أخرى.

فسألت "كابستان":

- وكيف دُفع الحساب؟

فأجاب:

- ببطاقة مسبقة الدفع، وبصراحة لكيلا نخالف ما هو واضح ولنختصر الوقت، لقد كان القاتل نفسه.

فقالت "كابستان" وهي تمسك قلم سبورة أسود:

- أوافقك الرأي.

ثم بدأت تكتب خطوط القضية العريضة على السبورة وهي: السطو على بنك "مينرفا"، "ليون"، الرابع من أغسطس 1992، قتيلان، ثلاثة مصابين.

فجأة عطس "لوويتز" وامتخط بتكتم تمامًا كأول صوت يصدر من البوق النحاسي في فرقة الموسيقى الشعبية، وسرعان ما مسح أنفه بمنديل قبل أن يعلق خارج الموضوع قائلًا:

– من الجيد حقًا أن يهرب المرء بسيارته بعيدًا أثناء الإجازات.

فاستكملت "كابستان" حديثها:

– إن أول شيء يمكن أن نستنتجه فيما يخص القتيل الأول "سيرج روفوس" هو أنه كان هناك عجز في عدد الشرطيين وقت هذه الجريمة. والدليل على ذلك أنه كان في مسرح الجريمة بصحبة ضابط واحد مستجد وفردي شرطة تحت التمرين، ما يعني أنهما لا يتمتعان إلا بالحد الأدنى من الخبرة والتدريبات. ورغم هذا سيطر "روفوس" على الوضع في الحال إذ أنه قبض على واحد من السارقين وأخطرهما وهو الذي أطلق النار على الضحايا.

غطت "كابستان" قلم السبورة وقالت:

– لنعد إذًا إلى يوم السطو: عند الضحى دخل رجلان مقنعان ومسلحان بمسدسات آلية إلى بنك "مينرفا" بالقرب من الدائرة السادسة بـ"ليون". وبينما ذهب الأول خلف الطاولة ليضع النقود في كيسٍ، كان الآخر يصوب مسدسه في وجه موظفي البنك والعملاء الأربعة الحاضرين في هذه الساعة. وبمجرد أن أخذوا الأموال من الأدراج، ذهب الأول للبحث عن المدير بالطبع لكي يفتح لهم الخزائن. وهنا نجد "أليكسي فولووسكي" في مكتبه حيث قتل المجرم شخصين أمام عينيه. سيدلي "فولووسكي" بشهادته في المحكمة قبل أن يمكث ستة أشهر بدار رعاية يعاني من الاكتئاب إثر

إصابته بصدمة كبيرة. وبعدها عاد القاتل إلى قاعة البنك إلا أن الإنذار قد أُطلق وحينها وصل "روفوس" وقواته القليلة فتمكن السارق الآخر الذي كان يكتفي بالمراقبة من الفرار.

سألت "روزيير":

- أكان "جاك ميلون"؟

- لم يجزم أحد بذلك، فالأوصاف غير متطابقة مثل البِنية والصوت والطول ولون العيون، كما لا تتوافق شهادات الموظفين والعملاء مع شهادات أفراد الشرطة، وذلك بسبب القناع الذي كان يرتديه وحالة التوتر التي سيطرت على المشهد بأكمله، هذا طبعًا بالإضافة إلى السرعة التي تمت بها عملية السطو إذ لم تتجاوز المدة الزمنية بين دخولهم وخروجهم خمس عشرة دقيقة. لكن على كل حال فقد ذُكِرَ اسم "جاك ميلون" في قائمة المتواطئين المحتملين بما أنه كان لديه صلات غامضة مع المجرم الآخر في الماضي. غير أن وضع اسمه في القائمة لم يكن هو أكثر ما جذب الانتباه.

قال "لوبروتون" وقد احمرَّ أنفه المعقوف وانتفخ بسبب الإنفلونزا الموسمية:

- بالتالي سيتغير مسار التحقيق بعض الشيء.

كان ما يزيد على نصف أفراد الفرقة يتحملون مرضه البسيط. كانت سلة القمامة مليئة بالمناديل المُكوَّرة، وكانوا يسمعون صوت تنشقه على فترات منتظمة وبدرجات متفاوتة.

- هذا مؤكد، وبذلك سنجد لدينا ثلاثة عناصر: "روفوس" الشرطي و"فولووسكي" الشاهد و"ميلون" رجل العصابة.

بدأت "إيفرار" كلامها:

- في لعبة العائلات السبع، الشخص الذي نفتقده لا بد أن يكون هو..

قاطعته "كابستان":

- بالضبط لا بد أن يكون هو القاتل. يمكننا الاعتقاد بأن السارق مطلق النار هو القاتل. فقد قتل من اعتقله ومن شهد ضده ومن هرب دون أن يعود لمساعدته. لقد عاد لينتقم..

تابعت "إيفرار" كلامه وهي تشد خصلة من شعرها الأشقر اللامع:

- أو ربما عاد لاستعادة المال من "ميلون" أيضًا. هل لدينا أي معلومات عن تحويلات بين حسابات بنكية في سويسرا تخص أحدًا منهم منذ جريمة القتل؟

فأجاب "أورسيني" قائلًا:

- كلا، ليس هناك أي معلومات، كما أن البنوك السويسرية لا تتعاون في هذا الصدد إلا إذا كان هناك مبرر قضائي أو أمر سيادي.

أيدت "كابستان" كلامه وهي تنظر في عينيه قائلة:

- هذا صحيح فعلًا.

أعادت "كابستان" التفكير في قلة الصور بمنزل "فولووسكي"، فهل كان يشعر بالذنب؟ ومِمَّ؟ أكان جبنًا؟ أم تواطؤًا؟

أثناء اجتماعهم في الصالون، كانت الملاحظات تنسجم مع وميض أكاليل الكريسماس، بينما كانت نهاية الجمل تتناغم مع صوت طقطقة الخشب بالمدفأة، مما أعطاها عمقًا غير مقصود.

قال "لوويتز" بصوت مزكوم:

- يمكن أيضًا أن يكون القاتل الذي نبحث عنه هو السائق، فهل هناك أي معلومات عنه؟

- لم يكن هناك سائق.

- أتمزحين؟ سطوٌ من غير سائق؟ أكانا يخططان للهروب على دراجة نارية؟
- كلا! بل بالسيارة إلا أنها كانت متوقفة على مسافة أبعد.
- متوقفة! ألم يكن محركها مدارًا؟! ألم يكونا متوترين؟!
قالت "كابستان":
- ربما لم يجدا من يوصلهما أو لم يريدا مشاركة شخص آخر وزيادة عدد العصابة. لم يكن هناك أي إشارة إلى سائق في ملف القضية.
لم تكن ملاحظة "لوويتز" تخلو من وجاهة، لذا طلبت منه المفتشة أن يدرس المسألة بعد الغداء.
كانت لا تزال مترددة في أن تكشف الآن في هذا المكان وفي منتصف الاجتماع عما قد قرأته. لم تحب إخفاء أي شيء عن الفرقة وكانت تتساءل: "مَنْ قد يفشي الأمر؟ ومَنْ سيكتمه؟ هل حقًا أصبحنا فريقًا واحدًا؟ وهل يمكن أن يحدث ذلك من دون وجود ثقة بيننا؟".
حدقت "كابستان" في وجوه زملائها. كان "داكس" في غاية التركيز وقمة التشتت في آن واحد، ولا تزال "روزيير" منزعجة، وأما "أورسيني" فقد بدا وكأنه يتحداها، و"ميرلو" في إحدى يديه كوب فارغ وفي الأخرى الفأر الذي كان قد افتقد الجلوس عليها، أما "سان-لو" النشيط فكان واقفًا خلف كرسي يمسك بذراعيه وبدا عليه الاضطراب والعجلة وهو يقول:
- حسنًا، بناء عليه فإن المجرم الذي نبحث عنه معروف، فماذا ننتظر لننقض عليه؟ وما اسمه؟ وأين يقيم؟
هذه هي الأسئلة الحقيقية التي يجب أن نبحث لها عن إجابات، بينما غيرها فيمكن أن نؤجلها قليلًا.
- اسمه "ماكس رامييه" وبالفعل ما سنفعله اليوم هو مطاردته.

ترك "لوويتز" ميزان الاستواء، وراح يبحث عن الشاقول في حقيبة معداته ثم قربه من ركن المكتبة العلوي التي كان قد أنجزها لتوه من أجل تزيين غرفة الألعاب.

جيد! فنتيجة ميزان الاستواء والشاقول متطابقة وهي تشير إلى أن المكتبة مائلة ميلًا ملحوظًا ناحية اليمين، أم أنها هي الأرض بعد كل هذا؟ ربما كانت الأرض مائلة فعلًا. ثم إن هذا الميل ليس واضحًا جدًا من بعيد. وبمجرد امتلاء المكتبة لن يُرى هذا على الإطلاق.

أحضر "لوويتز" من على طاولة البار الألعاب والكتب التي كان قد أحضرها الجميع ليملؤوا بها أرفف المكتبة. وعندما وضع علبةَ لعبةِ "سكرابل" على الرف الأوسط عَلقت قليلًا بالطلاء الذي لم يجف بعد، ومن شأن هذا أن يترك ذكرى.

21

– هل سيرد عليَّ أحدٌ من إدارة السجون أم أن عليَّ المجيء بنفسي إلى الإدارة؟ أنا الملازم "توريز"، هل ستردون عليَّ أم ستتركونني هكذا حتى نهاية المكالمة؟ على كل حال ليس أمامي سوى الصبر والانتظار إلى أن يرد عليَّ أحدهم.

خلع "توريز" ميكروفون سماعته اللاسلكية وهو يستشيط غضبًا، وأمسك بالمكواة وراح يضغط بفتحاتها البخارية على ياقة القميص بقوة لدرجة أن أرجل طاولة المكواة المصنوعة من الألومنيوم بدأت تهتز. منذ ساعة وهو يتنقل عبر التليفون بين الإدارات المختلفة دون أن يصل إلى شيء. لقد بدأ يشعر بالملل رغم أنه معروف بالهدوء الشديد والمثابرة في العمل. وما زاد الطين بلة أنه لم يحرز تقدمًا في كي القمصان مع اقتراب الموعد.

لم يخرج "ماكس رامييه" من السجن لحسن سلوكه، بل قضى مدة العقوبة كاملة. كان يبثُّ رعبًا كبيرًا في قلوب السجناء خلال فترة عقوبته. حظي بصداقته قلةٌ من السجناء، ونال ثقته عددٌ أقل منهم. لقد كان رجلًا عدوانيًا يعاني نوبات غضب حادة لا تفسير لها. لم يكن لدى إذاعة السجن قدرًا كبيرًا من المعلومات عن هذا السجين. كان كل ما يعرفونه عنه هو أنه لم يسبق له قط أن تحدث عن كنز مخفي، كان قليل النفقة

والكلام، لم يسبق له الحديث عن انتقام مستقبلي أو درسٍ عليه تلقينه لأحد. إنَّ ما كان يميزه عن غيره من السارقين الذين غالبًا ما كانوا يتحدثون عن مسألة تصفية حسابات محتملة بعد خروجهم من السجن، ويتوعدون هؤلاء الطلقاء الذين كانوا سببًا في مصيرهم المشؤوم، هو أن "راميه" كان حالة فريدة، إذ كان يفعل أكثر مما يتكلم.

وبما أن إذاعة السجن قد توقفت عن العمل، كان على "توريز" أن يركز كل مجهوداته على الإدارة، حيث كان بحاجة إلى عنوان "راميه" لأن العنوان المسجل لدى إدارة السجن ليس هو عنوانه الحالي. فقد تم فسخ عقد الإيجار عن طريقة الهيئة المختصة بفض المنازعات السكنية بعد دخول "راميه" السجن ولم يعد يدفع الإيجار. وبعدما قضى مدته، لم يتمكن "راميه" من مغادرة السجن في "ليون كورباس" قبل أن يقدم عنوانًا، حتى لو كان مؤقتًا. حتى يتمكن المسؤول عن الاندماج والمراقبة من التواصل معه. وقد استغرق "توريز" وقتًا طويلًا للوصول إلى هذه المعلومات.

تجعَّد جزء آخر في طرف الكم العلوي، فوضع "توريز" المكواة ثم تنهد، يبدو أنه لن ينجح أبدًا في الانتهاء من كي هذا القميص. طُرق الباب ثلاث مرات، لقد كانت "كابستان". قال لها:

- تفضلي بالدخول.

فتحت الباب وهي تبتسم ابتسامة عريضة كعادتها. أراد "توريز" أن يلخص لها ما توصل إليه:

- ما زلتُ أحاول الوصول إلى معلومات من إدارة السجون.

قالت:

- جيد جدًا، أعلمني إذا توصلت إلى جديد.

أومأ النقيب برأسه أي "نعم". لم تطرح المفتشة عليه ولو سؤالًا حتى عن كمية الملابس الكبيرة هذه. لقد كانت غير متطفلة لدرجة قد تصل إلى حد اللامبالاة. كان "توريز" يعرف أن الأمر خلاف ذلك، لأن من عادات "كابستان" أن تحتفظ بأسئلتها ومخاوفها وآلامها وأحزانها، ولا تُظهر إلا أفراحها وحماسها، إذ كانت ترى بعدم إظهار شيء غيرهما. والحقيقة أنها كانت تلتزم بهذا النهج الواضح والصريح الذي يبدو وكأنه يُظهر كل شيء ولا يخفي شيئًا من غير أن يعرف أحدٌ أي شيء عنها. لقد رأى "توريز" في عينيها أمرًا ما. لا بد أن هناك شيئًا ما يقلقها. كان يعلم أنها ستخبره بالأمر في الوقت المناسب، وإذا كانت صامتة الآن فذلك لأن لها أسبابها. لم يشك "توريز" فيها قط. أعادت غلق الباب من غير صكّه. وبعدها رن تليفون "توريز". أخيرًا أتى تهديده بالذهاب إليهم بثماره.

عادت "كابستان" إلى مقر الفرقة. لقد كانت تفكر في التحدث إلى "توريز" عن الأمر الذي يشغل بالها، ولكن كان عنده ما ينجزه ولا داعيَ لتشتيته. ظلت تتحرك داخل المقر بلا توقف كأنها تهرب من مكالمة محتملة من قيادتها، كي يبلغوها بسحب القضية منهم. أو ربما تهرب من سؤال قد يجرها إلى الحديث عما يجول في خاطرها.

كان "داكس" قد نسخ اسم "ماكس رامييه" ووضعه في كل المواقع التي يمكن تخيلها، وفي كل مرة كان يرفع عينيه ويرى الملصق المكتوب عليه: "عليك التخلص من آثار أي اختراق"، فيتمتم "آه صحيح". ثم يعاود الكرة مرة ثانية إلى أن وجد بعد أربع ساعات من البحث ثلاثة أسماء متشابهة، كانت كلها بلا فائدة لكنها كانت موثقة توثيقًا سليمًا.

جلست المفتشة "كابستان" إلى مكتبها وأنارت مصباحها الكبير، كان ضوء النهار الخافت في أول فترة عصر هذا اليوم غير كاف، استجمعت "كابستان" كل تركيزها وهي تفكر أسفل الهالة البرتقالية الدافئة للمصباح. طرق "لوبروتون" سطح مكتبها برفق وسألها:

- هل حصل "ديامان" على ملف قضية السطو؟

- لا، لم ترد إليهم المعلومات بعد من "ليون"، ولم يكن عندي وقت هذا الصباح كي أتصل بهم..

قاطعها فقال:

- ينبغي أن نبلغهم يا "آن" وإلا سنبدو وكأننا نخفي المعلومات، وهذا ما نفعله بالفعل الآن، هذا ليس من الأمانة في شيء، سيبدو الأمر وكأن هناك سوء نية من ناحيتنا.

سحبت "كابستان" منديلًا من العلبة ومسحت أثر كوب الشاي من على المكتب وقالت:

- حسنًا، لكنك تعلم أيضًا أنهم لم يبلغونا بما توصلوا إليه من معلومات إلا بعد فترة من الوقت. ونحن سنفعل الشيء نفسه.

- ينبغي أن نبلغهم يا "آن"، ماذا سيعود علينا من وراء ذلك؟ يوم واحد؟ أو ربما يومان؟ أنتِ تعلمين جيدًا أن هناك إنسانًا -لا ذنب له- قيد الحبس الاحتياطي. لا شك أن الأدلة التي جمعناها حول جريمة "ليون" ستكون سببًا في تبرئته مما نُسب إليه، ومن ثمَّ سيطلقون سراحه. هذا طبعًا على اعتبار أن القاتل واحد في الجرائم الثلاث.

لقد كان "لوبروتون" محقًا في كل كلامه. وعلى كل حال سيصل هذا الملف إلى الإدارة العامة للشرطة الجنائية عاجلًا أو آجلًا. غير أن

"لوبروتون" لم يكن مطلعًا على كل المعلومات، فهو لم يقرأ تلك الورقة التي أخفتها "كابستان" عن الجميع. رمت "كابستان" المنديل في سلة القمامة عند قدميها ثم أجابته:

- لا لن أفعل.

- كلا يا "آن"..

كانت "كابستان" مترددة. فلم يكن يفارقها قط تحفظها الغريزي حيال زملائها في الفرقة، إلا أنها غير محقة في ذلك. فإذا كان في الفريق شخص قادر على اتخاذ قرارات متأنية ومدروسة بحكمة فهو لا شك ذلك الرائد المحنك، كان عليها أن تبلغه من البداية وهو قطعًا سيتفهم الأمر جيدًا وسيقدم لها المشورة المخلصة.

سحبت المفتشة بحرص ورقة من درج مكتبها الأخير. لم يكن الأمر مقتصرًا على الضحايا الثلاث في قضية "مينرفا"، بل كان هناك اسم آخر. قاطعت "كابستان" كلامه وهي تعطيه الورقة وتقول:

- خذ هذه واقرأها جيدًا، لقد كانت في الملف. لن أعطيهم إياها، لكنهم قد يجدونها بأنفسهم. أعتقد أن كل دقيقة نحظى بها ستشكل فارقًا. أخبرني برأيك. ستجد أسماء الضحايا أسفل الورقة.

كان "أورسيني" هو اسم عائلة المرأة والصبي اللذين قُتِلا في مكتب "فولووسكي". فلما رأى "لوبروتون" ذلك همس وهو يحدق في الورقة قائلًا:

- سحقًا! سحقًا! سحقًا!

في الواقع، إن فكرة الانتقام وما استجد في التحقيق وسائر الأمور قد جعلت وضع القضية مختلفًا تمامًا.

لماذا لم يذكر "أورسيني" أي شيء عن هذا الأمر؟ إذ كان يعلم حتمًا أن اسم عائلته سيُذكر في التحقيقات.

ماذا كان ينتظر؟

وقبل كل هذا: هل اكتفى بالتحقيق أم أنه قتل أحدًا؟

رن جرس قسم الشرطة، فرفع "لوبروتون" رأسه ونظر إلى "كابستان". كان كلاهما يعلم أن الذي بالباب هو الملازم "ديامان". كان عليهما التصرف بسرعة واتخاذ القرار في حينها. أعطاها "لوبروتون" الورقة وقال:

- إخفاء هذه الورقة كان أمرًا جيدًا، هل تودين أن أفتح لـ"ديامان"؟

هزَّت "كابستان" رأسها أي "لا". فهي تفضل أن تتولى تلك المناورات بنفسها. أخذت الملف غير المكتمل وتوجهت إلى الباب.

كان الملازم "ديامان" واقفًا عند المدخل ويبدو عليه الغضب الشديد بسبب انقطاع التواصل بين فرقة "كابستان" والإدارة العامة. بدا ذلك واضحًا على وجه "ديامان" المُكلف بمهمة التنسيق بين فرق البحث المختلفة. قال لها:

- آمل أن يكون لديكِ شيء تخبرينا به.

- بالطبع، لقد كنت سأتصل بك.

- كلا، ما كنتِ لتفعلي.

لا يمكن حقًا ممازحة "ديامان" إذ أنه كان لا يعرف الهزل ولا رغبة له فيه. أمسك الملف بيده الضخمة وأخذ يقلب فيه بإبهامه السمين ثم سألها:

- هل يحتوي الملف على كل شيء؟

أحبَّت "كابستان" أن تمازحه فأجابته:

- بالتأكيد، لماذا تسأل؟ هل لأنك تنقل إلينا ملفاتٍ ناقصة مثلًا؟

لم يبتسم "ديامان" ولم يعرب عن أي أسف، ولم يتحلَّ بأبسط مظاهر سعة الصدر، وبمجرد أن استدار ليرحل، سلم عليها سلامًا صوريًا فقال:

- إلى اللقاء أيتها المفتشة.

فقالت له قبل أن يدخل إلى المصعد:

- لا تنسَ الإفراج عن المشتبه فيه المسكين.

لم تستطع "كابستان" كبح جماح استفزازها لهذا الملازم الشاب. وها هو السباق بين فرق البحث يبدأ من جديد، وعليها ألا تخسره هذه المرة. خاصة بعد انضمام زميل جديد إلى اللعبة.

هذا الزميل الذي سيتوجب عليها مواجهته، ولكن قبل أن يحدث هذا لا بد للمفتشة من إجراء عمليات تحقق بسيطة.

كانت "روزيير" تقرأ تقريبًا في نهاية المخطوطة وهي تجلس على كرسي مريح بذراعين أسفل نافذة صالة البلياردو. لقد واصلت قراءتها كلها على مرة واحدة، لكي تفهم معنى القصة. فوجدتها تنتمي إلى كوميديا الأخلاق الفيكتورية على طريقة "جاين أوستن". وليس في الحبكة أو الشخصيات أي شيء مشترك مع حادثة سطو "ليون" والصدمة التي سببتها له. بيد أن أمرًا ما لا شعوريًا نابعًا من العقل الباطن كان يُقلق "روزيير". لم تكن الرواية في حد ذاتها ذات قيمة، حيث كانت المواقف متداخلة وردود الأفعال باهتة. كان من الممكن أن يمر هذا الأمر على الهواة مرور الكرام. من الغريب أن كل صفحة وكل جملة بدت وكأنها مدروسة بعناية وموضوعة بإدراك تام. كان "فولووسكي" يحاول أن يقول شيئًا دون أن يذكره، راجيًا أن يُفهم كلامه من غير تصريح واضح منه. يبدو أنه كان يكتب وفي مخيلته صورة ما لا تفارقه. يحتاج منْ يقرأ كتابه إلى مزيد

من الوقت والتفكير كي يصل إلى هذه الصورة. لقد قرر أن يهرب بهذه المخطوطة فقط، ولا شيء غيرها. كان لفعله هذا معنى ومغزى، ولا يمكن أن يمر المشهد هكذا مرور الكرام. ستتجاوز "روزيير" أحداث القصة، وستنظر إلى المخطوطة بعين الكاتبة؛ رسمت على ورقة مقوَّاة من مقاس A3 شبكة مربعات وكتبت في المربعات الرأسية والأفقية الآتي: الأسماء والأغراض والأساليب وردود الأفعال وتجسيد الشخصيات.

وبينما كانت تضبط نظاراتها، طل "لوويتز" برأسه من الباب وأخبرها:

- لقد أرسل "توريز" إلى "كابستان" شيئًا جديدًا، إذا كنتِ تريدين المجيء.

فقالت بتذمر:

- قادمة.

خرج "بيلو" ليستطلع الأمر.

لخصت المفتشة الخبر قائلة:

- قضى عشرين عامًا في السجن دون أي زيارة. لقد قتل "رامييه "ميلون" من أجل المال، لا بد أنه قد ضغط على الزناد بغيظ شديد.

صفقت لتجذب انتباههم قبل أن تستكمل كلامها:

- حسنًا، لقد توصلنا إلى عنوانه وهو 25 شارع "مونتين". هيا بنا!

سألت "روزيير":

- شارع "مونيتن"؟

- أجل

- هذا عنوان فندق "بلازا أثينا"، لا يحرم نفسه من شيء هذا العجوز.

22

كان عليهم تجهيز مكان للاختباء لأن "رامييه" لم يكن في الفندق حين حضر "كابستان" و"لوبروتون". وقد تسبب لهم الاستعجال في مشكلتين أولاهما: أنهم لم يكن لديهم مذكرة تفتيش ضد "رامييه"، لذا لا يمكنهم اعتقاله ما لم يكن هناك تلبس بجريمة أو محاولة هرب. والثانية: أنه بمجرد قراءة الملف ستتوصل فرقة البحث والتدخل قريبًا إلى الاستنتاجات نفسها التي توصلت إليها فرقة "كابستان"، إلا أنهم سيحصلون على العنوان والمذكرة بشكل أسرع. ربما كانوا في طريقهم إلى المتهم بالفعل.

إذا تمكنوا من التقدم عليهم واعتقال "رامييه" فستُحل القضية بسرعة، حيث سيكون لدى فرقة البحث والتدخل المتهم الرئيسي في القضية. وعليه فلن يصبح لفرقة "كابستان" أي دور في التحقيق، مما سيزيد من تهميشيهم وإذلالهم. كانت "كابستان" تجلس على المقعد المقابل للفندق تحت شجرة الكستناء وتراقب حافة شارع "مونيتن"، وهي تردد بعض الصلوات. قد يصل "رامييه" في أي لحظة.

كانت الأشجار متساقطة الأوراق مغطاة بأشرطة الزينة المضيئة المعلقة على فروعها الهزيلة العارية، والتي كشفت عن الفندق واجهته الحجرية ذات

الشرفات المكتسية بزهور نبات "إبرة الراعي" قرمزية اللون. كانت الستائر ذات اللون الأحمر تتسق مع لون الزهور، مما أعطى المكان طابعًا مميزًا.

حول فناء الحديقة المقابلة للفندق، كانت تنتظر بعض الشابات الصغيرات في مجموعات متأهبة ويحملن في أيديهن هواتفهن الذكية. بدت الفتيات وكأنهن موثوقات بالسياج المحيط بفناء الحديقة. بدا عليهن أنهن يرددن بعض التعاويذ هن الأخريات. لكن ذلك كله لم يكن بلا شك من أجل "رامييه"، مما دعا "كابستان" للتساؤل لوهلة -عند رؤيتهن يأتين من كل فج من الشوارع المتقاطعة- عن ذلك الشخص الذي جذب كل هذه الحشود.

على بعد بضعة أمتار من فندق "بلازا أثينا" ركن "سان-لو" و"لوويتز" السيارة ذات الدفع الرباعي مستغلين مراياها ووضعية كراسيها المرتفعة في استكشاف الطريق الواسع بعيونهم المتمرسة.

كان "لوويتز" يرى نفسه غير محظوظ. أخذ يتحسس بيده مقود السيارة الرياضي المصنوع من الجلد الأسود، ونظف ناقل السرعة بأطراف أصابعه باحترام وإعجاب كأنه يتحسس مؤخرة المطربة "ريانا". الشيء الوحيد الذي لم يعجبه هي تلك النوافذ الغامقة. توجه بكلامه إلى مؤجر السيارة قائلًا:

- الحقيقة هي أنني أفضل النوافذ الشفافة. وإذا اشتريت يومًا ما سيارة "بورش" فستكون نوافذها من الزجاج الشفاف كي يراني المارة عندما أقف في الإشارة! وحتى لا أضطر إلى إنزال الزجاج في منتصف شتاء ديسمبر.

قاطعته "روزيير" التي كانت تمسك ببطاقة الائتمان البلاتينية الخاصة بها قائلةً:

- هذا ليس صحيحًا يا سيدي. فهو يتحدث بأي كلام. لقد كان في غاية السعادة بهذه النوافذ.

تركهما مؤجر السيارات وهو يظن أن هذه المومس الثرية لا تهتم بطلبات زبائنها. اتجهت "روزيير" نحو "لوويتز" وذكّرته بأن اختيارهم لهذه السيارة ليس من باب الرفاهية:

- إنها مثالية للمراقبة والتخفي يا "لوويتز". هذا بالإضافة إلى أن وجود سيارة "بورش كايين" أمام فندق "بلازا أثينا" يعتبر أمرًا عاديًّا غير لافت للأنظار إلا إذا بدا على وجهك المبالغة في السعادة والسرور.

استسلم "لوويتز" في نهاية الأمر ووافقها الرأي، ليس اقتناعًا بكلامها، ولكن لأنها هي التي ستدفع فاتورة إيجار السيارة. ولم يندم على ذلك. انبهر "لوويتز" بوسائل الراحة وأزرار التحكم المنتشرة في كل مكان بالإضافة إلى قوة المحرك التي تقدر بقوة عدد مهول من الأحصنة، كل ذلك وأكثر في سيارة الـ"بورش كايين" التي استأجروها لتوهم. حاول إيصال إعجابه بالسيارة إلى "سان-لو" الذي كان غير مبال تمامًا بتفاصيل السيارة. التفت إليه أخيرًا "سان-لو" وأومأ إليه بحركة بسيطة تعني أنه يوافقه الرأي وبأن السيارة مناسبة تمامًا للمهمة. فقد تعلم هذا النقيب ذو الروح الشاعرية -بعدما قضى ساعات وساعات من المحادثات مع العجائز في الحانات- أن يستمع دون إنصات، حيث تأثر بالشعراء "فرانسوا فيلون" و"جواشان دي بيليه" و"رونسار" و"كليمون مارو" الذين تعلم منهم كيف يعزل نفسه عن العالم الذي يعيش فيه، هذا العالم الذي لم يعد يعترف به على أية حال.

حين كان طفلًا، كان "سان-لو" يرسم لنفسه حياة أخرى تمامًا. كان يحلم كثيرًا بالاستيلاء على سيف "إكسكاليبر" الأسطوري وامتطاء المصاعب دون راحة لغزو البلاد وتحقيق الأمجاد، إلا أن شجاعته وموهبته كانتا عالقتين هنا، في هذا العصر الذي لا يجيد فيه الجميع سوى الثرثرة.

ومع ذلك، شعر "سان-لو" برياح جديدة تهب على وجهه ووجد في نسماتها ريح المغامرة وسمتها. لقد مر وقت طويل دون أن يُكلَّف بأي مهمة. وها هو الآن قابع أمام هذا الفندق الفخم كأنه يراقب معسكرًا ملكيًّا من العصور الغابرة. في الوقت الذي كان "لوويتز" يثرثر فيه بلا توقف، كان "سان-لو" يعيش في عالمه الخاص حيث كانت روح الفرسان تسري في أوصاله وتثير فيه كل حماس تصادفه في طريقها. كان على أهبة الاستعداد لتدمير العدو وقتاله حتى الرمق الأخير. تسلق هذا الشعور بداخله كما يتسلق نبات "اللبلاب" واجهة حائط فارغ. كان في انتظار مقاتلي المملكة الذين سيأتون إليه لتلقي أوامره وتنفيذها.

فإذا ما تسلل "ماكس رامييه" وسط هذا الحشد من الشابات اللاتي يصرخن ويسرن في تجمعات تشبه سربًا من النمل يمتد حتى مدخل الفندق، فسيتمكن "سان-لو" من رؤيته ويوقظ "لوويتز" من سباته العميق.

كانت "روزيير" تجلس إلى طاولة يعلوها مفرش فضي تزينه خطوط فاخرة وتتناول بنهم طبقًا من السلطة الإيطالية، حين جلس "لوبروتون" بجوارها محركًا قهوته في فنجان خزفي فاخر وبادرها قائلًا:

- يا لها من وجبة مزعجة سلطة الجرجير تلك، يمكن أن تغرسي الشوكة خمس مرات دون أن تحمل أي شيء.

وضعت "روزيير" سكينها بعد أن سئمت في نهاية الأمر وأخذت قطعة خبز لغمسها في الصوص. بعد مرور ساعتين من الانتظار في بار الفندق، صادفا خلالهما كل شيء: الكؤوس الزجاجية والملاعق وآلاف الأشخاص المتعجرفين، لكنهما لم يصادفا "رامييه" ولا أحد من المشاهير. كانت

"روزيير" تكره هذا الوقت اللعين الذي يمضي سدى دون أي إنجاز. كانت نقرات حذائها بمثابة الإيقاع الجامح لنفاد صبرها.

وجهت كلامها لزميلها قائلة:

- ما الذي نقوم به هنا بحق الجحيم؟ مراقبة بلا فائدة؟! لم أعد أطيق الانتظار أكثر من ذلك.

رد عليها "لوبروتون"، وهو يضع ساقيه الطويلتين الأنيقتين فوق بعضهما قائلًا:

- لا أحد يحب الانتظار يا "إيفا".

يتناسق جسده الرياضي ومظهره الرائع مع ديكور المكان الذي بدا كأنه صُمم خصيصًا له.

أجابته "إيفا":

- بلى، أنت تحب الانتظار. ألا ترى نفسك؟ تجلس هنا بكل هدوء دون أي قلق أو توتر. هذا ما نسميه هواية.

ابتسم "لوبروتون" ابتسامة صفراء أظهرت ندبته الصغيرة. ثم تبع بعينيه كؤوس الكوكتيل التي تتأرجح بشكل واضح على صينية النادل ذي البذلة "التكسيدو". جعله هذا المشهد يفكر في الصورة التقريبية للجاني ذي الشعر الأخضر والدرع.

قال "لوبروتون" متعجبًا:

- من الغريب حقًا أن يسكن رجل عصابات كـ"رامييه" في فندق فخم كهذا. الطبيعي أن يبحث لنفسه عن مكان بعيد عن الأنظار.

- ليس غريبًا كما تتصور. أولًا، ربما لا يرغب في الاختفاء عن الأنظار، بل على العكس فإنه يبالغ في الظهور والتباهي والغرور، تمامًا كما يفعل الكثير

من اللصوص حولنا، وكأنه يريد بذلك أن يوصل رسالة ما إلى كل من حوله. ثانيًا، ربما يريد أن يعوِّض نفسه عن الفترة التي قضاها في السجن، ويساعده في ذلك ما لديه من أموال طائلة. وأخيرًا، فإن هذه الفنادق الفاخرة ليست سوى نوع من التعتيم على أنشطة عملائها. فمثلًا قبل أن تحدث الفضيحة وينكشف فساد أحد هؤلاء العملاء، تراه يُعامل معاملة الأمراء عندما ينزل في أحد هذه الفنادق برفقة قطيع من عبيده. ترى الموظفين يوزعون عليهم مفاتيح الغرف والسعادة تعلو وجوههم مع عبارات من قبيل: "سيدي، كل الوسائل مسخرة لك"، "لقد أصبت الاختيار يا سيدي"، "نتمنى رؤيتكم في فندقنا مرة أخرى قريبًا يا سيدي". ولستُ في حاجة إلى أن أقول لك إن صاحبنا "رامييه" لا يساوي شيئًا مقارنة بهؤلاء.

– نعم، أنتِ على حق. هذا بالإضافة إلى أنه كان عليه أن يسلم عنوانًا إلى مسؤول الاندماج والمراقبة حتى يتمكن من الخروج من السجن.

– أنت محق تمامًا. لقد كان كالفأر الذي يسكن مخزن الدقيق.

– على ذكر الفأر، أين هو "ميرلو"؟

– يدرب الفأر "راتافيا" كي نستخدمه في التحقيقات.

تساءل "لوبروتون" بدهشة:

– وهل تسير الأمور على ما يرام؟

– آه، نعم. لكنه في النهاية يتعامل مع فأر وليس كلب. فمثلًا فيما يتعلق بالمتفجرات أو الكوكايين، أعتقد أن التدريب يتقدم بشكل أفضل. هذا بالإضافة إلى أن "راتافيا" يستطيع الآن أن يتبع "ميرلو" في كل مكان دون أن يدهسه أحد. فهو يتمتع بحس عالٍ وغريزة بقاء قوية جدًا. وربما

يخدم فرنسا في يوم من الأيام! وعلى كل حال لا يمكن مقارنته بالكلاب البوليسية المدربة، فلكل منهما مهامه الخاصة به.

مر رجل ملتحٍ من أمامهم، انعكست صورته في مئات المرايا، فتجمد الشرطيان من هول المفاجأة، ثم تبعاه في الحال في طرقة ممتدة لا نهاية لها حتى اكتشفا في الأخير أنها سحابة صيف كاذبة؛ فقد كان الرجل الذي اتبعاه بدينًا أبيض الشعر.

ضربت "روزيير" قبضتها في راحة يدها وقالت:

– دعك منه يبدو أنه بابا نويل، أو ربما كان أحد أولئك الذين يذهبون إلى العشرات من مواقع التصوير بحثًا عن دور في أحد الأفلام.

هزت "روزيير" رأسها وابتسمت ابتسامة ساخرة، بينما نقر "لوبروتون" بسبابته على حافة كوبه برفق وقال:

– على ذكر بابا نويل، ألا ترغبين في القدوم معي والتعرف على عائلتي عشية عيد الميلاد؟ سيكون هذا أول عيد بعد رحيل صديق عمري "فانسان" كما تعلمين، و.. وجود صديقة بين أفراد عائلتي في هذه الليلة سيكون مرحبًا به بشدة.

أشاحت "روزيير" بنظرها لتخفي فرحتها فسقطت خصلة كبيرة من ضفيرتها سمحت لها أن تتوارى قليلًا في هذا الجو المفعم بالصداقة. حينها أدركت جيدًا رقة "لوي بابتيست" الذي كان بحاجة إلى مَنْ يعوضه عن صديق عمره. مدت يديها المزينتين بحلي مرصعة بأحجار كريمة متعددة الألوان فوق الطاولة ولمست أطراف أصابع "لوبروتون" بمودة وقالت:

– أوه، يا عزيزي. شكرًا لك، سوف تسعدني مرافقتك بشدة، أشكرك حقًّا على ذلك، كما أننا سنذهب للتسوق أيضًا.

اندست "إيفرار" وسط الحشود تحمل كاميرا "نيكون" عدستها موجهة صوب بطنها. كانت حشود الفتيات والباعة وأصحاب المحلات المحيطة بالفندق، كلهم يترقبون وصول "كيم كاردشيان" و"كانييه وست". لذا لم تنتبه الفتيات إلى "إيفرار" حين توترت بمجرد رؤية رجل أسمر متوسط الطول بلا لحية ولا نظارة.

كتبت على شاشة تليفونها الذي لا يدعم خدمة المكالمات الجماعية:

- لقد رأيته يمر من أمام سفارة كندا.

توجهت "كابستان" بدورها سريعة نحو السفارة مباشرة، ثم وجهت رسالة لجميع الوحدات المُكلفة بالمهمة قالت فيها:

- حسنًا "إيفرار"، سوف ندعه يتحرك كيفما شاء لكن دون أن يغيب عن أنظارنا. بالنسبة لـ"لوبروتون" و"روزيير" ستنضمون إلينا من الأمام لكن دون أن يلحظ وجودكما أحد حتى لا نترك له منفذًا للهروب، وحين نقترب منه بشكل كاف أنا و"إيفرار" سنبرز بطاقتنا، وحينها أعتقد أنه سيهرب إلى الأمام فيكون بإمكانكما الإمساك به. وإذا تمكن من الهروب منكما بأي طريقة فسوف نعتمد عليكما يا "لوويتز" أنت و"سان-لو"، أديروا محرك سيارة وكونوا على أهبة الاستعداد.

انضمت "كابستان" لـ"إيفرار" واقتربت كلتاهما من "رامييه" بالمسافة نفسها، في حين ظهر "لوبروتون" و"روزيير" أخيرًا في موقعهم الميداني. فجأة وصلت سيارة دفع رباعي رياضية بسرعة كبيرة أفسدت عليهم خطة القبض على "رامييه" بسبب الصوت العالي والمزعج لاحتكاك الإطارات بالإسفلت. وعلى الرغم من أن "رامييه" كان محاصرًا تمامًا فإن ردة فعله كانت سريعة جدًا واستطاع في الأخير أن يلوذ بالفرار بطريقة مذهلة حقًا بالنسبة لرجل في مثل

عمره. لوهلة أُصيب الشرطيون الستة الذين كانوا يرتدون ملابس سوداء وسترات واقية للرصاص بصدمة شديدة. بدا ذلك واضحًا على وجوههم لحظة نزولهم من السيارة. كانت تلك الوهلة كافية بالنسبة للفتيات ليظننوا أن السيارة الرياضية ذات الدفع الرباعي تُقل بعض النجوم وحراسهم الشخصيين، لذلك سرعان ما انقضوا هجومًا على قوات البحث والتدخل مستلقين على الجزء الأمامي من السيارة. وقد تاه كل من "لوبروتون" و"روزيير" في وسط هذا الطوفان بفعل قوة الدفع. أُغلقت جميع الممرات بالمراهقات اللاتي خرقن آذان الشرطيين بصرخاتهم الحادة ولوحوا بهواتفهم التي كانت في وضعية التصوير الذاتي (السيلفي)، ثم أخذوا يلتقطون صورًا مع هذه الوجوه القاضبة لأفراد فرقة البحث والتدخل الذين كانوا في حالة من الدهشة والاستغراب الشديدين. وبينما الحال كذلك؛ حيث انتشرت خلال دقائق صور الفتيات مع أفراد الشرطة على موقع "إنستجرام" استطاعت "كيم كاردشيان" و"كانييه وست" أن يمرا في سلام دون أن يلحظهما أحد.

لم يسع "كابستان" تصديق ذلك، ففي اللحظة التي كانت فرقتها على مرمى حجر من الإمساك بالمتهم الرئيسي، اقتحمت سيارة فرقة البحث والتدخل ذات الإطارات الضخمة لمحاولة العصف بالرجل أمام أعينهم. انكشفت الخطة وترك كلٌ منهم مكانه، فلن يعود "ماكس راميه" مرة أخرى إلى هذ المكان. كانت المفتشة تستشيط غضبًا حتى أبصرت سيارة "لوويتز" و"سان-لو"، فانضمت إليهما وانطلقوا باتجاه الشارع الذي سلكه الهارب.

بدأت المطاردة من جديد. مدت "كابستان" عنقها وتابعت المتهم بنظرها، لكن كان هناك خطب ما فبالرغم من قوة السيارة وحماس

السائق، كانت السيارة تسير ببطء شديد، ثمة مشكلة ميكانيكية بلا شك، لم يكن ينقصهم سوى ذلك. لقد حرمهم القدر من هذا الصيد بكل تأكيد.

حث "سان-لو" "لوويتز" على الإسراع ناظرًا لظل فريسته تنطلق كالسهام على طول الرصيف قائلًا:

- أسرع! أسرع!

رفض "لوويتز" بعناد أن يزيد السرعة وأخذ في القيادة كعجوز مصابة بالتهاب المفاصل. بالكاد نقل إلى السرعة الثانية معتقدًا أن ذلك كافيًا. على ما يبدو أن سمعته كمهووس بالسواقة والميكانيكا باتت على المحك.

- هيا، أسرع!

- لا، لا، لا، إن أسرعت أكثر من ذلك فسوف تتعطل. لا تقلق! لا تقلق! سنمسك بــ"رامييه". لا تقلق! لا تقلق!

صاح "سان-لو" به وتحرك نحو المقود:

- لكن عليك أن تسرع بعض الشيء.

صاح به "لوويتز" بغضب أهوج:

- لا، إياك أن تلمس هذا المقود، إنه لي أنا فقط!

حدق "سان-لو" في زميله بذهول. فقد عاش هو الآخر نوعًا من هذا الارتباط؛ فقد كان مرتبطًا بفرسته الأولى "أليزان"، ارتباطًا شديدًا. هنا أدرك أن هذه السيارة بالنسبة لــ"لوويتز" أهم من أي شيء آخر. فقد أحبها حبًا جمًا ولا يستطيع مجرد التفكير في إلحاق الضرر بها بسبب السرعة الزائدة. لقد نجحت الفرقة في الحد من هوسه بالسواقة من خلال ما كانت تقدمه له من سيارات ذات محركات غاية في القوة. وفي كل مرة كان يعيدون فيها السيارة إلى المؤجر، كان يبكي كثيرًا كأنه فقد عزيزًا أو حبيبًا.

في هذه الأثناء، كان "رامييه" قد وصل لتوه إلى ضفاف نهر "السين"، يبدو أن مهمته هذه المرة هي اقتحام برج "إيفيل" نفسه. عليهم إعادة الكرَّة من جديد، فقد انتهت العملية بفشل ذريع مقيت.

اعتزم "ميرلو" استغلال هدوء المحققة المؤقت ليتحدث معها عن أجندة تقويم عيد الميلاد التي أحضرتها "روزيير" بحماس كبير، إلا أن صرخة حادة غيرت كل خططه. كان "راتافيا" هو من أصدر تلك الصرخة مثل قط داس أحد على ذيله. انحنى "ميرلو" على ساقيه المتيبستين ومد راحة يده المفتوحة حتى يتمكن الفأر من تسلق كُم سترته. وحين صعد على كتفه، مسح "ميرلو" على رأسه وظهره كي يهدأ من روعه:

– لا تقلق يا عزيزي "راتا"، كل شيء على ما يرام.

وما إن استقر الفأر على كتفه حتى عاد الرقيب لمحل اهتمامه الأول: أجندة تقويم عيد الميلاد التي لا تزال ملقاة على المنضدة. فتح "ميرلو" الأجندة بسبابته الضخمة على نافذة اليوم ليجدها فارغة فانتقل إلى النافذة التي تليها فوجدها فارغة أيضًا، ثم فتح نوافذ الأيام جميعًا بصبر بدأ ينفد شيئًا فشيئًا، حتى وصل إلى تقويم العام الجديد حيث وجد أنبوبًا صغيرًا من الورق، ففتحه ليقرأ ما فيه: "ها ها ها، لقد نلتُ منك مجددًا".

معنى ذلك أن "روزيير" قد سرقت ما بها من شوكولاتة.

كان "ميرلو" غاضبًا وردد:

– يا لانعدام الثقة!

23

– من أجل ذلك أنشأنا وحدات النخبة؛ لئلَّا تأتي فرقة من الهواة المهرجين لتفسد علينا عمليات الاعتقال. كان من المفترض أن يكون "رامييه" في هذه اللحظة مكبلًا بالأصفاد بدلًا من أن يلوذ بالفرار.

ردت عليه "كابستان" قائلة:

– كان يمكن أن يحدث ذلك لو لم يقتحم رجالك الأقوياء المكان فجأة ويلفتوا الانتباه، لم يكن ينقصهم سوى إعلان أسمائهم في مكبرات الصوت كفريق عمل فيلم "تكساس رينجر".

حاولت "كابستان" تمالك أعصابها وظلت جالسة على مقعدها بهدوء يُخفي صراعًا من مشاعر التمرد والسخط التي سرت في أوصالها منذ الكلمة الأولى من حديث الرائد "فروست"، رئيس فرقة البحث والتدخل، ذي الجبين الذي يشبه سمك القد الصخري، والابتسامة التي تشبه المنشار، والعين التي تبدو كالمغارة في فراغها. كان يتنفس العجرفة دون أن يهتم بمشاعر الآخرين أو يأبه حتى بالحد الأدنى من الإنسانية. كان كلامه كله تبريرًا لموقف فرقته وإلقاء المسؤولية على "كابستان" وفرقتها.

لم تشعر "كابستان" بالراحة حين تم استدعاؤها لمكتب "بورون". بدا "دوبيري"، المفوض بقسم التحقيقات الجنائية، يشعر -هو الآخر- بنفور مشابه، إلا أن نفوره شمل الجميع بما فيهم الملازم "ديامان"، الذي لم يكن عنصرًا فاعلًا في القضية، و"كابستان" المسؤولة الأولى عن فرقتها. لم يشعر أحد في هذا الجمع بأي حب تجاه الآخر أو حتى احترام باستثناء مدير الإدارة العامة للشرطة الجنائية السيد "بورون" الذي كان يجلس خلف مكتبه مباعدًا بين ذراعيه كما كان يجلس "زيوس" في "الأوليمب". كانت "كابستان" تستمتع بالاستعراض والرد على كل كلمة يتفوه بها "فروست".

استطرد "فروست" وهو يعض على نواجذه محدثًا صريرًا بأسنانه قائلًا:

- كلا، كل ما في الأمر أنكِ تفاجأتِ بوصول مجموعة من الضباط المحترفين المسلحين والمزودين بمذكرة اعتقال إلى محل إقامة المتهم. أخبريني إذًا لماذا قررتِ من تلقاء نفسكِ إلقاء القبض عليه دون الرجوع إلينا؟ حين لا يكون المرء على قدر المسؤولية عليه أن يتركها لمن هو أجدر منه، لكن ما حدث للأسف ما هو إلا تصرف مجموعة من الهواة.

- أود فقط أن أذكرك بأن هؤلاء الهواة هم الذين حلوا لغز القضية في حين قضى أعظم المحترفين أسبوعًا كاملًا يتفاخرون بالإلقاء برجل بريء في الحبس الاحتياطي.

رد "فروست" قائلًا:

- آه من النساء.

ثم استطرد موجهًا كلامه إلى "بورون" و"دوبيري":

- سوف ترون كيف هو هذا البريء.

بدا واضحًا على "بورون" و"دوبيري" أنهما لا يرغبان في الانخراط في هذا النقاش الحاد بين جليسيهما المخضرمين. كان "بورون" يتدخل من حين لآخر عن طريق إلقاء بعض النكات ذات المزحة السياسية. لقد كان بمثابة حكمًا في مباراة كرة طاولة، والتي يبدو أنه سيضطر إلى إنهائها قريبًا. أما "دوبيري" فلم يكن ينصت من الأساس. كان منشغلًا بفحص هاتفه الخلوي بطريقة خفية. كان يطلق تنهيدة خفيفة كل ربع ساعة من مكانه في أحد المقاعد المواجهة لمكتب "بورون"، في المقعد الأقرب إلى الباب من جهة اليمين مرتديًا بذلة في كامل الأناقة وقميص أزرق سماوي ورابطة عنق. على النقيض كان "فروست" ذو الشعر الأبيض الأشعث يرتدي سترة مجعدة. أما "ديامان" فجلس على يسار المكتب، وقد اضطر إلى أن يجلس بزاوية لأنه كان من الضخامة بحيث لم يتسع مسندا المقعد لجسمه. بدا عليه أنه يقلد رئيسه "فروست" في جِلسته. ذلك الرئيس الذي كان يتجاهله بشكل واضح ويقاطعه بوابل من الكلمات اللاذعة.

تجاهلت "كابستان" هذا الاستفزاز المتحيز للجنس الذكوري، إلا أنها بعد مرور ثلاثين دقيقة من تحمل الإهانات الفظة التي يلقيها هذا المتبجح قصير النظر بدأت تشعر برغبة متأججة لرد إهاناته والنيل منه. فلم يكتف هذا المتعجرف بإفساد استجوابهم فحسب، بل سمح لنفسه كذلك بتأنيبهم. فردت عليه بغضب:

– نعم، إنه مذنب بلا شك، لكن في قضية أخرى. إذا كانت تلك هي المنهجية الجديدة لفرقة البحث والتدخل، حيث تشتبهون بأي شخص بشكل عشوائي ثم تبحثون عن تهمة ما تناسبه كما لو أنكم تتعاملون مع زوجي جوارب، فهذا شأنكم ولا دخل لنا بهذه الطريقة. خلاصة الأمر هو أن النخبة

التي أشرت إليها كانت بعيدة كل البعد عن الوصول إلى حل لغز هذه القضية. ربما نكون مهرجين كما تقول أنت، ولكنني لم أسمع باسمك من قبل، ولم أعرف لك صولات ولا جولات في الإدارة العامة للشرطة الجنائية.

قاطعها "بورون" بصوت هادئ قائلًا:

- اهدئي يا "كابستان".

فالتفت "فروست" إليه وقال:

- حضرتك..

فقاطعه "بورون" هو الآخر قائلًا:

- اهدأ أنت أيضًا يا "فروست". لقد تصرفتْ كلتا فرقتيكما باستهتار وتهور، لقد أدى تكتمكما وتقديراتكما الخاطئة إلى هروب المتهم الأول في ثلاث جرائم قتل. ينبغي أن تتذكروا جيدًا أن إحداها تتعلق بقتل أحد الزملاء، لقد جعلتم منا أضحوكة. لحسن الحظ أن هوس كليكما بإتمام الأمر خلسة قد أدى إلى عدم انتشار خبر الهروب، لكنني لم أستدعكما إلى هنا لأستمع لشجاراتكما، فلتعيدا تنظيم فرقتيكما ولتتذكرا أننا هنا لتحقيق العدالة الجنائية، لذا أتوقع منكما تعاونًا يشرف مؤسستنا وليس حروب شوارع صبيانية.

ثم استطرد موجهًا حديثه لـ"دوبيري" قائلًا:

- وأنت يا "دوبيري" لم أسمع منك أي كلمة على الرغم من أن فرقتك مشتركة في هذه القضية.

رفع "دوبيري" عينيه عن الهاتف بأسف ووضعه في الجيب الداخلي لسترته الرمادية. بدأ حديثه بإيماءة اعتذار وجهها بشكل خاص إلى مدير الإدارة العامة للشرطة الجنائية، وعقب على حديثه هامسًا بنبرة من الثقة:

- حيث إن القضية لا تزال مفتوحة فإنني بحاجة للتحقق من عمليات البحث.

وتابع بعد أن رفع صوته قائلًا:

- فرقتنا مشتركة بصورة رسمية في قضايا القتل تلك، إلا أننا لا نرغب في إعاقة البحث احترامًا لذكرى المفتش "روفوس" وتقديرًا للجهود التي تبذلها فرقة البحث والتدخل لإنهاء هذا التحقيق. وبما أن التنسيق بين الفرق الثلاث كان معقدًّا إلى حد كبير، فإننا نفضل وضع كامل الثقة في قرارات فرقة البحث والتدخل التي فوضنا إليها جميع السلطات.

واختتم كلامه بابتسامة متملقة قائلًا:

- إننا لن نتدخل إلا في النهاية تاركين لهم بكل تأكيد الاستحقاق الكامل لهذه القضية.

ثم توجه إلى "بورون" بنظرة خبيثة وقال:

- إذا كانت هناك نهاية بالطبع.

هذا يعني أن "دوبيري" قد أخرج يديه من كل الإخفاقات التي مر بها التحقيق منذ بدايته. وفي الوقت نفسه لا يريد أن يشوه سمعة زملائه في فرقة البحث والتدخل خاصة أن الأمور بينهما لم تكن على ما يرام. أما بالنسبة لفرقة "كابستان" فهو لا يهتم بها، لذا فقد تجاهل ذكرها تمامًا.

أومأ "فروست" برأسه نحو "بورون"، وكأنه يؤكد على كلام "دوبيري"، معلنًا بذلك إقصاء فرقة "كابستان" بشكل واضح وصريح.

إلا أن "بورون" طوى نظارته واعتدل في كرسيه وقال:

- حسنًا. أعتقد أننا حصلنا على جميع الملفات..

يبدو أنه يفكر بجدية في هذه الاحتمالية. سرت رعشة من الخوف والريبة في أوصال "كابستان" وحدثت نفسها بأنه لن يجرؤ على إقصائها. أخذ المدير يقلب ذراع نظارته بين إبهامه وسبابته، ثم توجه بالحديث مباشرة إلى المفتشة قائلًا:

- يجب عليكِ تسليم ملف القضية التي وقعت بـ"ليون" إلى الملازم "ديامان" بمجرد عودتك، وكذلك كل ما توصلتِ إليه بشأن "جاك ميلون"، لن أكرر ذلك مرتين يا "كابستان".

على الرغم من غضبها، فقد امتنعت المفتشة عن مجادلة مديرها لأنها فهمت مراده دون أن يصرح بالأمر. وصلتها رسالته بشكل واضح وصريح. كانت "كابستان" تعلم أن مستقبل فرقتها يرتبط بشكل مباشر بحيل المفوض "دوبيري"، الذي يتقن فن النفاق تمام الإتقان. لقد أعطى القضية كالبيضة المقشرة لخصوم "كابستان"، التي لم يكن لها بد من التسليم بالأمر:

- علم وينفذ سيدي المدير.

- حسنًا، في هذه الحالة سيبقى تعاونكِ في القضية لكن بشروط. ومع ذلك فإنني أنصحك بعدم اعتراض طريق فرق الإدارة العامة للشرطة الجنائية.

بالرغم من كلامه الذي يحمل الشيء وعكسه "تواصلي معهم، ولكن بشكل غير واضح"، استطاعت المفتشة أن تفهم ما يقصده "بورون". لكنها لم تتمكن من فعل الشيء ذاته مع "فروست" الذي توجه للمدير قائلًا:

- مع احترامي لك سيدي المدير لكن لا بد أنك تمزح. أتَفهَّم أنك فكرت في بداية الأمر أن الصديقة المقربة لابن القتيل يمكن أن تساهم في اكتشاف زاوية مختلفة للقضية، ولكننا رأينا ما نتج عن ذلك.. أظن أن هناك

تضاربًا في المصالح ولن ننجح أبدًا بهذه الطريقة، حيث تعيقنا خياراتهم العشوائية عن تسيير التحقيقات بسلاسة.

نظر "بورون" مباشرة في عين "فروست" للتأكيد على أنه صاحب القرار الأول هنا. لم يكن على المدير تبرير خياراته، إلا أنه قال بصوت هادئ:

– أود أن يكون فريق البحث متكاملًا ويشتمل على عناصر متميزة مثل "كابستان"، ولا يعني ذلك أنني أطالبكم بالترابط الكامل، ولكن على الأقل بالتفاهم الودي. وأتمنى أن يتم إبلاغي بمستجدات وتطورات التحقيق أولًا بأول، إنني أعتمد عليك أنت أيضًا أيها الملازم "ديامان".

تفاجأ الملازم من توجيه الخطاب له بشكل مباشر في هذا الاجتماع الذي يقاطعه فيه "فروست" كلما حاول إبداء رأيه. لذا تلعثم للحظة قبل أن يستعيد تماسكه، وقال:

– أجل سيدي المدير.

هم "دوبيري" بالنهوض، وقبل أن ينطق "فروست" بكلمة أخرى، أنهى "بورون" الاجتماع وهو يرتدي نظارته مرة أخرى قبل أن يفتح ملفًّا جديدًا ويقول لهم:

– يمكنكم الذهاب الآن. إلى اللقاء.

24

كانت "روزيير" تحمل مخطوطة تحت ذراعها وتستحث خطاها متوجهة مباشرة نحو "كابستان" التي كانت تحتسي الشاي في الهواء البارد في شرفتها المهجورة، بادرتها قائلة:

- لدي خبر سيئ لك يا "آن".

خبر سيئ آخر، لم تكد "كابستان" تلتقط أنفاسها من خبر تورط "أورسيني"، وهو أحد زملائها في قضية القتل الثلاثية، وفرار المتهم الرئيس من قبضتها أسرع من الفأر "ميكي"، أي خبر سيئ؟! لم تستطع "كابستان" حينها توقع ذلك الخبر الذي يمكن أن يزيد الطين بلة.

استغلت "روزيير" تواجدهما في الشرفة فتركت المخطوطة على أحد الكراسي وأخرجت سيجارة من سجائرها الطويلة وأشعلتها بولاعتها الذهبية ثم أخذت نفسًا قصيرًا منها، وقالت:

- يتعلق الأمر بوالد زوجك..

بكل تأكيد يمكن لخبر يخص زوجها أن يزيد الطين بلة. على ما يبدو أن الأسوأ -فيما يخص هذه التحقيق- لم يحدث بعد. تُرى ما الرسالة التي يجب أن تنقلها "كابستان" هذه المرة إلى "بول"؟ إنها المرة الأولى التي

يظهر فيها والد زوجها ظهورًا فاعلًا في ملف القضية. ويُحتمل أيضًا أنَّ "روزيير" كانت تريد أن تقلقها فحسب؟ لم تعبر كلماتها "خبر سيئ" عن أي شيء حتى الآن. واصلت "كابستان" احتساء الشاي دون أن تنظر إلى النقيب، ثم رفعت وجهها لتشير لها بالحديث قائلة:

- تفضلي بالحديث، كُلِّي آذان مصغية.

بدأت "روزيير" حديثها أخيرًا:

- حسنًا، لقد قرأت المخطوطة مرارًا وتكرارًا لكنها مشفرة. لذا بدأت بعكس الأماكن والوظائف والأسماء والأعمار والأحرف التي تشير إلى الشخصيات، ثم تعمقت في تحليل دوافع الشخصيات، وحينها تمكنت من الوصول إلى العناصر الفاعلة في عملية السطو وقارنتها بالملفات التي بحوزتنا، وحاولت الربط بينها وبين الشخصيات الحقيقة. توصلتُ في النهاية إلى بعض التطابق؛ حيث كان "أليكسي فولووسكي" شريكًا في الجريمة، بل وأعتقد أنه كان العقل المدبر إلا أنه لم يتوقع أن يتحول الأمر إلى هذه المأساة لذا انهار تمامًا في نهاية الأمر. كان "روفوس" متواطئًا هو الآخر؛ فقد كان رجل العدالة الذي بحاجة إلى المال لمساعدة ابنه في بداية مشواره المهني. ويمكن أن تتوافق شخصية الراعي في هذه المخطوطة مع شخصية زوجكِ السابق الذي كان بمثابة المنتج لثلاثي فرقة "ليه بليرو".

- معذرة! ماذا تقصدين؟

- إن الأموال التي حصل عليها والد زوجك من عملية السطو هي التي مكنت زوجك السابق من العمل ممثلًا كوميديًّا ومنتجًا لفرقة الثلاثي الشهيرة.

- ...

أومأت "كابستان" برأسها ثم رفعت الملف من على الكرسي وجلست وهي تضع كوب الشاي على الطاولة المعدنية المطلية، أما "روزيير" فجلست في الكرسي المقابل لها حيث يتمدد الكلب أسفله. كان "روفوس" شرطيًّا فاسدًا إذًا. لا عجب في ذلك على الإطلاق، فلم يكن هذا الفساد المهني سوى خاتمة لحياته البائسة. لكنه فعل ذلك لمساعدة ابنه الذي أصبح من المشاهير.

لم تستطع "كابستان" أن تتخيل تأثير مثل هذا الخبر على "بول"، هل سيكون شعور بالذنب أو الندم أو التعاطف تجاه والده أو على العكس شعور بالرفض التام لهذا الفساد؟ لم تستطع "كابستان" -من هول الصدمة – أن تتخذ قرارًا حيال إخبار "بول" بالأمر من عدمه، لذا أرجأت التفكير في ذلك. ما زال التحقيق جاريًا، ولكن تورط "روفوس" في القضية يجعلنا نفهم سبب تقاعسه عن التدخل السريع وقت وقوع عملية السطو المسلح على البنك. فقد سمح لهم "روفوس" بالفرار، غير أنه لم يكن يتوقع إراقة الدماء بكل تأكيد.

واصلت "كابستان" الإمساك بمقبض كوبها، وسألت:

– مَنْ كان العقل المدبر لهذه العملية؟ هل تعلمين شيئًا عن ذلك؟ من كان مسؤولًا عن التواصل فيما بينهم؟

– الحقيقة أن "ميلون" و"فولووسكي" قد نَشَآ في الحي نفسه إلا أن المخطوطة لا تحدد حيًّا بعينه وكذلك ملفات الشرطة. كان "ميلون" سارقًا له سوابق وحين أصبح صديقه "فولووسكي" موظفًا في بنك عاد إلى السرقة مرة أخرى، لكنه لم يكن مغرمًا بالقتل فلم يسبق له أن أطلق النار على أي شخص، وكان في الوقت ذاته مخبرًا لـ"روفوس". لا بد أن الرابط الذي جمع ثلاثتهم هو الرغبة في تحقيق الجاه والمال دون مشقة، لكن خطأهم الذي غفلوا عنه حينها هو إشراك "رامييه" في العمل معهم. كان

"ميلون" هو من لعب دور الوسيط في ذلك أيضًا، إذ كان قد تعرف به في شبابه في السجن بيد أنه لم يعلم إلى أي مدى وصل إجرامه وخطورته.. حتى "روفوس" أيضًا لم يكن يعلم بعمليات "رامييه" الكبيرة حيث كانت سابقته الوحيدة جنحة بقضية بسيطة في عنفوان الشباب.

- لا يوجد أي أطراف أخرى شاركت في العملية؟

- بلى، ربما، لكنني لا أستطيع أن أجزم بذلك، فقد اعتمدت في تحليلي على البيانات المتاحة لدينا.

بينما يتناقشان أقبلت حمامتان تتسارعان وترفرفان بأجنحتهما إلى أن وصلتا بهدوء إلى الزاوية المقابلة للشرفة، دون أن تكترثا بوجود اثنين من بني البشر. غير أن مشهد شجر اللبلاب المتدلي إلى أسفل قد شتت تركيزهما وصرفهما عن المنظر الطبيعي "المعدني" الموجود في الساحة. لكن يبدو أن "بيلو" كان له رأي آخر؛ حيث نهض وتوجه صوب الحمامتين ليعيد الأمور إلى نصابها فارضًا نقطة نظام على المشهد بأكمله.

لقد تحصل "ميلون" على مبالغ طائلة من هذه العلمية، وشهدت على ذلك رحلاته المتكررة إلى سويسرا ذهابًا وإيابًا. كان ينفق ببذخ في محاولة منه للتخلص من شبح الجثتين الذي يطارد أحلامه ليلًا. استطاع "فولووسكي" هو الآخر -بفضل الأموال التي حصل عليها من عملية السطو- أن يبدأ حياة جديدة متخفيًا تحت اسم جديد. لكن ماذا عن "روفوس"؟ لم تره "كابستان" منذ عشرين سنة. ولم يشر "ميرلو" في تقريره إلى أنه كان ينعم بحياة مرفهة.

- بعد اعتقالهم لمشتبه به على ذمة القضية وحين اعتقد رعاة البقر أن القضية قد حُلَّت زودونا ببعض الملفات، هل كان فيها أي كشوف حسابات مصرفية لـ"روفوس"؟

- نعم، أظن ذلك. لكنني لا أعتقد أن ضابطًا محنكًا كـ"روفوس" يمكن أن يضع أمواله المسروقة في بنك "كريدي موتويل". آه فهمت قصدك، يمكننا معرفة ما إذا كان يقوم بعمليات سحب نقدي أم لا. فإذا لم يقم بذلك، فهذا يعني أن لديه ثروة مخفية.

- نعم، سنعرف ما إذا كان قد خبأ المال في مكان ما وإذا كان هذا هو العنوان الذي حاول "رامييه" معرفته منه عنوة بتعذيبه.

- أو ربما استثمر أمواله كلها في مهنة ابنه.

أطفأت "روزيير" عقب سيجارتها في مطفأة السجائر ثم ابتسمت لزميلتها ابتسامة حنونة وقالت لها:

- يجب عليكِ رؤيته هذه المرة يا عزيزتي.

أبدت "كابستان" موافقتها إذ لم يكن لديها خيار آخر في الواقع.

تصادم شعور نفاد الصبر بالانزعاج، ثم انصهرا، ثم تَلَاشَيَا في نهاية الأمر تاركين فراغًا بداخلها. كانت هناك أمور أخرى تشغل "كابستان" كتسريب المعلومات، وتورط "أورسيني" في القضية. غير أن الصمت عن هذه الأمور كان الخيار الأمثل حينها. فحولت مسار الحديث وسألت "روزيير":

- هل تحدثتِ بشأن هذا الأمر إلى أي شخص آخر؟

- كلا، لأنه أمر يخصكِ أنتِ في المقام الأول. ولن يستطيع أحد حسمه سواكِ أنتِ فقط.

كانت "كابستان" تشعر بالذنب في كل مرة تخفي فيها شيئًا عن فرقتها، فهي التي طلبت منهم جميعًا العمل على هذه القضية، بل كانت تحثهم وتدفعهم دفعًا لتحقيق شيء ملموس في التحقيق. لكنها في نهاية الأمر لا تصارحهم بشيء مما توصلت إليه. لم تكن "كابستان" تحب أن ترى نفسها أبدًا في هذه الصورة.

فبالإضافة إلى إخفائها فساد "روفوس" وتورطه في القضية، أخفت "كابستان" عنهم أيضًا تورط شرطي آخر؛ وهو في الوقت ذاته زميل لهم في الفرقة نفسها. فقد فضلت "كابستان" الوفاء لحميها وزميلها "أورسيني" على مصلحة بقية أفراد فرقتها. حينها رأت أن أفراد فرقتها كانوا على حق عندما تمردوا وتذمروا في بادئ الأمر؛ فلم يكن أحد حريص على منحهم فرصة النجاح في مهمتهم بما في ذلك رئيستهم، بل على العكس كانت الإدارة العامة تتفنن في إذلالهم وإظهار فشلهم.

من ناحية أخرى، لم تكن هذه المخطوطة بحوزة التحقيقات الجنائية ولا فرقة البحث والتدخل، وحتى لو كانت بحوزتهم فـ"روزيير" ليست معهم لفك شفرتها. يمكن لهذه المعلومات أن تظل حبيسة هذه الجدران إن قررت هي ذلك.

دارت الأسئلة في رأس "كابستان" مرارًا وتكرارًا وأخذت تقلبها كما نقلب زهرية لنُصْلِح ما بها من شروخ. كان السؤال الذي يصارعها بشدة هو:

"مَنْ سأشوه وعلى من سأكذب؟ الفرقة؟ الإدارة العامة للشرطة الجنائية؟ العدالة؟ "بول"؟ ما الذي سأقوله ولِمَنْ؟ قرار واحد كفيل بأن يحطم كل شيء".

ينبغي عليها مواجهة "بول" وأن تمزق الصورة التي تعهدت بكل بساطة ألا تمسها حين أخبرته بجريمة القتل. ربما يمكن لـ"كابستان" السكوت عن هذا الأمر أيضًا وانتظار اللحظة المناسبة لذلك، ولكنها لا بد أن تقابل زوجها السابق، كان هذا مؤكدًا على الأقل. اندلعت حرب جديدة من الرغبة والرهبة والعجز داخل "كابستان" إلا أنها تظاهرت بأنها طبيعية ومتماسكة.

أخذت المفتشة تبحث عن سبب لنظرة "روزيير" المليئة بالتعاطف واليقين، ثم تنهدت تنهيدة عميقة ببطء شديد وتناولت هاتفها الذي كان موضوعًا على الطاولة بجانب كوب الشاي الذي أصبح باردًا تمامًا.

25

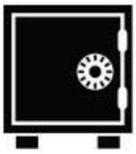

كانت صفوف مقاعد المسرح ذي الطراز الإيطالي الفارغة متراصة واحدًا عقب الآخر يحفها الظلام. وفي المقدمة، كانت هناك خشبة المسرح المضيئة، والتي كان يعلوها شاب يسير على ألواحها مفعمًا بالنشاط والكبرياء. يبدو كأنه يسأل الإله نفسه؛ كيف وجد أداءه الدور وما إذا كان يفهم كل شيء. طلب هذا الشاب زيادة الإضاءة ورفع مستوى الصوت وإطلاق المزيد من أصوات الضحكات. لم يكن يتمتع بالموهبة فحسب، بل عززها بالطموح. تعرفتْ عليه "كابستان" مِنْ وجهه العبوس المُضحك في الوقت نفسه، ذلك الوجه الذي ظهر تقريبًا على جميع المسارح في أنحاء باريس.

لم يجبه الإله، بينما كان المخرج الجالس في مقابل خشبة المسرح يصدر توجيهاته بصوت شجي تردد صداه مثل الشوكة الرنانة، فسرى في "كابستان" حتى النخاع. توقفت في الجزء العلوي من القاعة في الطرف الآخر من المسرح قابعة في الظلام تتأمل الشعر الكثيف الذي أظهرت الأضواء شقرته بوضوح والأكتاف العريضة التي تجاوزت الكرسي؛ حيث أكسبت السنون المنصرمة جسده بعض الزيادة إلا أنها لم تصل إلى حد الضخامة. كان "بول" محافظًا على لياقته البدنية، فما زال وسيمًا وأنيقًا

كما كان دائمًا. وقد ورث هذه الوسامة من أبيه -الذي كان دائمًا ما يسخر منه بسبب اهتمامه بهيئته وهندامه- لكن لم يرث منه الفظاظة والغلظة. كان ممثلًا رائعًا لكنه كان مغرورًا ومتباهيًا. كان مخلصًا وفيًّا ولطيفًا، غير أنه كان يهرب وقت المحن بطريقة طفولية. فحين انهارت "كابستان" لم يستمر معها ولو لعام واحد. حين توقفت عن الضحك توقف هو عن البقاء. وقعت العقوبة منه دون استئناف أو تأجيل.

كانت "آن" تعلم أنها لم تكن مترفقة ولا حتى ودودة، بل كانت في ذلك الوقت تبدو قاسية ومنغلقة وجافة، كانت كل قواها موجهة إلى أشياء أخرى كالتحقيقات وضرورة الحفاظ على البقاء في القمة. لذا رأى "بول" بكل بساطة أنْ لم يتبقَ شيء يمكن العيش من أجله مع "كابستان". أما هي فقد سبب لها العيش مع "بول" -أمير السهرات المتلألئة- حالة من الانفصام التام حينًا ومن الامتعاض الكلي أحيانًا. فقد أحبت "بول" لغاية تجعلها تشعر بالغثيان كونها فعلت ذلك فقط بحثًا عن الأضواء والمتعة والذكاء، ولكن حين تقارن ذلك مع ما تحياه في مهنتها يبدو الأمر غير لائق تمامًا.

لم تحاول بما فيه الكفاية للحفاظ على حياتهما معًا، وكذلك "بول" أيضًا.

أطلقت "كابستان" زفرة مستاءة من هذا الشخص الذي يدير المشهد بصوت هادئ من كرسيه، ودفعها نفاد صبرها لنزول الدرج الذي يقطع الصفوف بأسرع ما يمكنها لتجلس على المقعد المجاور له تمامًا. جلسا وحدهما لبعض الوقت في هذا المسرح المظلم. كانت لديها أسئلة يجب أن تطرحها عليه.

حين رآها "بول" هب واقفًا وتهلل وجهه، حاول السير بين الكراسي إلا أن قاعدة الكرسي أعاقت ركبتيه فأشار إليها بيده المتلهفة لتقترب فقطعت صف الكراسي مترددة في ترك كرسي بينهما أو الجلوس بجواره مباشرة إلا أنها

اختارت أن تجلس بجواره. وضع يده على كتفها، وطبع قبلة سريعة على خدها، ثم جلسا يشاهدان الشاب الذي يتحدث بقوة على خشبة المسرح، رافضين استحضار جرائم القتل والشكوك ليستمتعا ببضع لحظات من التواصل والراحة واستعادة الذكريات. شعرت "كابستان" بقطن قميص "بول" يلامس كشمير سترتها. تحرُّكِ النسيج الملامس لبشرتها فتلامسا برفق أثار فيهما لهيب الرغبة إلا أن المفتشة أطفأته -بعد أن عاشاه للحظة- خشية أن يجتاحهما، ثم قالت بصوت منخفض:

- هناك تقدم في القضية فقد تعرفنا على هوية قاتل أبيك، يُدعى "ماكس رامييه". لا أعلم إذا كان هذا الاسم يُذكرك بشيء ما؟

ثم عرضت عليه صورة له كانت على هاتفها المحمول.

- لا، لا يذكرني بأي شيء على الإطلاق.

قلبت الصور لتريه "ميلون" و"فولووسكي" وسألته:

- وماذا عن هذين؟

- ربما أعرفهما، لكنني مشوش لا أستطيع أن أخبرك بشيء مؤكد. ولكن.. هل تعلمون لماذا قتله؟

أجابته قائلة:

- تصفية حسابات على ما يبدو.

ثم انتابتها لحظة من التردد؛ فإما أن تخبره الآن أو لا تخبره أبدًا. لكنها قاطعته شارحة:

- لقد كان سارقًا وقاتلًا اعتقله والدك وأرسله إلى السجن فانتقم منه حين خرج.

هز "بول" رأسه في محاولة منه لاستيعاب المعلومات التي لم يتوقعها عن أبيه على الأرجح. تُرى ما الذي يعرفه عن فساد أبيه؟ هل كان على دراية بالأمر من البداية؟ تلاشت الكلمات من على لسان "كابستان" ولم تدرِ ماذا تقول وقد ملأتها الشكوك فجأة.

كانت قد انتهجت سبيل الكذب عن طريق المواراة، وكان عليها فعل ذلك على كل حال. اختارت "كابستان" أسلوب التمويه والتضليل وأشارت بذقنها إلى الممثل الشاب الذي يعلو المسرح متسائلة:

- هل يسير فتاك الجديد بشكل جيد؟

- إنه فتى رائع، ومقنع بشكل كافٍ. وقد بدأ بالفعل في تقديم نفسه من خلال عرض بعض مقاطع الفيديو القصيرة على موقع "يوتيوب"، كما أنه مرشح جيد لبرامج ألعاب يوم الجمعة، إنه يشق طريقه بإصرار بالغ.

- وماذا عنك؟ ألا تحدوك رغبة للعودة للتمثيل مرة أخرى؟

- أحيانًا..

رفع "بول" شعره في محاكاة ساخرة للغرور وقال:

- علمت بالأمس فقط أنني ما زلتُ قادرًا على العطاء.

- هل يتعلق الأمر بمشروع جديد؟

- لا لا، بل قديم جدًّا. صحيح أننا لم نبدأ العمل بعد، لكن فكرة اجتماع ثلاثتنا من جديد قد شقت طريقها بالفعل هذه المرة خاصة في مجال السينما. يا له من حدث كبير يصيبني بالحنين إلى الماضي!

- جيد..

علا وجه "بول" العبوس بسبب عدم تحمسها، وقال:

- نعم، إذا استمر السيناريو فربما يكون جيدًا جدًّا.

- أظن أنه يلزمكم الحصول على تمويل.
مسح على شعره مجدَّدًا وقال:
- أوه، نعم بكل تأكيد. الحقيقة أن التمويل هو مشكلتنا الرئيسة.
- وماذا عن المال الذي كسبتموه من نجاحكم المبهر عندما كنتم تعملون معًا في فرقة "ليه بليرو"؟
هربت ضحكة كانت مرسومة على وجهه، ثم ردَّ عليها قائلًا:
- أتريدين الصدق؟ ليس لدي أدنى فكرة.
- هل تمازحني؟
- لا، إطلاقًا. أعلم أن هذا لا يبدو منطقيًّا، لكن كما تعلمين جيدًا، فقد كنت أحمق في هذا العمر. كان "دوني" هو الذي يتولى الأمور المالية والإدارية بينما كان كل ما يشغلني هو أن أؤدي العرض على أحسن ما يكون.
- ليس هذا فحسب يا "بول". عليك أن تتوقف عن ذلك وتصارحني.
كان شعوره الراسخ باحتقار الذات ما يزال محفورًا في أعماقه، ولم يتمكن أحد قط من إزالته. لم يكن "بول" يؤدي العرض فحسب، بل كان يكتب المشاهد الهزلية بالكامل والتي كانت تدفع ملايين الحضور للضحك من أعماقهم. كان حسه الفكاهي يؤثر بعمق دون أن يؤذى أحدًا، كانت الحشود الهائلة تلتف حوله تقديرًا لجهد مضنٍ ودقة عالية لم يكن لشخص أحمق أن يأتي بمثلهما. أما عن الأمور الخاصة بالمال، فعلينا التسليم بأنه لم يكن يعيرها الاهتمام الكافي. كان "دوني" هو الذي يتولى كل ما يتعلق بالماليات وتكاليف الإنتاج، أما "بول" فكان يجهل كل هذه الأمور تمامًا.
أضاف "بول" بلهجة شابها الندم وجلد الذات:

- على كل حال أنا لم أكن يومًا رجلًا مثاليًّا، ولم أخطط أبدًا لأهداف بعيدة. كان كل ما يشغلني هو المضي قدمًا وعيش حياتي دون وضع أي اعتبار لأسس أو خطط أو أسباب أو عواقب.

- كنت تحاول دومًا الهروب من المواجهة وتحمل المسؤولية كي تعيش حياتك كما يحلو لك.

حرك كتفيه قليلًا، فاحتكَّ قميصه بقطيفة الكرسي، ثم سألها بصدق:

- هل كنتِ تعيشين حياتك أنتِ الأخرى؟

فأقرت مبتسمة:

- نعم قليلًا..

- أهاا.

أسرت "كابستان" في نفسها بقية حديثها؛ حيث كانت على وشك أن تقول له: "كنت أعيش حياتي كما ينبغي حتى ظهرت أنت فيها". فقد جعلها "بول" تفقد عشر سنوات من حياتها، ومائة نقطة من معدل ذكائها لدرجة أنها كانت لا تفهم مسلسل "العسل والنحل". كل هذا كان من توابع الحب وآثاره، الذي يصيب القلب والعقل أولًا ثم يسري في باقي الجسد تمامًا كالسرطان.

سألها "بول":

- هل لهذه الأسئلة علاقة بالتحقيق؟

فأجابته كاذبةً:

- لا، على الإطلاق.

سهَّل وضع كرسيهما المتجاورين -الذي حال دون تلاقي وجهيهما- من عدم فضح كذبها.

- لقد وقعت السرقة حين كنتَ في "ليون"، هل تتذكر أي شيء عن أصدقاء مقربين من والدك؟ أو بعض الأمور المريبة؟ أو ربما تهديدات أو ابتزازات؟

ثم ترددت قليلًا قبل أن تضيف:

- أو اضطرابات مزاجية؟

تنهد "بول" بعمق ثم قال:

- اضطرابات مزاجية.. نعم، كانت السنوات الأخيرة في "ليون" مختلفة عن غيرها، غير أني لا أستطيع أن أجزم بالسبب. لقد بدأتُ حياة جديدة وتعرفت على أشخاص جدد. كانت لدي رغبة في تولي أموري بنفسي دون الاعتماد على أبي. لذا تركت العيش معه في البيت نفسه. هل يمكن أن يكون رحيل ابنه البالغ هو ما دفعه للتصرف على نحو مختلف أم أن وظيفته هي التي غيرت سلوكه؟ لا يمكنني أن أجزم بشيء من ذلك. هذا طبعًا بالإضافة إلى أنني لم أكن أشعر بوجود أحد ممن كانوا حولي بعدما انفصلت عنكِ وتركتُ مهنتي. هكذا كانت علاقتي بوالدي خلال السنوات الأخيرة.

- آه، نعم. هل رأيته مؤخرًا؟ هل لاحظت أي تفاصيل أو أي عصبية من نوع خاص؟

- لا.

حدق "بول" بشعيرات وبر القطيفة المتناثرة على بنطاله الجينز ثم أشاحها عنه بلطف متوجهًا نحو "كابستان" ليقول لها:

- أتعلمين أني لم أره أبدًا بعد الزواج؟

كانت "كابستان" تعلم ذلك بالفعل.

26

بالقرب من باريس، سبتمبر 1993

كان "بول" في غرفته الصغيرة بالفندق الريفي يحاول ربط رابطة عنقه، ويداه ترتجفان غضبًا أمام مرآة خزانة الملابس، التي كان يرى فيها انعكاس صورة والده يقف وراءه بكل غطرسة مرتديًا بذلة تبرز عضلاته المفتولة، ويرمقه بنظرات مشمئزة وابتسامة ممتعضة، ويمطره بوابل من الكلمات المثبطة ليدفعه للاستسلام والتخلي عن هدفه قائلًا:

– لن ترقى أبدًا إلى مستوى شرطية، لست كفئًا لذلك على الإطلاق أيها المهرج. انظر إلى رابطة عنقك تلك، لقد استغرقت ساعات طوال لاختيارها، أليس كذلك؟ وكم دفعت مقابل بذلة الـ"بلاي بوي" تلك؟ انظر إلى نفسك، تقف هنا حليقًا مهندمًا وتفوح منك رائحة العطر..

لم يستطع "بول" كبح زمام لسانه فاندفع قائلًا:

– أغلق فمك..

ابتسم "سيرج" هذه المرة ابتسامة شريرة واقترب منه ناظرًا إليه بازدراءٍ قائلًا:

- لا تتحدث إلى أبيك بهذه الطريقة، فلن يمكنك تحمل تبعات تصرفك هذا أيها الفتى الطائش. لا تظن أن بإمكانك أن تكون مناسبًا لـ"كابستان"، ذلك لأنها تحيا حياة مختلفة تمامًا عنك بحكم عملها، ولن تستطيع مساعدتها في شيء لا تفقه أنت عنه شيئًا. وحين تعود وتكون بحاجة إلى ركن رجل شديد تأوي إليه ماذا ستجد؟ انظر إلى نفسك بحق الجحيم، ماذا ستجد؟

- ستجد رجلًا يتحدث معها ويستمع إليها ولا يضرب ابنها. ستجد فيَّ ذلك الرجل الذي لم تجده أمي فيك.

كان "بول" على وشك البكاء إلا أنه لم يرد أن يمنح هذا الوغد متعة أن يشمت فيه أو نشوة الانتصار عليه. يا له من لعين حقًّا! لأول مرة يشعر "بول" بشيءٍ من الجمال والروعة يتخلل حياته كشعاع نور أضاء ظلمة أيامه، إلا أن والده يأبى لذلك أن يتم. حيث طلَّ عليه بظلامه متربصًّا له، بل ويهدد بقاء شعاع النور الذي طالما بحث "بول" عنه طيلة حياته.

- دائمًا ما اعتمدت أمك عليَّ، لقد كانت..

- اعتمدت عليك؟ تعني على شجاعتك وعضلاتك المفتولة؟ إنك أسوأ زوج يمكن لامرأة أن ترتبط به. لقد عاشتْ معك حياة مليئة بالحزن وماتت غارقة فيه.

لكم "سيرج" "بول" بقبضته فأصاب جفنه فشجه. فقد "بول" توازنه لبضع ثوان فارتطم بخزانة الملابس محطمًا مرآتها فتناثرت شظاياها على الأرضية، إلا أنه نجح في البقاء واقفًا ممسكًا بباب الخزانة فجرحت قطعة من الزجاج العالق في إطار المرآة راحة يده. مسح "بول" عينيه بكم قميصه ليرى بياضه الناصع ملطخًا باللون الأحمر، وقد امتصت بذلته ورابطة عنقه الدم الذي سال من جبينه. رفع رأسه ليرى نظرة والده التي يملؤها

الرضا والاستعداد لإعادة الكَرَّة فقط ليظهر أنه صاحب الكلمة الأولى في هذا المكان. تصاعد الرعب من جديد وأتي من بعيد، من تلك الذاكرة المحفورة في عقل ذاك الطفل الصغير. كان ذلك الرعب أسوأ وقعًا من الألم، حيث يصيب جميع أعضاء الجسم والعقل وكل الغرائز بالشلل التام، فتقف عاجزة عن التحرك للدفاع عن الذات في مواجهة السلطة الأبوية.

لكن "بول" قد كبر وفعل كل ما بوسعه ليعزز العنف بداخله؛ فمارس "الرجبي" والملاكمة والهوكي والفنون القتالية وخاض شجارات آخر الليل، لقد كان يهيئ نفسه منذ سنين عديدة ويتحين الفرصة والشرارة التي سَتُذهب خوفه.

- اليوم هو حفل زفافي يا أبي، عليك أن تتوقف عن لعب دور الأب السلطوي. فقد حان الوقت لتغيير الأوضاع.

وقف "بول" مرة أخرى بالرغم من تورم عينيه شبه المغلقة ولاحظ أنه في طول والده نفسه بل وربما هو أطول وأعرض منه. تدفق سيل من القوة في ذراعيه نابع من ذكريات الطفولة، ثم ملأ صدره بالهواء وأمسك بمجامع ثوب والده ودفعه بغضب شديد فوقع مغشيًّا عليه من أول دفعة.

صفعه ليفيق وقال له بلهجة حاسمة:

- ارجع إلى غرفتك وغير ملابسك ونظف الدم أيضًا، فسأتزوج في غضون خمس عشرة دقيقة.

أخذ القس يقلب نظره بين وجه العروس فائق الجمال وملامح زوجها المستقبلي متورم الوجه. أشفق "بول" على هذا الرجل المسكين الذي كان يهذي، ويتلعثم، ويراجع دفاتره باستمرار لعدم قدرته على التركيز.

كانت "آن" ذات العشرين عامًا ترتدي فستانًا كريمي اللون يتميز بالأصالة والحشمة، وزينت رأسها بتسريحة شعر أنيقة خالية من التكلف. أما "بول" فارتدى بنطاله الجينز وقميصه الأخضر من ماركة "بولو" اللذين كان ينوي ارتداءهما في اليوم التالي. ربما كان السبب في انزعاج القس أكثر هو الغياب التام لأي توتر أو ضغط أو غضب في سلوك العروس والابتسامة المشعة بالسعادة الخالصة التي تعلو وجه العريس.

بعد المواجهة مع والده، أطفأ نيران غضبه تحت مياه الدوش ولَفَّ ثيابه الملطخة بالدماء كالكرة ووضعها في حقيبته وارتدى غيرها. انحسرت مشاعر الكراهية لتفسح المجال للحقيقة الوحيدة في تلك اللحظة؛ وهي أنه واجه أباه الذي امتثل لأمره وخرج من الغرفة. لتكون هذه هي المرة الأولى التي يردع فيها العدو، الذي لن يخاطر بمواجهته مرة أخرى بعدما ذاق مرارة الهزيمة في الجولة الأخيرة. الآن فقط يمكن لحياته أن تتحد مع حياة "آن" بعد أن تحرر من أغلاله، ومن خوفه الذي كان سيظل محفورًا في ذهنه لبضع سنوات أخرى لولا أن إرادته تغلبت عليه.

حين دخل غرفة "كابستان" ليخبرها بما حدث تغيرت قسمات وجهها، وما إن نطق أولى كلماته حتى تحركتْ باتجاه الباب إلا أنه منعها وتحدث إليها. وأخبرها أن هذه معركته هو وليس عليها أن تتدخل فيها. شرح لها الغضب الذي اجتاحه، والسلام الذي أسكنه، وكذلك السعادة التي تغمره في هذه اللحظة لشعوره بإحساس جديد يملأ أعماقه إلى جانب سعادته بحفل الزفاف الذي ينتظرهما. فارتسمت على ثغرها بسمة قلبت كل الأجواء ونزلا معًا إلى القس.

بعد أن أنهيا المراسم بشق الأنفس أعلنهما القس زوجًا وزوجة أمام القاعة المليئة بالحشود المشوشة، فتبادلا خواتم الزفاف الرقيقة

وخطفا قبلة سريعة لأن أعين الحضور كانت تراقبهما ولأن وجنة "بول" كانت لا تزال تؤلمه.

تحول العروسان نحو الحضور حيث رأيا أفراد العائلتين يبتسمون على مضض بينما تحتل كل عائلة منهما جانبًا من القاعة ويرمقون بعضهم بعضًا بنظرات صامتة كأنهم تماثيل. كان وجه والد "بول" مشوهًا هو الآخر إلا أنه كان يقف مستقيمًا كحبل المشنقة مطبقًا فمه، يرمق الحشود بنظرات ساخطة. أما أعمامه وعماته وأبناء عمومته فبدى عليهم الحرج وعلا وجوههم بعض الدهشة وتظاهروا بعدم رؤيته متجنبين نظرة عائلة "كابستان". لم تكن المهمة يسيرة على الإطلاق.

على الجانب الآخر كان أقارب "آن" وأبواها يحافظون على مظهر من الوقار الكامل ويتظاهرون بعدم ملاحظة أي شيء غير طبيعي، بدا عليهم أنهم لا يعرفون شيئًا مما حدث. كانوا يتساءلون بكل تأكيد عما إذا كان ينبغي أن يتوغل شعورهم بخيبة الأمل أكثر من ذلك حتى ينال التقدير الذي لطالما أكنوه لهذه الفتاة الصغيرة المرحة اللطيفة التي كبرت فجأة.

حين انضمت "آن" إلى الشرطة كانت قد اختارت طريقًا غير مألوف. فمع أن نجاحاتها في مدرسة "سان-سير" فتحت لها أبواب الوظائف المرموقة في هذا المجال على مصراعيها، بما في ذلك مجال القضاء الذي كان سيبدو مناسبًا أكثر بالنسبة لشابة في مثل حالها، إلا أنها كانت دائمًا كما وصفها جدها بنبرة يغلب عليها الندم أكثر من الإعجاب:

- "آن" شخصية مزاجية لها طريقتها الخاصة ونظرتها المختلفة. إنها غريبة الأطوار حقًا.

وها هي الآن قد اختارت أن تعيش حياة غير طبيعية بإتمامها هذه الزيجة. لا نريد أن نستبق الأحداث بكل تأكيد، لكن مثل هذه العلاقات الغريبة نادرًا ما تستمر.. فسرعان ما ستنبثق الخلافات خاصة عند تربية الأطفال، تلك الخلافات التي كان يخفيها عنفوان مشاعر ما بعد المراهقة. لكن على كل حال ستنهار هذه العلاقة في نهاية المطاف.

كان "بول" يدرك أن ملابسه غير اللائقة ووجهه المشوه ووالده المريب، كل ذلك يُزيد من مخاوف أهل زوجته التي كانت راسخة فيهم من الأساس، ولا شك أن هذا طبيعي. شعر بالأسف حيال "آن" ولم يكن بوسعه فعل أي شيءٍ ليخفف عنها الضرر غير أنها لم تأبه لأي شيءٍ من ذلك. كانت عيناها تشعان فرحًا وسعادة، ملقيةً كل ما عدا ذلك خلف ظهرها.

ما إن شعر المدعوون والأصدقاء بشيءٍ من الطمأنينة حتى بدؤوا بالتعارف، والإعجاب ببعضهم بعضًا، حيث كان الحفل مادة خصبة للحوار فيما بينهم.

والآن حان وقت الطعام والحفلة الراقصة. وقد فَضَّلت "آن" و"بول" أن يكونا بسيطين لئلَّا يُظهرا مزيدًا من الفوارق من ناحية، ولأن "بول" هو مَنْ تحمل كافة التكاليف بنفسه من ناحية أخرى. كان المكان دافئًا ذا طابع ريفي ومثاليًّا للضيوف الذين وصل عددهم ما يقارب الستين فردًا.

جلس جميع الضيوف على طول المائدتين، انتابتهم الدهشة قليلًا لدى رؤيتهم كؤوس المشروبات الترحيبية متراصة على الطاولة منذ فترة ليست بالقليلة، بدا ذلك واضحًا من خلال اختفاء رغوة المشروب من الكؤوس جميعًا. رفع الجميع كؤوسهم الفاترة ليشربوا نخب هذه الزيجة،

متجاهلين تدني مستوى الخدمة المقدمة في هذا الحفل. ثم انتظروا تقديم الوجبات.. وطال الانتظار.

وأخيرًا أقبل المدير مرتديًا قميص الطهاة الأبيض محمر العينين متجهم الوجه يحمل بعض أطباق المقبلات وووزعها على الحضور، وكذلك فعل النادل الشاب الذي شعر بعدم الراحة في بنطاله المزركش. وما إن مر بالقرب من "بول" حتى مال نحوه وسأله بصوت منخفض:

- ماذا يحدث؟

التفت الفتى وألقى نظرة خلفه ليرى ما إذا كان بإمكان المدير سماعه ثم أجابه:

- لقد هجرته زوجته هذا الصباح. وبالتالي فإن الوقت غير مناسب بالنسبة له لإعداد مأدبة زفاف.. خاصة أن هذا عمل شاق ويحتاج إلى مجهود استثنائي. هذا بالإضافة إلى أن أجواء الأفراح لا تتماشى مع حالة الإحباط الذي يعاني منه الآن.

تبادل "بول" و"آن" نظرة آسفة:

- يا له من مسكين..

- فعلًا، أضف إلى ذلك مشكلة أن الطعام صار باردًا لأنها هي التي كانت مسؤولة عن خدمة تجهيز الطعام.

سأله "بول" محافظًا على نبرة صوته المنخفضة:

- لكن، أليس لديكم عمالة إضافية لتساعدكم؟

- لا أعتقد ذلك ممكنًا في هذه المنطقة، لا سيما أننا في يوم السبت وفي اللحظات الأخيرة منه. ناهيك عن كونه في حالة يرثى لها، فلا يمكنه الاتصال بأحد الآن..

نظر النادل إلى الزبون في عينيه مباشرة وفي يده طبق واحد عليه توزيعه لينهي مهمته، وتابع:

- هناك شيء آخر.. لا أعرف كيف أخبرك به؟ الحقيقة أنني مُحرَج لأجل حفلتك وما حدث فيها.. فقد أخذتْ زوجة المدير معدات الصوت معها حين غادرت لتثير غضب زوجها أكثر.

هز النادل رأسه بأسف مضيفًا:

- وستكون هذه مشكلة أخرى بالنسبة للحفلة الراقصة.

بعد لحظة من الصمت الطويل، شعر "بول" وآن" ببوادر موجة من الضحك الأبله تجتاحهما. بدأ يومهما يصبح معقدًا حقًّا، وأخذت عبثية الموقف تطغى على التعاطف مع هذا المدير الذي هجرته زوجته.

بدأ صوت المدير الأجش الذي لم يسمعه أحد منذ بداية الحفل يرتفع وهو بجوار مساعده الذي فر من أمامه على الفور.

- لا تقلق، لقد اتفقنا، لقد اتفقنا، سوف أعد مأدبتك.

أجابه "بول" مستسلمًا:

- نعم، نعم.. لست قلقًا بكل تأكيد، ولكن هل تسمح لنا أن نساعدكم قليلًا في تقديم الخدمة؟

- إذا كنت تعتقد أن هذا ضروري..

- نعم، نعم.. أعتقد ذلك.

تناوب الحضور والأقارب العمل طوال الليلة دون كلل لضمان تقديم الحد الأدنى من الخدمة للمدعوين، كانت بصمات الأصابع على الأطباق أكثر من أن تحصى. لم تُضع الشوك والسكاكين بترتيبها المعروف في يسار

الطبق ويمينه. بالرغم من ذلك كله، مرَّ كل شيء على ما يرام، لم يكن ينقص المدعوين أي شيء.

قطع "دوني" مسافة خمسين ميلًا ذهابًا وإيابًا على الدراجة النارية ليحضر جهاز إستريو لتشغيل الأقراص المدمجة. جلس "بول" و"آن" في وسط الطاولة التي لم يتوقف جميع الجالسين حولها من النهوض للحصول على الأطباق، وهما كذلك كانا يحصلان بدورهما على الأطباق بأنفسهما في بعض الأحيان.

سأل "بول" عروسه:

- مر الأمر على ما يرام، أليس كذلك؟

- راااائع.

حدقت مباشرة في عينيه كما لو كانت تريد أن تطمئنه وأردفت:

- رائع حقًّا.

انتفخ صدر "بول" كالمنطاد فخرًا وغمرته السعادة بالرغم من وخزة الحزن التي شعر بها حين غادر والده الفندق لأنه كان يعلم أنه لن يراه مجدَّدًا.

في الخامسة صباحًا، ذهب "بول" إلى المدير، الذي كان ما يزال حزينًا، ليدفع الفاتورة المستحقة، إلا أنه أخبره أن "سيرج روفوس" دفع كل المصاريف.

لم يكن "بول" يعرف ما إذا كان فعل ذلك ليعتذر منه أم ليهينه مرة أخيرة. لم يجرؤ على قول أي شيء لـ"آن".

27

جلست "كابستان" أمام لوحة "ساحرة الأفاعي" بمتحف "أورسيه"، تحدث نفسها قائلة: "أي لعنة تلك التي حلت على الفرنسيين حتى يتذكروا في كل مرة يرون فيه عملًا عظيمًا وشاعريًّا لـ"هنري روسو"، أغنية فرقة "لا كومباني كريول" والتي تقول كلماتها: "تمامًا كما في، تمامًا كما في، تمامًا كما في لوحات هنري روسو..".

رغم ذلك، أحبت "كابستان" هذه الأغنية لكن بطريقة مختلفة.

اتصلت المفتشة بالسيد "دوني" لدى انتهائها من لقاء "بول" مباشرة لتجتمع به وبينما كانت تنتظره على المقعد سألت نفسها لماذا لم تكشف عن فساد والد زوجها؟ لمصلحة مَنْ؟ هل لإنقاذ "سيرج روفوس" وآخر ما تبقى من صورته؟ أم بسبب "بول" وألم الفقدان الذي من المحتمل أن يكون قد أصابه بسبب موت أبيه؟ أم نفسها ومكانتها كمفتشة؟ أم للحفاظ على الفرصة الأخيرة لرجوعها لزوجها؟

- آااه!

انتفضت "كابستان" حين وُضعت أيدي ذلك الرجل الوسيم على كتفيها، كانت منغمسة في التفكير لدرجة أنها لم تلحظ وصول "دوني"

الذي كان يضع منشفة ورقية حول رقبته وتعلو وجهه زينة بسيطة، حيث كان يستعد للمشهد التالي. زاد عمر الأربعين من سحر ابتسامته، لكنه أخفى نضارة خديه ليجعل منه شخصية عملية من الطراز الفريد. كان "دوني"، بجسمه المنحوت وشعره القصير وأنفه المحدب، يبدو وكأنه مستعد على الدوام للقفز على غطاء سيارة لتجنب انفجار ما.

إن ميزة الأصدقاء المشهورين هي أنه يمكننا متابعة أخبارهم من خلال إعلانات أعمالهم الفنية في حال افتقدناهم لفترة من الوقت. كان "دوني" هو الوحيد من بين زملائه الثلاثة الذي استطاع أن يحافظ على نجاحه. الحقيقة هي أن هذه المقارنة ستظل تلاحقهم طيلة حياتهم المهنية.

انحنى "دوني" نحو "كابستان" وتبادلا السلام عن طريق ملامسة بعضهما للآخر على الخد الأيسر ثم الخد الأيمن كعادتهما التي اكتسباها حين كانا يسخران من ممثل كوميدي مشهور كان يُقبِّل في الهواء حتى لا يفسد تسريحة شعره، أو شيئًا من هذا القبيل، فهما ليسا متأكدين من أصل هذه القصة لكن العادة استمرت.

- كيف حالك يا عزيزتي؟

- بخير يا عزيزي، وماذا عنك؟

فتح "دوني" ذراعيه ليشير إلى الفيلم الضخم الذي يتم إخراجه بالخلف، والذي يلعب فيه دور النجم كعادته. كان الفيلم عبارة عن قصة مثيرة يدور جزء من أحداثها في متحف "أورسيه" ويمتد إلى متحف "اللوفر"، ثم أجابها:

- طالما أنني على القمة ولا ينافسني أحد عليها فكل شيء على ما يرام إذًا. أبواي بصحة جيدة، وحبيباتي كثر، والعطلات على الأبواب، كل شيء

يسير على نحو جيد. وماذا عنكِ، هل انتهت سنوات عزلتك الأخيرة؟ هل عدت إلى شراب "الموخيتو"؟

قال ذلك وهو يبتسم، حيث كانوا يتناولون شراب "الموخيتو" أيام شبابهم، كان ذلك منذ وقت بعيد، غير أن "دوني" ما زال يتذكر ذلك جيدًا. تساءل بملامح أكثر جدية:

- هل رأيتِ "بول" مجددًا؟

- نعم، وهذا ما أتيت لأجله في الحقيقة.

في الخلفية، تعالت أصوات مديري التصوير ومهندسي الصوت وهم ينادون مساعديهم ومسؤولي الإضاءة، في حين تعالت أصوات أخرى بين مسؤولي الإنتاج والميزانية والتخطيط وعامل "الكلاكيت" الذي يطلب الهدوء والصمت من الجميع.

- مات أبوه "سيرج" مقتولًا.

- يا للهول.

حوَّل "دوني" وجهه نحو اللوحات عن يمينه، وبدا أن وابلًا من الأفكار أخذ يدور في عقله إلا أن "كابستان" لم تكن واثقة من أنها ستتمكن من الرد عليها كلها.

لم تكن المفاجأة جزءًا منها. أعاد النظر إلى "آن" قائلًا:

- مَنْ الذي أخبركِ؟ وكيف حال "بول"؟ كيف تلقى الخبر؟

أجابته "آن" بنبرة آسفة:

- حالة "بول" ليست سيئة إلى حد كبير، أما من ناحية التحقيقات فأتمنى ألا تستاء لكوني مراوغة، ولكن لدي سؤال لك.

قال لها "دوني" وهو يضع يديه على فخذيه ويقضب جبينه:

- تفضلي، أنا أسمعكِ.

- حين كنتم في باريس لتمثلوا في نادي الكوميديا ذاك، ألم يكلفكم ذلك أموالًا؟ كالسكن والرسوم الإدارية وما إلى ذلك.. هذا بالإضافة إلى أنكم كنتم تساهمون في الإنتاج.

أكد "دوني" بنظرة شاردة:

- .. نعم.

- مَنْ الذي تكفل بهذه المصاريف؟

كانت "كابستان" تأمل أن يخبرها بالحقيقة، لقد كانا متقاربين لكنهما لم يلتقيا منذ ما يزيد عن عامين والأمور المالية تُعتبر من الأسرار، خاصة عندما يتعلق الأمر بالنجوم الكبار.

استسلم في النهاية وأجابها:

- حسنًا، حسنًا. إنه "سيرج". لقد جعلني أقسم على ألا أخبر أحدًا، لكنه أعطاني مبلغًا ضخمًا من المال النقدي حينها.

- كم؟

- خمسمائة ألف فرانك..

زفرت "كابستان" قائلة:

- أووه، ألم يثر الأمر استغرابك أو اندهاشك؟

مسح "دوني" بطرف حذائه الغبار الموجود على باركيه أرضية المتحف، ثم أجابها:

- بلى، قليلًا. ولكن.. في النهاية كنت أعلم أي نوع من الرجال هو، فأخذتُ المال دون أن أحاول أن أفهم.

- ألم يخبرك من أين حصل على المال؟

أطلق "دوني" ضحكة خفيفة ثم أجابها:

- لا، بكل تأكيد. لقد أخبرني أن هذا المال مساعدة منه لابنه "بول" كي يبدأ مشواره المهني. أول ما تبادر إلى ذهني وقتها: "هل فعل ذلك حقًا من أجل مساعدة أبنه أم للتخلص منه؟".

- وبماذا أجابك؟

- أوه، لا. لم أقل ذلك بصوت مرتفع فقد كان "سيرج" مخيفًا جدًّا بالنسبة لي، لم يجرؤ أحد على الرد عليه سوى "بول" حين أراد أن يثبت أنه شجاع.

- إنه شجاع بالفعل.

- نعم، أنتِ على حق.

كانت المعلومات المتعلقة بالتمويل متوافقة مع الأفكار التي صاغتها المفتشة وعلى الرغم من ذلك لم تتمكن من التخلص من انطباعها بأن "دوني" كان يخفي شيئًا، وسيظل هذا الشعور عالقًا في زاوية من رأسها كملصق ملاحظات.

في تلك الأثناء، سمعا صوت المخرج يخترق جهاز الاتصال اللاسلكي متسائلًا: "أين ذهب النجم هو الآخر؟".

ودَّع "دوني" "كابستان" قائلًا:

- حسنًا، لن يصبروا عليَّ أكثر من ذلك، علي أن أعود.

التقط نسخة طبق الأصل من مسدس"Taurus Raging Bull" من على وحدة التحكم ولوح به قبل أن يضيف قائلًا:

- أرأيتِ، ليس الشرطيون فقط من يملكون مسدسات كبيرة..

كانت تلك دعابة غبية خاصة بعد علمه بخبر مقتل والد صديقه، إلا أنه لم يخرج عن حدود اللياقة على كل حال. سايرته المفتشة في دعابته قائلة:

- نعم، باستثناء أننا إذا أعطيناك مسدس "ماجنوم 44" حقيقي فسيجعلك الارتداد تقفز خارج الميدان يا صديقي..

- أوووه، حسنًا. لقد ربحتِ هذه الجولة.

اعتقدت "كابستان" أنها ربحت الدعابة فعلًا، لكنها ليست متأكدة من أنها فعلت الشيء نفسه فيما يتعلق بصحة المعلومات التي زودها بها "دوني".

كان "داكس" مترددًا بشأن الموعد الغرامي، إلا أن صديقه أصرَّ وشجعه قائلًا:

- يجب عليك أن تحاول قبل أن تضيع هذه الفرصة.

كان الملازم "داكس" يشعر بعدم ارتياح في هذه الحانة المخصصة لهذا النوع من المقابلات. كان قد وصل في الموعد المحدد حليقًا ومرتديًا قميصه الأبيض الأجمل تحت معطفه الجلدي. استقبلته شابة حسناء لم تكن من بين المشاركات في المواعدة الغرامية لكنها كانت تشرح له النظام المُتبع في المكان، فاستوعبه سريعًا ثم جلس أمام فتاة لمدة سبع دقائق، رنَّ الجرس بعدها فانتقل إلى الطاولة التي تليها للجلوس أمام فتاة أخرى.

أزاح بعصبية خصلة متمردة من شعره وأعادها إلى مكانها فوق رأسه، ثم جلس أمام "دوريان" كما كُتب على شارتها.

- مرحبًا، أنا أُدعى "دوريان" وأبلغ من العمر 32 عامًا وأعمل خبيرة في مجال التليفونات المحمولة. أحب الرياضة والخياطة وأفلام الفانتازيا المرعبة. وماذا عنك؟ ما هي اهتماماتك؟

فكر "داكس" قبل أن يجيبها بحماقة بأنه يحب عمله والمعلوماتية كما يحب التنزه، لا سيما في الغابة، وكذلك ألعاب الفيديو ومشاهدة الطيور والملاكمة بلا شك. هل هذا ما تقصده "دوريان" بـ"اهتمامات"؟ لم يكن متأكدًا من أنَّ..

رنَّ الجرس قبل أن يتمكن "داكس" من الإجابة وكان عليه أن يترك "دوريان".

28

انطلق مترو الأنفاق الذي كانت "كابستان" تستقله من متحف "أورسيه" على القضبان بوتيرته اليومية. كانت تجلس في مكان منعزل داخل العربة وتقرأ في كتاب جيب قديم يحمل عنوان "ساجا"، وهو رواية للكاتب "تونينو بناكويستا". لم تفكر في أي شيء وهي في القطار، فكانت إما تقرأ أو تترك العنان لنفسها لتغرق في لحظات الحياة التي تحيط بها من كل جهة ولتمنع نفسها من التحديق في وجوه الناس حتى تخمن ما هم عليه.

وفي محطة "باليه رويال (القصر الملكي)"، لاحظتْ رجلًا يلصق إعلانات، يرتدي سترة بنية واسعة من الصوف ويعمل في النفق المصنوع من السيراميك منذ الشعاع الأول من ضوء النهار، كان يلصق بضعة أمتارٍ مربَّعةٍ من الورق الرمادي ليكشف في النهاية عن اللون الأزرق الشديد للمحيط الهادئ، والرمال البيضاء، وأشجار النخيل، وامرأة سعيدة ترتدي البيكيني. انتهى الرجل من لصق ذلك الإعلان المُبهج دون أن يبدو عليه أي بهجة، ثم انتقل بعدها للإعلان التالي.

خرجت "كابستان" من محطة "شاتليه" حيث قابلتها لفحة من الهواء البارد الجاف، فاحمرت عيناها وأنفها على الفور. شقت طريقها عبر

حشود المشترين بشارع "ريفولي" لتنعم ببعض الهدوء النسبي بميدان "سان-أوبورتون".

لقد حصل "دوني" على المال قبل عشرين سنة مضت ولا شك أنه كان على علم بأنها أموال مشبوهة، لم تستطع "كابستان" أن تدع "بول" جاهلًا بمعلومة يعلمها أعز أصدقائه وتعلمها هي كذلك، لذا قررت أن تتصل به بمجرد أن تصل.

تتميز شوارع هذا الحي بأنها مرصوفة بحجر متشابك جميل وأغلبها مخصص للمارة. كانت باريس مكتظة عن آخرها حيث يتدافع ملايين البشر ويتزاحمون في شوارعها بما فيهم القتلة. وعلى ذكر القتلة: تُرى هل غادر "ماكس راميه" العاصمة بعد حادثة فندق "بلازا"؟ كانت المفتشة تراهن أنه لم يفعل، ولكن أين تبحث عنه الآن؟

كانت "روزيير" قد تواصلت مع إدارة الفندق، وعلمت منهم أن "راميه" قد سدد فاتورة إقامته التي بلغت 26000 يورو نقدًا قبل عدة أيام. علمت منهم أيضًا أنه لم ينتقل إلى الإقامة في الفندق إلا بعد شهر من خروجه، أي بعد ثلاثة أيام من مقتل "جاك مير"، وهذا يتناقض مع ما أبلغ به إدارة السجن. لا شك أنه فعل ذلك بعدما استولى على الأموال من ضحاياه. إذًا كان المال دافعًا رئيسًا في جرائم القتل التي قام بها، هذا بالطبع إلى جانب الانتقام.

وفقًا لما جاء في تحقيقات الشرطة فإن المبالغ المسروقة أثناء عملية السطو بلغت عشرين مليون فرنك كانت قد طُبعت لتوها بالإضافة إلى محتويات الخزائن، وهنا نتساءل: هل تبقى شيء من هذه المبالغ كي يستولي عليه "راميه"؟ هل تمكن "راميه" من الاستيلاء على نصيب "روفوس" أم أنه كان قد استثمره كله في ابنه؟

إذا كانت قائمة القتل قد انتهت فلا تزال هناك فرصة جيدة أمام "رامييه" لمغادرة المدينة أو حتى البلاد، لا سيما أنه تعرَّف بالتأكيد على فرقة البحث والتدخل ولن يتباطأ في الهرب.

كرَّست المفتشة كامل فريقها للبحث عن الجاني بينما كانت تركز هي على قضية "أورسيني" الشائكة حيث كان ينقصها بعض المعلومات، لذا كان عليها أن تتواصل مع "بورون" للحصول عليها.

وضعت "كابستان" نفسها مكان النقيب. إذا قتل سارق عائلتها بدم بارد كانت ستطارده حتى أقاصي مدينة "لابامبا" الأرجنتينية وفي الأحياء الفقيرة وحتى أعالي قمم الغابات، كانت ستقبض عليه وتعلقه من قدميه ككيس رمال ثم تنهال عليه ضربًا حتى الموت.

أما "أورسيني" فقد انتظر لسنوات، ولكن ماذا كان ينتظر؟ عن أي معلومة كان يبحث قبل أن يتصرف؟ ربما كان لا يعرف هوية المتواطئين في عملية السطو، لذا انتظر خروج "رامييه" من السجن ليتعقبه. أظهرتْ نتائج اختبار الحمض النووي أن مجرمًا واحدًا فقط هو مَنْ قام بجرائم القتل الثلاث، لكنها لم تكشف عن هوية القاتل. هل كان "أورسيني" هو من فعل ذلك بعدما طلب "رامييه" من الضحايا أن يعطوه نصيبه من غنيمة السطو؟ قارنت "كابستان" جدول أعمال النقيب "أورسيني" بتواريخ وقوع جرائم القتل ووجدت أنه لم يكن في محل عمله بمركز الشرطة في أي من هذه التواريخ. ومع ذلك، فإن دم الانتقام الذي كان يجري في عروق "آن" ربما لم يتدفق بالضرورة في عروق "أورسيني" الذي ربما كان يبحث عن المتهمين ليعتقلهم وربما كان "رامييه" هو من قتلهم قبل أن يصل إليهم "أورسيني".

أخرجت المفتشة ملف الخدمة الخاص بالنقيب ووجدت أنه التحق بالشرطة بعد وقوع عملية السطو. يبدو أن الحافز من وراء التحاقه بالشرطة هو الحصول على مزيد من المعلومات. هل كانت لديه في ذلك الوقت شكوك حول "سيرج روفوس"، لذلك أراد مراقبته؟

إذا كان هذا الغرض هو الذي حرَّك جميع قرارات "أورسيني" في الشرطة، فيتحتم التساؤل أيضًا عن أسباب تعيينه في فرقة "كابستان".

رفعت "كابستان" سماعة هاتفها وقلبت في دفتر جهات الاتصال بحثًا عن رقم "بورون".

– صباح الخير يا "كابستان"، هل اتصلت بي لتحدثيني في أمر فاتورة الاشتراك في لعبة "ورلد أوف ووركرافت" التي تلقتها الشرطة القضائية للتو؟

– لا، ولكن إذا كنت تريد أن تتحدث بهذا الشأن فأنا أود أن أنصت بالتأكيد سيدي المدير، ثم سأطرح عليك سؤالًا.

شعر "بورون" بقلق حقيقي وتخلى عن نبرة المدير وقال:

– أسمعكِ.

حركت "كابستان" السماعة بين سبابتها وإبهامها ببطء في تردد، فلم يكن هناك من طريقة لطرح هذا السؤال ثم قالت:

– كيف انضم "أورسيني" لفرقتنا؟ من الذي أرسله؟

– هو بنفسه، لماذا؟

– هو الذي طلب بنفسه أن يُنقَل إلى أسوأ فرقة في الشرطة كلها؟! كيف ذلك؟! هل كان يتعمد تهميش نفسه؟ وأنت من جهتك لم تخبرني بشيء من ذلك؟

– بكل صراحة، كان زملاؤه يكرهونه أينما ذهب. أعتقد أنه طلب النقل هروبًا من المضايقات. لكن لماذا تسألين؟ ماذا حدث مع "أورسيني"؟

- لا شيء جديد، لكنني قابلت صحفيًّا فضوليًّا جدًّا جعلني أتساءل.

كان بإمكان المفتشة أن تسمع نقرات أصابع المدير على مكتبه.

- عادة ما تكذبين عليَّ بشكل أفضل من ذلك يا "كابستان".

- نعم، ولكن في الوقت الحالي، ليس لدي وقت لإتقان مثل هذه الأمور سيدي المفوض، أنا آسفة. ومع ذلك، أنت تعلم أنه في يوم من الأيام ستأتيك الحقيقة كاملة، أليس كذلك؟

- آمل أن يحدث ذلك يا "كابستان".

وصلت "كابستان" أسفل المبنى الذي كان يضم قسم الشرطة الخاص بهم، والذي ادعى "أورسيني" أنه نُقِلَ إليه رغمًا عنه. بالنسبة له، لم تخرج "كابستان" عن دائرة الاشتباه كونها زوجة ابن "روفوس". الحقيقة هي أنَّ "أورسيني" كان قد انضم إلى هذه الفرقة كي يراقب "كابستان"، ويقيمها، ويحكم عليها، بل ربما حتى كان يشتبه بها.

بينما كانت "كابستان" تمسح نعل حذائها على الممسحة، كانت ما تزال تفكر فيما عليها فعله حيال هذا النقيب المزعج، كانت تخوض معركة تفهمها لكن بطريقة قد تؤثر سلبًا على الفرقة ككل.

ما إن فتحت الباب حتى أسرع نحوها جزء من الفريق، وضع كلٌ من "سان-لو" و"روزيير" و"لوبروتون" و"إيفرار" و"ميرلو" و"لوويتز" أيديهم على كتفها حيث شكلوا نصف دائرة حولها. ثم تبعهم "توريز".

- لقد حددنا موقعه!

- مَنْ؟ وأين؟

- "رامييه" في فندق "لوتيتيا".

- هل حجز جناحًا في فندق فاخر؟ هل حجز باسمه؟

أجابتها "روزيير" وهي تضغط على زر استدعاء المصعد كالمطرقة الصغيرة قائلة:

- لا، حجز بالاسم الذي يحمله في مخطوطة "فولووسكي"، أعتقد أن ذلك ربما يكون اسمًا مستعارًا يستخدمه بشكل منتظم، على الفور طلبتُ من "داكس" أن يبدأ التحريات، لم يصل أحد غيرنا إلى هذه المعلومة..

كانت تعليمات "بورون" خلال الاجتماع واضحة من حيث الشكل إلا أنها سمحت ببعض المرونة في التصرف من حيث المضمون، كان هذا على الأقل هو التفسير الذي اختارت "كابستان" العمل به في حالات الطوارئ. إذا لم تتمكن فرقة البحث والتدخل بقيادة "فروست" من الحصول على هذا العنوان مع كل ما لديهم من كاميرات مراقبة العاصمة ونظام تحديد المواقع العالمي (GPS) وكافة أدوات المعلومات المكانية التي تحت تصرفهم، فلا ينبغي على مجموعة من الهواة أن يقدموا لهم المعلومة على طبق من فضة.

يبدو جليًّا من هذا المنطق الانتقامي أن فرقة "كابستان" قررت ألا تستسلم.

- هيا بنا، يستحيل أن نتركه يفلت من أيدينا هذه المرة أيضًا.

فأجاب "داكس" بثقة:

- اعتبري أن الأمر قد تم بالفعل.

أضاف "توريز" هو الآخر:

- آااه، لا ينبغي أن نقول ذلك أبدًا.

29

- لم يعد بإمكاني مرافقتك الآن.
- بلى، يمكنك ذلك يا "جوزيه"، تعال.
- لا، لن تسير الأمور على ما يرام، هناك علامات تشير إلى ذلك.
- ليس هناك أي علامات، إنها مجرد عبارة حماسية لـ"داكس"، ليس هناك شيء غريب على الإطلاق. تعال معي، هذا أمر.

هز "توريز" رأسه مجعدًا جبهته أكثر من كلب يجرونه مجبرًا إلى المسبح ثم دخل إلى السيارة الـ"بيجو 306" وأغلق الباب بعنف كأنه يريد أن يقول: "أنتم من أردتم ذلك، وسوف ترون".

كانت شرفات فندق "لوتيتيا" العتيق مغطاة بشبكات حماية مضادة للسقوط تشبه تلك الضمادة الموضوعة على أنف إحدى النجمات بعد آخر عملية تجميل.

حين توقفوا أمام مدخل الفندق لاحظت "كابستان" و"توريز" "لوبروتون" و"سان-لو" وهما يتسلقان الدَّرَج أربعًا بعد أربعٍ بينما مكثت "إيفرار" في الاستقبال. خرج "روزيير" و"بيلو" و"داكس" و"لوويتز" من السيارة الـ"بورش" التي خاف الشرطي عليها من أصفاد رجال المرور، لذلك راح يبحث

عن مكان مخصص لركن السيارات أسفل السقالات التي كانت معلقة على طول الجانب الغربي من الفندق. تقدم الأربعة في مؤخرتهم "لوويتز" الذي كان ما يزال ممسكًا بقطعة من القماش بعد أن مسح آثار بصماتهم.

جذبت حركة مفاجئة من الأعلى انتباه "كابستان" ثم تبعها الجميع ليلاحظوا رجلًا يقفز من فوق النافذة لينزل على طول السقالات، إنه "ماكس رامييه".

وبسبب استعجاله، انزلق هذا الهارب على السقالة المبللة المصنوعة من الألومنيوم، ثم ارتطم بالواجهة ليمسك في اللحظة الأخيرة بكتلة حجرية بيضاء لكنه سقط في النهاية بسبب عدم اتزانه. كانت يداه تبحثان -أثناء سقوطه- عن شيء يتمسك به حتى وجد درابزين ساعده على استعادة توازنه.

وما إن رآه "لوويتز" حتى هرع على طول شارع "راسبيل" بأقصى ما لديه من سرعة، كي يمسك به قبل أن تمس قدماه الرصيف. ركض بضعة أمتار وقفز قفزة طويلة مد فيها جسمه الطويل لأقصى نقطة ممكنة حتى سقط على غطاء السيارة الـ"بورش" ومكث لوهلة قبل أن تسقط كتلة الحجر على ساقه. اخترق الصوت الناجم عن كسر ساقه آذان أفراد الفرقة الذين التفتوا في الحال نحو "توريز" الذي أخفض رأسه خجلًا وتراجع خطوة للوراء.

ربتت "كابستان" على كتفه بسرعة ثم ركضت هي وزملاؤها نحو "لوويتز" في محاولة لإنقاذه. كان هذا الأخير يصرخ من شدة الألم الذي أصاب ساقه بعد كسرها، مرَّ الضباط واحدًا تلو الآخر لتقييم الأضرار والاتصال بالإسعاف.

كانت لحظة الاضطراب تلك كافية بالنسبة لـ"ماكس رامييه" كي يتسلل عبر المنافذ المختلفة والركض في الشارع فبدأت "كابستان" بمطاردته، وانضم إليها على الفور "لوبروتون" و"سان-لو" اللذان ركضا أيضًا أسفل السقالات.

ركض "رامييه" بأقصى سرعة ودون تعقيد على الرصيف الواسع في خط مستقيم دون أن يحاول الهروب في أحد الشوارع الجانبية. بدا -من سرعته ولياقته- أنه قادر على الوصول إلى "ليون" ركضًا على الطريق نفسه وعلى الوتيرة نفسها. لم تسمح خطوات "لوبروتون" الواسعة ولا قوة "سان-لو" المتحمسة باللحاق به. بذلت "كابستان" -هي الأخرى - قصارى جهدها لتلحق به حتى وصل "رامييه" إلى تقاطع شارع "رين"، الذي كان كشريان نشط امتلأ بالسيارات والمارة من كل جهة، فقطعه بأقصى سرعة كأنه الوحيد في الشارع. اختلطت أصوات احتكاك الإطارات وأبواق السيارات مع شتائم المارة المذعورين، بينما رفع الضباط أذرعهم بإيماءة اعتذار وهم يطاردون "رامييه" الذي كان قد تقدم عليهم بنحو عشرين مترًا دون أن يغير قيد أنملة في طريقته الانتحارية. انطلق بالسرعة نفسها في شارع "فوجيرار" المزدحم هو الآخر، ثم انعطف فجأة إلى اليسار نحو شارع "فلوروس".

في غضون ست ثوان طويلة لم يعد في مرمى بصرهم. بدأت "كابستان" تفكر في عدة احتمالات من خلال خريطة الحيِّ التي ارتسمت أمام عينيها: ست ثوان كافية للانعطاف يسارًا نحو شارع "جان بارت" أو المتابعة في شارع "مدام" والاختفاء في أي فناء عشوائي. حجبت شاحنة نقل أثاث عنهم الرؤية بسبب ارتفاعها على الرغم من وقوفها بشكل صحيح، كان على الضباط أن يركضوا وراءه بشكل مستقيم لكنَّهم توقفوا بعدما رأوا ظل "رامييه" وهو يعبر شارع "جوينيمر" ويجتاز السياج الحديدي لحديقة "لوكسيمبرج" ذا الرؤوس الذهبية. تحفز "لوبروتون" و"سان-لو" للقبض عليه بعد عبور هذه الأمتار الطويلة، فانطلقا في الحديقة بأقصى سرعة، وعلى بعد خطوات قليلة تساءلت "كابستان" فجأة عما إذا كان الرجل مسلحًا. فسال عرق بارد على رقبتها فقد

كان "رامييه" خطيرًا وعديم الضمير، وللأسف يمكن أن يطلق النار على أحد الأطفال الذين كانوا يملؤون الحديقة.

أمعنت "كابستان" النظر في ملابس المتهم وحركاته، وبينما هي كذلك فكرت في التخلي عن المطاردة لكن "لوبروتون" و"سان-لو" كانا قد تبعا الرجل بالفعل ووجدا في ذلك فرصة للقبض عليه. انزوى "رامييه" في ممر ضيق، مغلق من جهة اليمين بالسياج المحيطة بمنطقة الأراجيح إلا أن مجموعة من الخيول الصغيرة اعترض طريق الضباط قبل أن يتمكنوا من اللحاق به.

كانت الخيول تسير ببطء شديد رغم أنها لم تكن ممتطاة، لكن يبدو أن هذه عادتها. لم يترك صف الخيول اللا متناهي للضباط أي فرصة لتخطيه، في حين كاد "رامييه" على الجانب الآخر أن يصبح مجرد نقطة في قلب الحديقة.

أطلق كلٌ من "لوبروتون" و"كابستان" فجأة زفرة يائسة من رئتيهما المحترقتين، وكانا على استعداد للاستسلام والتنازل عن الأمر برمته إلا أن "سان-لو" كان دائم اليقظة واندفع نحو قائد مجموعة الخيل فأطاح به دون مقدمات ثم استغل لياقته البدنية كفارس قديم، وقفز على سرج المهر الأول وامتطاه وهو يزأر فانتفض المهر متفاجئًا وانطلق إلى الأمام مسرعًا كأنه غضب عارم ولم يكن للخيول الأخرى المربوطة به أي خيار سوى اتباعه.

استطاع "سان-لو" أن يهدئ من ذعر المهر الصغير عن طريق المسح على رقبته. كان هذا المهر فرحًا بالحرية، لذلك كان يبتلع المسافة التي كانت تفصلهم عن "رامييه" ابتلاعًا. شجعه "سان-لو" بصوته الجهوري، في حين تبعته الخيول الأخرى كحبات المسبحة أو كصف من النقانق الموضوع على النار. أثارت حوافر الخيول عاصفة ترابية وأحدثت ضجيجًا كأنه نهاية العالم فابتعد السياح عن الطريق وهم يصرخون خوفًا بينما قفز المارة إلى

السياج أو على المقاعد، وطوى المراهقون خيامهم وألقوا بسجائرهم بسرعة شديدة ثم أخرجوا هواتفهم الذكية لتصوير هذا المشهد.

شعور الخيول بالحرية جعلها تركض في جميع الاتجاهات مما أبطأ من سرعة المهر الشجاع في المقدمة فأدار "سان-لو"، المثير للإعجاب في هذا السباق، رأسه بسرعة لينظر إلى الحبل الذي يربطهم ببعضهم ثم رفع ساق بنطاله بحركة تلقائية من يده اليمنى، وأخرج الخنجر الذي كان يحمله فوق كاحله وقطع الحبل بضربة واحدة ليفصل مهرته عن بقية المجموعة.

حين تحرر المهر من المجموعة شعر كأن لديه أجنحة وكما لو أن تيارًا كهربيًّا سرى في أوصاله، فأسرع فجأة كأنه تنين مجنح، وتراقص شعر غرته بينما تدق قوائمه القصيرة الأزقة الرملية سعيًا وراء "رامييه". وفي هذه الأثناء، انطلقت الخيول الأخرى في الحديقة بحثًا عن وجبات خفيفة أو ترفيه، باستثناء ذلك المهر الرمادي الذي عاد بحكمة إلى مكانه، ربما كان كبيرًا جدًا على هذا الهراء.

استدار "ماكس رامييه" خلسة وبدت الدهشة جلية على ملامحه المتعبة حتى من بعيد، لكنه كان ذكيًّا، فتجاوز مجلس الشيوخ وصعد الدرج واندفع إلى شارع "ميديسيس" وسط حركة المرور وانتهى كل شيء.

سحب "سان-لو" اللجام بلطف ومسح على جانب مهره لدعوته للإبطاء فوافق على مضض. قفز "سان-لو" على الأرض بعد أن مسح مرة أخرى على شعر غرة المهر، ثم اتجه وهو ما يزال ممسكًا بلجامه نحو قطعة من الورق المقوى كانت تطير وسقطت على الدرج.

لقد سقطت من جيب "رامييه" عندما كان يصعد أول درجة من السلم.

توجهت "كابستان" إلى "لوبروتون" في ذهول قائلة:

- لا بد أنه كان أحد أفضل الفرسان في المجموعة.

30

رغم كل ما فعله "سان-لو"، لكن نجح "رامييه" في الإفلات منهم مرة ثانية. رجعت "كابستان" وفرقتها إلى مقرهم يجرون أذيال الخيبة والهزيمة، راجين ألا يعلم أحد بفشلهم الذريع وأنانيتهم المقيتة، خاصة فرقة البحث والتدخل. فقد فضَّلوا أن يعملوا بمفردهم، وكانت النتيجة فشلًا غير مسبوق وانعدام كفاءة. لا شك أنه إذا علمت الإدارة العامة للشرطة الجنائية بالأمر، فستظل تعيِّرهم بفشلهم هذا طيلة عمرهم حتى بعد أن يبلغوا سن التقاعد.

تتبقى قطعة الورق المقوى التي عثر عليها "سان-لو" دون مجهود منه. ليس بها سوى ستة أرقام مكتوبة بقلم جاف أزرق. ستة أرقام دون أسماء، دون عنوان، دون أي إشارة، لكنها تظل الغنيمة الوحيدة التي حصلوا عليه بعد مطاردة دامت لساعات. وقد أخذ "أورسيني" هذه الورقة قبل أن يحبس نفسه في مكتبه، وقد أعطاه إياها زملاؤه دون تردد. توجه كلٌ من "سان-لو"، و"ميرلو"، و"لوبروتون"، و"روزيير" في صمت تام نحو مقاعد البار في غرفة البلياردو ليشربوا معًا نخب الهزيمة، بينما ذهب "إيفرار" و"داكس" إلى المستشفى للوقوف بجوار "لوويتز" الذي كان محاطًا تمامًا بعائلته. أما "توريز" فقد عاد إلى منزله منذ وقت طويل.

جلست "كابستان" وحدها في الشرفة كي تتصل بـ"بول" وتخبره بحقيقة والده ودوره في عملية السطو التي وقعت في "ليون". أبلغته أيضًا كيف أنفق والده المال الذي حصل عليه من عملية السطو هذه، ودور هذا المال في إنتاج أعماله الفنية في ذلك الوقت. في نهاية المكالمة، بدا "بول" مستسلمًا أكثر منه مندهشًا. غير أن هذا التصرف الرحيم من قِبلِ أب لا يحب ابنه كثيرًا ولا يحب مهنته الوضيعة التي هي التمثيل، جعل "بول" في حالة من الحيرة والاستغراب. كان على "كابستان" أن تخبره على مرات وليس دفعة واحدة حتى يستطيع "بول" استيعاب الأمر وفهمه.

في الوقت الذي نزعت فيه "كابستان" إحدى سماعات الأذن ووضعت سبابتها على الزر الأحمر لإنهاء المكالمة، أدركت أنَّ رد "بول" على جملتها "أراكَ قريبًا" بقوله "أراكِ قريبا؟"، بصيغة الاستفهام كان فيها أمل بلقاء قريب قد يجمعهما. ودَّتْ "كابستان" لو أنها انتظرت قليلًا حتى لو لم تنبس بكلمة، لكنها كانت قد أنهت المكالمة بالفعل وانطفأت شاشة التليفون.

تنهدت تنهيدة كلها تعب وإرهاق. ثم انتقلت إلى المهمة التالية، حيث نقرت على اسم "بورون".

- سيدي المفوض..

- أهلًا يا "كابستان"، كنتُ انتظر اتصالك. كل ما حدث في حدائق "لوكسمبورج" من هرج ومرج والخيول التي انطلقت في كل مكان كان بسبب فرقتك، أليس كذلك؟ وطبعًا نجح "راميه" في الإفلات منكم مرة ثانية؟

لم يكن هناك أي سخرية أو قسوة ظاهرة في نبرة مدير الإدارة العامة للشرطة الجنائية.

- نعم. أنا آسفة، أنا..

- أعلم أن هذا الرجل كالأفعى، لكنكم فشلتم مرتين يا "كابستان". أتمنى أن تقبضوا عليه في المرة الثالثة. كلي ثقة بكم. عيد سعيد!

وعلى الرغم من أن "بورون" لم يترك شيئًا لم يتحدث فيه إلا أنه من النوع الذي لا يستغل ضعف الناس وقت هزيمتهم.

- شكرًا سيدي المدير. شكرًا لك على كل شيء. عيد سعيد!

مرت "آن" عبر الصالون الكبير الذي لم يكن فيه أحد من أفراد الفرقة، غير أن شجرة عيد الميلاد كانت تتلألأ في أحد أركانه، فهي أول شيء تضيؤه "روزيير" بمجرد دخولها مقر الفرقة وآخر شيء تطفؤه عند خروجها من المقر. لحقت "كابستان" في النهاية بزملائها الأربعة المتواجدين في صالة البلياردو كي تشاركهم نخب الهزيمة.

أخبرتهم المفتشة أن الإجازة تبدأ من الغد الرابع والعشرين من ديسمبر. وأنها فرصة عظيمة للراحة وتجديد النشاط كي يستطيعوا استكمال أعمالهم بروح وعزيمة.

31

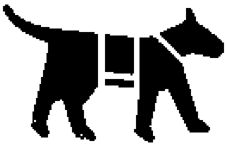

24 ديسمبر 2012

الساعة العاشرة صباحًا. النقيب "أورسيني".

يكره "أروسيني" منذ ما يقرب من عشرين عامًا وحتى هذه اللحظة فترةَ الأعياد، وخاصة ليلة عيد الميلاد. كما كان يكره بداية العام الدراسي وعيد الأم وعيد الأب وأعياد الميلاد والشاطئ والتزلج والساحات والسوق وديزني والبالونات، ويكره حياته الماسخة والأحقاد الكامنة بداخله. أصبح "أورسيني" جسدًا بلا روح، يَتَشَبَّثُ بمهمة لم يعد حتى يهمه الهدف منها. كان عليه إما أن يقبل بهذا أو لا شيء.

في الرابع والعشرين من ديسمبر، ظهر دليل جديد قد يساعده – من بين مئات الأدلة – في تحقيق مهمته. وقد صرفه هذا الدليل عن جو السعادة الذي غمر المدينة بمناسبة الأعياد. هذا الدليل قابع هناك على مكتبه؛ عبارة عن 5 سم من الورق المقوى كان قد عثر عليها "سان-لو" أثناء مطاردته لـ"رامييه". وعليه الكود: **947091**.

يحتاج هذا اللغز إلى يوم وليله لحله.

الساعة الحادية عشرة صباحًا. الرقيب "لوويتز".

كانت ساقه تؤلمه، وجبيرته تُشْعِره بالحكة. كان قلقًا على السيارة "البورش" التي أنقذها من التدمير، وهذا لا بأس به. لكن المشكلة أنه لن يستطيع القيادة لفترة. كان كل ما يخشاه أن تعيد "روزيير" السيارة إلى المؤجِّر. جلس على الأريكة وقدمه ممدودة على الطاولة ينتظر خطيبته وعائلتها الذين أصروا بشتى الطرق على نقل الاحتفال بليلة الميلاد إلى غرفة معيشته بعدما لم يعد قادرًا على الحركة.

ولما وصلوا، قالوا له:

- لا تقلق! لقد أعددنا كل شيء وأحضرنا الشراب الفاتح للشهية والعشاء والأطباق والكراسي القابلة للطي وكل شيء.

كان "لوويتز" يتمنى لو كان في كامل حُلَّته في أول لقاء بوالدي خطيبته فيظهر على سبيل المثال وهو يقود "البورش". لحسن الحظ أن شقته المكونة من غرفتين كانت مرتبة ونظيفة. فقد اتصل بحارسة العقار متوسلًا إليها لتدله على مَنْ ينظفها يوم 24 ديسمبر مهما كلفه ذلك. ثم أمسك بأفضل بذلة عنده -ذات لون أزرق غامق مُتموِّج- وبمقص المطبخ الطويل قصَّ الجانب الأيسر بالطول ليتناسب مع جبيرته. كان شعره مصفَّفًا وذقنه حليقة، وقد بدا وسيمًا كأنه شاحنة ينقصها أحد إطاراتها.

الساعة الثانية عشرة ظهرًا. الملازم "ديامان".

بدت الصحيفة اليومية في يديه الضخمتين كأنها كتاب جيب. كان يقرأ في الصفحة رقم 30 فقرةً تقول بأن أحد أفراد الأمن في شمال البلاد كان قد قتل نفسه في محل خدمته. ها هو زميل آخر ينتحر، وقريبًا لن نعود قادرين على إحصائهم.

قال الملازم "زهوي" وهو يطل برأسه داخل المكتب:

- لقد رأيتُ الجدول، أنت أيضًا يا "باسيل" ضمن مناوبة الدعم غدًا والحادي والثلاثين من ديسمبر والأول من يناير. آسف! ليس من المفترض أن أخبرك بهذا لكني سأفعل، ستكون المسؤول عن الدعم بدءًا من يوم الإثنين القادم.

- أتظن أن هذا سيدوم طويلًا؟

هزَّ "زهوي" رأسه بحزن وأجابه:

- بالطبع نعم، ألم تتوقع أن يبدي استياءه؟ لقد انتقدته أمام الغرباء في الخدمة. القائد ليس سهلًا على الإطلاق، ناهيك عن أنه لا يحبك أصلًا، بل يحمل لك ضغينة في قلبه.

في التاسع من نوفمبر، نظمت الإدارة العامة معرِضًا كبيرًا في ساحة "دو مارس" للاحتفال بالذكرى المئوية للشرطة الجنائية، دعا "باسيل ديامان" والدته بفخر مستحَق لحضوره. وكان مستمتعًا قبل بدء العرض بتعبير أمه عن فخرها إذ أنَّ أحد المشاهد المعروضة على شاشة المعرض العملاقة مخصصٌ لوحدته "وحدة التسلق للحماية المدنية"، وقبل أن يشاهدوه، مروا على القسم المخصص للإدارات الجنائية المختلفة وهي: القيادة العامة، قسم الأحداث، المخدرات، الأموال وغير ذلك من الإدارات التي كُرِّمت كلها بما فيها

بالطبع فرقة البحث والتدخل الشهيرة. عُرِضت وثيقة تلخص مهامهم الرئيسة وصورًا للمكاتب المختلفة تبرز بيئة المكان، ومن بين هذه اللقطات تصدرت المشهد صورة لمنافض السجائر تعبيرًا عن رفض قانون "إيفان" وقتها وبجوارها بورتريه موقَّع ومؤطَّر للزعيم الأسبق للجبهة الوطنية.

تراجعت والدة "باسيل" للخلف كأنما لدغها دبور ثم نظرت إلى ابنها نظرة مليئة بالعطف وداعبت خده بلطف، فغمرته مشاعر الخجل وانتشرت هذه اللقطات في كل المشاهد وكل الشاشات العملاقة التي لا يريد هو أن يراها أحدٌ أبدًا، فهو لم يأتِ ليستعطفهم ولا ليُظهر الإهانات التي كان يتعرض لها.

أثناء الافتتاح في اليوم التالي، سأل المحافظُ وبعضُ ضباط الشرطة الكبار و"بورون" الملازمَ "ديامان" عن رأيه فعبر بصدق وثبات وبإيقاع متقطع عن أسفه لرؤية علامات الانتماء السياسي المصورة التي تعبر عن فرد لا عن الفرقة، والتي لم يكن لها سبب لتكون في مثل هذه الذكرى السنوية.

كان "ديامان" يدرك أن مَنْ فعل ذلك هو مكتب "فروست".

ما يزال يدفع ثمن الخصومة التي مرَّ عليها شهران أو أكثر.

الساعة الواحدة ظهرًا. الملازم "إيفرار".

في سوق شارع "ريشار لونوار" كان ورق الزبدة الأبيض يُزيِّن أوراكَ الدجاج وسمكَ السلمون المدخن المعروض على الورق المقوى الذهبي. كان للمخبوزات والحلويات الفرنسية (خاصة الزلابية والبيتي فور المُملَّح والبيش بالشوكولاتة) نصيبُ الأسد من الإقبال وسرعان ما نفدوا، ويأتي بعدهم في قائمة الأعلى مبيعًا الجزر المبشور والتبولة. سحبت "إيفرار" العربة الثقيلة

ذات القماش الكاروهات المحملة بالخضروات وتبعت والديها في شارع "شومان فير". بالقرب من الزاوية، كان هناك بائعٌ يقلب الكستناء المحمَّص على النار فتنبعث منه رائحة حلوة تدفئ المكان من حوله. وبينما كان والداها يسيران أمام مكتب عقارات، تباطآ تدريجيًّا، فألقت "إيفرار" نظرة عليه وهي تَمرُّ من أمامه محاولة دراسة عروض الإيجار التي من بينها يوجد عرض لإستوديو قريب وبسعر معقول، فلم يسعها إلا أن تتوقف وتفكر في الأمر، توقف والداها كذلك في منتصف الرصيف وقالا لها:

- أتريدينا أن نذهب معكِ لتفقد الأمر؟

كانت "إيفرار" قد توقفت عن المقامرة منذ أكثر من ستة أشهر، وقد تكفل أعضاء فريقها وأصدقائها بنفقاتها، بالطبع ما زالت بعض الديون متبقية لكنها تُخصم من راتبها بانتظام.

كانت "إيفرار" ترغب في تصديق أن الحظ قد ابتسم إليها مجددًا، فالتفتت إلى والدها وهزت رأسها ثم قالت:

- نعم، أريد.

الساعة الثانية ظهرًا. الملازم "توريز".

عبَر "جوزيه توريز" أسفل حبال الحلبة ليصعد فوقها وفي يديه المكواة، وعن يمينه طاولة الكيِّ المخصصة له، وتوجد سلة غسيل بها ملابس مُجعدَّة، وأمامه خصمه العجوز القوي الذي نظر إليه نظرة تحدٍ صريح. وكان الحكم المنظِّم ذو الأسنان اللامعة واقفًا بين الطاولتين يُقلب

بطاقات التدوين. كان يرتدي قبعة بابا نويل الحمراء ذات الكرة البيضاء والنجوم المرصعة احتفالًا بهذا اليوم.

وعندما اتخذ الخصمان مكانهما، دوَّت الموسيقى التصويرية لفيلم "روكي" في القاعة كلها وأمسك الحكم بالميكروفون ليعلن بحماس: سيداتي وسادتي! يشرفني أن أقدم لكم نهائي بطولة فرنسا لمكواة "فيليبس" الذهبية لعام 2012؛ أولًا عن يميني "جوزيه توريز" من باريس، يستطيع كي 5 قمصانٍ في 10 دقائق! فلترحبوا به بحرارة! وعن يساري "فرانسوا سارتون" من "ميلوز" ويستطيع كي 9 قمصانٍ في 10 دقائق! نعم كما سمعتم في 10 دقائق! فلترحبوا به بحرارة هو الآخر! سيحظى الفائز في هذه المباراة النهائية بالشرف العظيم لتمثيل فرنسا في النهائي الكبير الذي سيقام أيضًا هذا العام بـ"هاواي". أرجو أن ترحبوا بهما ترحيبًا شديدًا!

سمع "توريز" وسط الصيحات والتصفيق بوضوحٍ صوت أطفاله يقولون: "أجل! هيا يا بابا، نلْ منه".

الساعة الثالثة عصرًا. الرائد "لوبروتون".

كان "لوبروتون" يحدق في صندوق السيارة الـ"لكزس" الممتلئ عن آخره حيث كان سيغادر هو و"روزيير" إلى بلدة "سو" الواقعة جنوب باريس في زيارة إلى أخته. فقال لها هو يشير إلى صندوق السيارة:

- هذا كثير يا "إيفا".
- أجل كثير لكن..

- أعرف ما تريدين قوله، لكن هذا سيشعرهم بالحرج، لأننا في العائلة نقدم هدايا بسيطة ورمزية، وكما تعلمين فإن الأمر سينتهي كحد أقصى بحلول الساعة الحادية عشرة ليلًا.

تراجعت "روزيير" عن فكرتها وقالت له:

- حسنًا قُم بفرز الهدايا أيها الحاجب العظيم!

أخرج "لوي بابتيست" علب الهدايا المتكدسة في حقيبة السيارة، وأخذ يقرأ ملصقاتها واحتفظ بهدية واحدة لكل شخص، ثم وضع الفائض على عتبة منزل "روزيير". أخذ الكلب "بيلو" يتابع بأنفه مسار كل عبوة كما لو كان يتأكد من أن الرائد لم يُخرج طعامه.

كانت عائلة "لوبروتون" معتدلة نوعًا ما في شرب الخمر إلى حد يصل إلى الزهد. بينما كانت "روزيير" -بحكم مزاجها- غير متجانسة معهم بما فيه الكفاية، لكنها حاولت إخفاء ذلك وأظهرت بدلًا منه سعادتها وامتنانها.

لم يكترث "لوبروتون" كثيرًا بردة فعلها تجاه أهله. لكنه كان سعيدًا بوجود "إيفا" إلى جواره هذه الليلة، "إيفا" التي كانت تُمثل نبرتُها العنيفة في كل لحظة تشتيتًا لجميع الآلام، والتي لم يكن يريد أن تشعر بعدم ارتياح أو أن تصدر في حقها ملاحظةً قد تؤذيها، فهي صديقته ويهمه راحتها وسعادتها في هذه الليلة.

كانت تشاهده وهو يوزع الهدايا والشامبانيا والكافيار والسلمون بنظرة ساخرة من عيونها الخضراء، وعندما أتمَّ التوزيع وأغلق باب حقيبة السيارة، أدارت مفتاح السيارة وهي تجلس على الكرسي وقالت:

- لقد أحضرت الهدايا الصغيرة لكنها الأغلى.

الساعة الثالثة عصرًا وخمس دقائق. النقيب "روزيير".

كانت "روزيير" تنظر إلى "لوي بابتيست" الذي ظل يروح ويجيء كأنه يتأمل تحفة فنية بإعجاب، واحترام، وإحساس، وتعلق. إنه صديقها ورفيقها، أفضل صديقٍ وأرق من عرفته طوال حياتها، الوسيم قوي البنية مفتول العضلات، المنقِذ لها في اللحظات الصعبة؛ كليلة عيد الميلاد على سبيل المثال.

شعرت "روزيير" بالأسف على صناديق الهدايا المتراكمة أمام بابها على هذه الحالة من غير إهدائها إلى أحد، فأخذت قلم سبورة من جيب حقيبتها الداخلي وأمسكت بأول عبوة أمامها ثم همست لـ"لوبروتون" وهي تضع غطاء القلم في فمها:

– سنقوم بزيارة سريعة قبل أن نذهب إلى هناك.

الساعة الرابعة عصرًا. الملازم "داكس".

كان "داكس" يسرع ويزوغ بين المارة حاملًا بين ذراعيه علب الهدايا، لم يرد أن يتأخر. كان هذا هو عام "الأصهار"؛ حيث كان إخوته وأخواته مع زوجاتهم وأزواجهن وأولادهم في بيوت أخرى. سيكون "داكس" هو الابن الوحيد الذي سيحتفل في بيت أمه هذا العام.

لم يرد أن يجعلها تنتظره، فمن المؤكد أنها كانت فعلًا جاهزة وقد طبخت الطعام ليأكل الجميع، حتى الغائبين. أما "داكس" فقد كان يرتدي سترة أنيقة وسروالًا ناعمًا ذا حجر واسع. كان "داكس" خير عوض لأمه عن الآخرين في هذه الليلة.

الساعة الخامسة مساءً. النقيب "سان-لو"

كان "سان-لو" يملأ كأسًا صغيرًا بنبيذ البرقوق الذي كان يحتفظ به عادةً لوقت متأخر عن هذا. كان يتأمل بمرارة مدفأته المسدودة وهو جالس على الأريكة. هكذا صار حاله؛ مدفأة مسدودة وسقف كئيب منخفض وقناديل مطفأة. لم يعد المكان مناسبًا لحياة آدمية. لكنه ليس بإمكانه المغادرة إلى مكان آخر.

في ليلة عيد الميلاد هذه، يشتري الناس شجرة الكريسماس الموضوعة في الأصيص، ويحتفلون بقداس منتصف الليل ابتداءً من الساعة السادسة مساءً، وتُوزع آلاف الهدايا القيمة لكن دون إشعال أي نار. كان كل ما يريده "سان-لو" في تلك الليلة أن يوقد نارًا في المدفأة ويجلس أمامه كي يستمتع بالدفء وهو يتأمل خمود النار وسكون لهيبها. كان في مقر الفرقة مدفأة غير مسدودة. شرب "سان-لو" كأسه الصغير دفعة واحدة ووضعه بحركة حاسمة على منضدة القهوة المجاورة للأريكة الجالس عليها. ثم قام من مكانه وارتدى معطفه الطويل وانتعل حذاءه ووضع قبعته على رأسه ثم خرج.

الساعة السادسة مساءً. النقيب "ميرلو".

حان وقت الشراب، لكنَّ "ميرلو" كان حزينًا لأنه يشعر بالوحدة، فالفأر لم يكن رفيقًا حقيقيًّا. داعب "ميرلو" بسبابته شعر الفأر الخشن بين أذنيه. كان مترددًا ثم تحرر أخيرًا من الكرسي الذي كان يشاهد من عليه التليفزيون المغلق، فراح يفتش في أدراجه بحثًا عن بعض الحلي الرخيصة ثم لفها في ورق الهدايا القديم الذي أعاد استخدامه.

وبعد ذلك وضعها في جيوب سترته ومعطفه، ثم خرج والفأر يتبعه إلى الشارع ليشتري زجاجة من النبيذ الفوار من محل البقالة أسفل البيت.

انتظر عند محطة الأتوبيس المؤدية إلى مقر الفرقة، عله يجد هناك مَن يحتفل معه.

الساعة السابعة مساءً. المفوض العام "بورون" مدير الشرطة الجنائية.

تفقد المفوض رابطة عنقه للمرة الأخيرة أمام مرآة البهو الواسع منتظرًا زوجته التي كانت ترتدي معطفها الفرو. لن يحضر أولاده إلا في اليوم التالي الموافق 25 من ديسمبر، أما في هذه الليلة، فسيتعشيان -هو وزوجته- في بيت أصدقاء لهما حيث تقام مأدبة طعام لستة أشخاص تحت الزخارف البديعة والثُّريات الجميلة. لم يحب "بورون" هذا النوع من الأمسيات التي يشعر فيها بالملل الشديد.

الساعة الحادية عشرة ليلًا. المفوضة "آن كابستان"

أبدت "آن" -التي كانت جالسة إلى المائدة بين اثنين من أولاد أخواتها- إعجابها برابطة عنق زوج أختها الجالس أمامها، والتي لم تكن متناسقة على الإطلاق مع ملابسه، لكنه كان يرتديها كل عام في اليوم نفسه ليظهر بها في الصور كالعادة. ردَّ عليها قائلًا:

- إن كنتِ لا ترغبين في النبيذ فما كان عليكِ إلا أن تخبريني. الأمر في غاية البساطة.

الحقيقة هي أن "آن" كانت تسمعه بصعوبة، لأن صوت ضحكات أخواتها كان في غاية الارتفاع، إلا أن هذا لم يُثنِ والدتها عن أن تصيح بها طلبًا للمساعدة، لأن البطاطس المهروسة بنبات الكَمْء أصبحت باردة ولم يساعدها أحد في تجهيز الأطباق والصلصة، خاصة زوجها الذي كان يشرح لأصغر أحفاده كيفية التمييز بين اللوحة الانطباعية واللوحة التنقيطية، بالطبع لم يستمع هذا الحفيد إلى كلمة مما يقول، وكان ينتظر انتهاء جده كي يستأنف لعبة "ماين كرافت" مع ابن خالته.

وضعتْ "آن" طبق البطاطس الفارغ في الحوض المكتظ أصلًا بالأواني المتسخة. شهد مطبخها في سهرة واحدةٍ حيويةً لم يشهدها على مدار السنتين الماضيتين. اتجهت "كابستان" لا إراديًّا صوب نافذتها ثم نظرت بالأسفل إلى شارع "لافيروري"، فرأتْ على الرصيف المقابل أمام مطعم فيتنامي - سيفُاجأ صاحبه في الغد بوجود هذه الرسالة - ثلاثَ كلمات مرسومة بأحرف كبيرة بيضاء: "لم تتغيري يا آن". ارتسمت على وجه "كابستان" ابتسامة عريضة كتلك التي ابتسمتها في العشرين من عمرها.

سقطت أولى حبات الثلج لكنها لم تغط الرسالة بالكامل.

الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق. "بول روفوس"

كان "بول" جالسًا على كرسيٍّ طاولة المطبخ، وتركيزه منصب على تليفونه الذكي الذي بدا وكأنه يشغل مساحة الطاولة كلها. ما زال شيء من الدهان الأبيض عالقًا بشعر ساعديه الأشقر. كانت اليقظة تحرك كل خلية من خلاياه، ولم يكن يتذكر أنه شرب ولا أكل ولا مشى حتى وصل إلى

المطبخ، لم يكن ينظر إلى شيء حوله إلا إلى الشاشة السوداء، إلى المستطيل الصغير الذي قد يضيء الليلة معلنًا عن وصول رسالة منها.

لم يكن هذا هو أنسب وقت، إلا أن "بول" لا يهتم بالظروف ولا بأي شيء، باستثناء "آن". ضبط "بول" الرنين والهزاز على أعلى مستوى، ولما رنَّت عليه انتفض وحدق في اسم "آن" الذي ظهر على الشاشة فاعتراه شعور بالارتياح، ثم نهض ليرد على المكالمة.

عَلِمَ من عذوبة نطقها لكلمة "آلو" بأنهم أخيرًا قد عادوا إلى منازلهم.

الساعة الحادية عشرة والنصف ليلًا. مقر الفرقة بشارع "الأبرياء".

"عليكم الانتظار حتى نفتحها معًا". كانت هذه الرسالة واضحةً جدًا وقد كُتبت على ورقة مطوية مقاسها A4 أسفل شجرة الكريسماس. ظل "سان-لو" و"ميرلو" يتجولان طوال المساء داخل المقر، ثم لحق بهما "أورسيني" الذي ظل يتجول هو الآخر. تحلى "ميرلو" بروح الاحتفال والتضامن وأرسل رسائل نصية إلى زملائه الغائبين. أما "داكس" فشأنه شأن "إيفرار" أنهى ما وراءه مبكرًا ثم أقلَّها إلى القسم، وصلا وهما يضحكان وتتناثر على رأسيهما وأكتافهما حبات الثلج اللامعة. بيَّضت الثلوج المكان في ليلة عيد الميلاد كما هو الحال في كل عام.

لا شك أن غدًا سيصبح السير في الشوارع صعبًا جدًا بسبب هذه الثلوج، أما الآن فهي تكسو الشوارع وتُسكِت الضجيج وتعكس لون المصابيح البرتقالية فيبدو مثل إضاءة النيون بمحلات الأدوات الجنسية. وصل أخيرًا كلٌ من "لوبروتون" و"روزيير" و"بيلو" فجأةً في الوقت الذي كان يبتهج فيه الجميع بقول "ايـــــه" مع الصوت المميز لفتح سدادة

زجاجة الخمر. كانوا جاهزين للاحتفال معًا، وكانت الأوراق الممزقة وشرائط التغليف المقطعة تملأ الأركان، والنبيذ الفوار والشامبانيا الممتازة يختلطان بلا تمييز بينهما في البطون نفسها، وما تزال رائحة شجرة الكريسماس الممزوجة برائحة اليوسفي والشوكولاتة تملأ المكان.

تبادلوا الهدايا فيما بينهم. كان "روزيير" و"ميرلو" و"إيفرار" و"داكس" قد اشتروا هداياهم من متجر ليلي. كانت الهدايا عبارة عن: أحزمة ماركة "هيرمس" مقابل منافض سجائر من "مارسيلان بلاج"، وحقائب قماش من "كوليت" مقابل فتَّاحات زجاجات النبيذ المقاومة للصدأ. احتفل الجميع بالهدايا وهم يصيحون بحماس ويمزحون بلا حدود.

ملَّس "سان-لو" على شاربه بكلتا يديه قبل أن يغيظ "ميرلو" قائلًا:

- يا صديقي! لكي تلف هذا الحزام على بطنك ستحتاج إلى ثمانين سنتيمترًا آخر.

فرد عليه بضربة على ظهره حرَّكته من مكانه وقال:

- أو إلى ثمانية ثقوب أخرى إن كنت ستربطه على بطنك يا رفيقي!

فتحت "روزيير" إحدى العلب التي أحضرها "ميرلو" فوجدت ما يشبه الحصاة إلى حد كبير، فقلبتها على جميع جوانبها في حيرة ثم سألت:

- ما هذا الشيء بالضبط؟

رد عليها "ميرلو" وهو يرفع سبابته بجدية:

- انتبهي! هذه قطعة من جدار برلين.

فسأله "داكس":

- هل ذهبت إلى برلين؟

- نعم، عام 1960 بصحبة والديَّ العزيزين المتوفَّيَيْن.

فسألته "روزيير" لتتأكد وشفتاها ترتعدان من العصبية:

- أتعني أن هذه قطعة من جدار برلين قبل بنائه؟

انفجر "أورسيني" ضاحكًا، حتى أنه تفاجأ من شدة الصوت فاستدار كما لو كان يتفقد مصدره، ثم استعاد جديته وأجاب عن سؤال "روزيير" قائلًا:

- لا يا "إيفا" في الواقع هي قطعة من حائط في برلين.

فقال "ميرلو" وهو يشرب ما تبقى من زجاجة شامبانيا "دوم بيرينيون" دفعة واحدة:

- أنتم لا تحترمون أي شيء.

شعر "سان-لو" بالحرج لتلقي الكثير من الهدايا دون إعطاء شيء في المقابل، وبناءً على ذلك استغل لحظة من الصمت مع قلة الحماس ليقدم كل ما لديه حتى يشعر بسعادة رحلته فقال:

- يا أصدقائي! ليس معي هدايا، لكن إن كان ذلك يناسبكم، فيمكنني أن ألقي عليكم قصيدة من ذاكرتي.

صفقت "روزيير" المغرمة دائمًا بالعروض وقالت:

- فكرة رائعة! تفضل.

- هي قصيدة ملحمية مشهورة جدًا ترجع إلى العصور الوسطى واسمها: "نشيد رولاند".

عندما وصل إلى البيت المئة تقريبًا، بدؤوا يدركون أن ما يقوله لم يعد ينتمي إلى القصيدة نفسها فظهرت عليهم علامات الملل، فتوقف "سان-لو" وقال:

- كانت تستمر القصائد الملحمية وقصص البطولات طوال السهرة، وما زال أمامنا مئتا مقطع آخرين، لذا فمن الأفضل أن تستريحوا بعض الشيء..

جهز أعضاء الفرقة المتخمين بالشراب والطعام الكراسي ذات الذراعين والسجاد والأغطية والوسائد بجانب المدفأة ليستمعوا إلى المنشد المتجول بجوار المدفأة. تناغم صوت راوي القصص المُنغم مع طقطقة الخشب الخفيفة وشخير "ميرلو" السعيد.

الساعة الثانية عشرة منتصف الليل.

مساعد الشرطة الكلب "بيلو"

بينما كان "بيلو" جالسًا باستقامة على السجادة وظهره ساخنًا من المدفأة، كان ينظر إلى الفأر باستياء. إذ بدأ الوافد الجديد في أخذ راحته وصار يغامر بالدخول بانتظام أكثر فأكثر في المناطق المكتسبة التي هي حق لمن جاء أولًا، لذا كان لا بد من إخطاره بالحدود.

لم يكن مسموحًا لـ"بيلو" بالتبول في الداخل لوضع الحدود، أثنته نظرةٌ خفية على صاحبته المحبوبة عن محاولة التجربة حتى في هذا الموقف الصعب. أعاد نظره إلى الدخيل الذي بدوره وضع قدمه على السجادة في حركة استفزازية خالصة. كشَّر "بيلو" عن أسنانه ثم أصدر زمجرة عميقة متبوعة بناحٍ تحذيري، فارتد الفأر على الفور وعرف مَنْ المسيطر هنا.

الساعة الثانية عشرة منتصف الليل ودقيقة. مساعد الشرطة الفأر "راتافيا".

كانت عينا "راتافيا" السوداوان الصغيرتان تحدقان من أسفل الأريكة في الحيوان الموجود أمامه. يا له من كلب أحمق!

32

غابة "فانسن" 25 ديسمبر 2012

كانت "كابستان" بصحبة "لوبروتون" و"أورسيني" و"روزيير" يقفون جميعًا مذهولين أمام جثة "ماكس راميه"، فيرتطم بهم أفراد فرقة مكافحة العصابات، ويزيحهم رجال الطب الشرعي ويتجاهلهم ضباط البحث الجنائي.

لم يعد لديهم قاتل يبحثون عنه. كانت لديهم ثلاث جرائم قتل بلا قاتل. أما الآن فصاروا أربعًا.

قالت "روزيير":

– هذه الأحداث تشبه ما جاء في رواية "عشرة زنوج صغار" للكاتبة "أجاثا كريستي"، حيث مات الجميع في النهاية دون أن يتوصلوا إلى القاتل.

فردت عليها "كابستان":

– القاتل في الرواية تظاهر بالموت، وهذا أمر ممكن في مجتمع يعيش على جزيرة، لكنه مستحيل مع وجود الطب الشرعي.

قبل حضورها إلى مسرح الجريمة، كانت قد غادرت من عند "بول" عائدة إلى منزلها كي تعيش أحلام اليقظة على راحتها وبطريقته الخاصة دون أن تخطط لأي أمر خيالي. كانت حين غادرت تشعر بالدفء، وقد ترنحت قليلًا، فأخرجتها من شرودها رسالةٌ نصية من "بورون" يستدعيها بشأن جريمة قتل أخرى. عادت "كابستان" إلى الواقع مرة أخرى. في طريقها إلى مسرح الجريمة، كانت تتوقع ضحية جديدة من ضحايا السطو، لكن لم يخطر في بالها أبدًا أن يكون "رامييه".

من الواضح أن "كابستان" كانت تشك في "أورسيني" إذ إنه كان يدقق في كل شيء في مسرح الجريمة، فهل كان يبحث عن بصماته؟ ثم عَبَسَ مستسلمًا في النهاية لأفكاره التشاؤمية. فهل نسي شيئًا؟

وبما أن الطب الشرعي قد حصل على جثة "رامييه"، فلن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا في استخراج حمضه النووي لمقارنته بحمض جرائم القتل الثلاث الأولى والحصول على دليل دامغ على إدانته. ما تزال هذه هي الفرضية الأكثر احتمالًا.

لكن بالنسبة لـ"رامييه"، مَنْ أطلق النار عليه؟

تساءلت "كابستان": "هل "أورسيني" هو مَنْ فعل ذلك؟". لم تستطع مجددًا الوصول إلى أية إجابة. ربما يجدون على مسرح الجريمة حمضًا نوويًّا لرجل آخر مجهول، رجل لم يكن قد دخل بعد في المعادلة وسيُحدث ظهوره مفاجأة مدوية، قد يكون شريكًا لم يُذكر في أي من المستندات، أو زميلَ زنزانة كان قد سمع عن غنائم المستقبل.

المختلف في هذه الجريمة عن سابقاتها هو أن القاتل لم يترك أي بيان، لم يقم بأي إعداد للعرض مثل باقي الجرائم، إما أنه كان مستعجلًا وإما أن جريمة قتل أخرى ستقع قريبًا، وهذه هي الفرضية الأكثر احتمالًا.

كانت الساعة الحادية عشرة صباحًا، بدا الجو كأن النهار لم يطلع قط على هذه البقعة من غابة "فانسن". كان بوسع الأشجار العارية أن تدع أشعة الشمس تتخللها، إلا أن كتلة السحب السوداء الكثيفة تكتلت أمام أشعة الشمس الخافتة حتى حجبتها. أدَّى هطول أمطار خفيفةٍ إلى انحسار الثلوج وتكوين الطين الذي كان يعلق بأحذيتهم، فتظهر آثار أقدامهم ثم تختفي على الفور.

كانت هناك بعض حزم الأعشاب المجرَّفة المختلطة بالأغصان المكسرة وبأوراق الشجر الجاف. لم تعد هذه المروج الخلابة التي يأتيها المتنزهون الباريسيون صيفًا إلا مكانًا مشؤومًا وجدتْ فيه جثةُ رجل عصابة مكانها المناسب.

قال "زهوي" الملازم بفرقة البحث والتدخل:

- ما يزال جسده دافئًا وهذه يعني أنه قُتل هذا الصباح. لقد جاء به إلى هنا بابا نويل بنفسه على زلاجته في كيس هداياه.

كان يقول هذه الدعابة كما لو كان يتخلص منها، فأشار إليه "ديامان" بيده إشارة متحفظة وقال:

- لقد تلقى رصاصتين في البطن، واثنتين في الصدر، وواحدة في الكتف، كما استقرت رصاصتان في الأشجار.

قالت "روزيير" التي لا تفتقر هي الأخرى إلى حس الدعابة:

- يبدو أن بابا نويل كان يطلق النار بتهور، أو أن الرنَّات التي تجر العربة هي التي تحركت بسرعة.

قهقه "زهوي" فرحًا بوجود من يشاركه الحس الدعابي.

ربتت بودٍ على ظهر "روزيير" التي لم تُرد أن تتمادى في الألفة الزائدة عن الحد إلا أنها تغاضت عنها بغرور نجمٍ لا يتوقف معجبوه عن ملاحقته.

دوَّى صوت الطلقات السبع في هذا الحي السكني الواقع على أطراف الغابة، فأُخطرتْ الشرطة على الفور. وعلى الرغم من هذا، كان أمام مُطلِق النار متسع من الوقت للهرب. لقد أطلق النار دون كاتم الصوت، ولم يكن دقيقًا، وبالتالي فنحن أمام قاتل هاوٍ مسلح بمسدس آلي على استعداد لأن يفرغ نصف خزانته دون أن تهتز له شعرة. يمكن أن تتطابق شخصيته مع رجل عصابة غير مكلف بحمل السلاح، مثل السائق على سبيل المثال، وهذا الاحتمال يتوافق مع ما قاله "لوويتز" قبل ذلك عندما تحدث عن أن هناك شخصًا ما مفقود في هذه القضية، والذي ربما يكون سائقًا.

يضاف إلى هذا قائمة أعداء "ماكس رامييه" التي لا تُحصى. لم يكن يحب أحدًا ولم يحبه أحدٌ، كان متوحشًا وعنيفًا، يزدري الحياة ولا يفي بتعهداته. وربما كانت هذه الجريمة بعيدة كل البعد عن مسار التحقيق، وأن "رامييه" قد قُتِلَ لمجرد تصفية حسابات مع زملاءِ سجنٍ سابقين لا علاقة لهم بالقضية رهن التحقيق. إن الأوغاد أمثال "رامييه" يتركون خلفهم الكثيرَ من الأدلة والقليلَ من الحماس عند رجال الشرطة الموكلين بتحقيق العدالة في قضايا أخرى.

كان عددٌ قليل من فريق مكافحة العصابات يسخر من الجثة بينما كان أغلبهم مستائين خصوصًا أن غريبًا قد انقض على فريسته في منطقتهم. كان من المفترض أن تعيد فرقة البحث والتدخل جثة قاتل السيد "روفوس" الهامدة، لكنهم وجدوا أنفسهم وسط مستنقع من الطين أمام

قتيل محتال. علاوة على ذلك، كان يزعجهم وجود أفراد فرقتي البحث الجنائي ومكافحة العصابات هذا طبعًا بالإضافة إلى فرقة "كابستان". فلو شاركت كل هذه الفرق في التحقيق، فلن تجد فرقة البحث والتدخل مهمة تقوم بها سوى العزف على الهارمونيكا.

رغم ذلك فإن أفراد فرقة البحث والتدخل لديهم ميزة على غيرها من الفرق الأخرى وهي أنهم سيعلمون بنتائج قسم المقذوفات قبل الجميع وخاصة فرقة "كابستان". وبناءً على ذلك، يكفي أن يكون السلاح المستخدم مسجلًا لإحراز تقدم ملموس في القضية. سيتم استدعاء جميع مجرمي المنطقة المسجلين منهم وغير المسجلين للتحقيق معهم.

بناءً على المكالمة التي وردت إلى الشرطة، فقد وقع إطلاق النار في الساعة 10 صباح يوم 25 من ديسمبر. وفيما يتعلق بـ"حجة الغياب"، تساءلت "كابستان" عما إذا كان عيد الميلاد سيجعل مهمة القاتل أسهل أم أصعب، فباستثناء الشخص الانطوائي لا يمكن لأحد أن يغادر منزله في هذه الساعة دون أن يلاحظه أحد من أقاربه. ويستطيع فعل ذلك على الأقل نصف رجال العصابات، وثلث رجال الشرطة بالتأكيد. تذكرت "كابستان" أن القاتل هاوٍ، لذا استبعدت احتمالية وجود أدلة مضلِّلة.

من الوهلة الأولى يمكن ملاحظة أن جسد "رامييه" مملوء بالرصاص، وأنه لم يُلكم ولم يُضرب، ولم يسعَ أحدٌ لإجباره على الكلام، لذا لم يكن المال هو الدافع إلى القتل، أو قد يكون الجاني قد أَخذَ المالَ على الفور من الضحية الذي كان يتجول معه.

ما الذي كان يفعله "رامييه" في هذه المنطقة؟ لم يدون في ملفه أي ارتياد بالقرب من غابة "فانسن"، ولم تكن هناك أي حانة على بعد مئتي

مترٍ، فما الذي أتى به إلى هنا؟ ابتعدت "كابستان" قليلًا عن مسرح الجريمة لتلقي نظرة شاملة على المكان وتقيم النقاط القريبة منه. يوجد في الشارع العمودي على الغابة محل خردوات ونادي لياقة بدنية وحلاق. أما الشارع الرئيس فكان فيه بنك ومحل تليفونات وصيدلية. كانت كل هذه المتاجر مغلقة بسبب العطلة.

توقفت سيارة "سيدان" طويلة بمحاذاة الشارع الرئيس، نزل منها "بورون" بمرونة أقل مما كان عليه أيام شبابه، وما إن هنْدَمَ معطفه واقترب ببطء حتى عمَّ الصمت أرجاء المكان. ذهب ليرحب بالقادة المتواجدين بمسرح الجريمة، والذين أطلعوه على ملخص الوضع من وجهات نظر مختلفة، ثم اقترب من "كابستان" وسألها وهو يراقب شكل نظرتها التي تشبه الكلب:

- أخبريني يا "كابستان"؟ هل يشغل بالك التحقيق إلى هذه الحد؟

- يجب أن ندرك أن هذه الجثة تمثل طريقًا مسدودًا أمام كل أدلتنا.

- حقًا؟ لكل أدلتكم، وأدلتكِ أنت أيضًا يا "كابستان"؟ أليس لديك مشتبه به آخر في مستنداتك؟

بالتأكيد لم يسمع أحدٌ سؤال "كابستان" حول "أورسيني" ولا بد أن "بورون" قد طلب الملفات.

كانت طريقة كلامه ونبرة صوته يعبران عن تمليح أكثر منه تأكيد. أفسح "بورون" للمفتشة المجال للمناورة. دوَّنت ملاحظةً ثم ألقت نظرة على النقيب "أورسيني" الذي كان يبتعد عن الصخب هو الآخر ويخرج من الغابة ليسير في الشارع الرئيس. كان يبحث عن شيء ما. وكان يبدو عليه أنه يعرف ما هو.

33

كان "لوبروتون" ومعه "كابستان" قد ارتديا معطفيهما لكي يخرجا إلى الشرفة. أخرج "لوي بابتيست" علبة السجائر من جيبه الأيمن وأشعل سيجارة، وعندما أخذ نفسًا منها أصدرت لهيبًا متوهجًا، كان بمثابة العلامة الوحيدة على الدفء في برد الشتاء.

دارت في رأسيهما الأسئلة نفسها دون أن يبوحا بشيء. لم يتحدث "أورسيني" بعدُ عن ارتباطه الخطير بالهجوم على بنك "مينرفا"، الأمر الذي جعل موقف "كابستان" و"لوبروتون" حرجًا، فكان عليهما إما أن يستمرا في غض الطرف عنه، وإما أن يفصحا عنه للنظر في أمره على الأقل.

اتكأت "كابستان" على الدرابزين ويداها مشبوكتان تشاهد المارة القلائل بالشوارع المحيطة حيث عمَّ الصمت أرجاء المنطقة، لقد صار المكان خاليًا بعد أن كان مكتظًا، كانت الناس تشتري الأشياء كلها ثم فجأة لا بيع ولا شراء. لا شك أن الحياة ستعود إلى طبيعتها قريبًا بعد أن أصبحت الجيوب فارغة والأجساد متعبة من الذهاب والإياب.

سحب "لوبروتون" نفسًا عميقًا من سيجارته ثم استند إلى حائط الشرفة. كانت هيئته تشبه كثيرًا معطفه الأنيق، كما كانت رصانته وبساطة حركاته تشكلان حضورًا قويًّا لا يجعلك تمل منه أبدًا.

بدأ "لوبروتون" الحديث:

- لا بد أن "أورسيني" يعرف أننا نعرف حكايته، لا يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك.

- وأنا أيضًا أعتقدُ ذلك؛ حيث إنَّ النسخة التي حصل عليها أفراد الفرقة كانت ناقصة، ولا بد أنه يشك في أنني على الأقل قد حصلت على النسخة الكاملة.

فرد عليها بهدوء:

- ورغم ذلك لم يأتِ ليتكلم معكِ عن الأمر.

اعتدلت "كابستان" ثم وضعت يديها المنمَّلتين في جيوبها حيث وجدت تذكرة مترو مستعملة، فأخذت تقلبها بين أصابعها بعفوية وقالت:

- كلا، لم يأتِ.

- ينبغي على الأقل مناقشة المشكلة مع الفرقة، لأن مقتل "رامييه" غيَّر قواعد اللعبة. في السابق كان "أورسيني" مجرد ضحية، أمَّا الآن فيُحتمل أن يكون مخادعًا ويحجب عنَّا الكثير من المعلومات..

قاطعته "كابستان":

- لكنه هو من دلنا على قضية "جاك مير"، ألا تتذكر ذلك؟

رفع "لوبروتون" مطفأة السجائر من عند قدميه، وأطفأ سيجارته فيها وهو يبرمها بدقة وبطء، ثم تقدم قليلًا ليضعها على الطاولة الصغيرة المستديرة، ورد عليها:

- هذا صحيح، لكنه ربما فعل ذلك لأغراض شخصية، على كل حال لا يمكننا حمايته إذا ارتكب جريمة قتل. لم يعد بإمكاننا البقاء في هذه المنطقة الرمادية خاصة عندما يتعلق الأمر بجريمة قتل.

قلصت "كابستان" حجم التذكرة وبرمتها في شكل أنبوب صغير وأخذت تلفها بين أصابعها.

- لا أدري ماذا أقول لك..

سألها الرائد وهو يغمض عينيه اللامعتين نصف إغماضة:

- بالمناسبة، كيف عَلِمَ بشأن "إيل سور لا سورج"؟

- من صحيفة "لابروفنس" اليومية.

- وكيف كان يعلم أن "جاك مير" قد غير اسمه وأن مكانه هناك؟ بل كيف كان يعلم أنه متورط في السطو؟

- لا أعلم.

ترددت "كابستان" قليلًا قبل أن تستأنف كلامها. بالطبع كانت "روزيير" على علم بالأمر كله، لكنَّ إخبار الآخرين بالأمر كان شيئًا ثقيلًا على قلبها، إلا أنه كان أمرًا لا بد منه في هذه المرحلة.

استكملت "كابستان" كلامها:

- هناك شيء آخر بعيدًا عن "أورسيني"، فاستنادًا إلى تحليل "إيفا" للمخطوطة، يبدو أن "روفوس" كان متورطًا، وأنه حصل على نصيبه نظير تدخله.

فرد عليها "لوبروتون" متشككًا:

- ورغم ذلك قبض على "رامييه".

- ربما لأنه لم يكن يتوقع أن يطلق "رامييه" النار على المتواجدين في البنك وقتها، مما أدى إلى إرباك حسابات "روفوس" وبالتالي قبض عليه. لم يكن أمامه سوى فعل ذلك حتى لا ينكشف أمرهم وكي يترك الفرصة للآخر أو الآخرين لكي يلوذوا بالفرار بالغنيمة الثمينة.

في تلك الأثناء، كانت هناك سحب رمادية كثيفة تتحرك فوق كنيسة "سانت أوستاش" المهيبة، وقد تابع "لوبروتون" حركتها دون تركيز إذ كان منغمسًا في التفكير.

ثم قال:

- وفقًا لهذه الرواية، فإن "رامييه" كان يكن العداء لـ"روفوس"، لذا قتله بمجرد خروجه من السجن. لكن لماذا لم يشِ به وقت الاعتقال؟ على كل حال أنا لا أثق بكلام اللصوص وقطاع الطرق.

- ولا أنا، أظن أنه فعل ذلك كي يستطيع الحصول على نصيبه من المال بعد خروجه من السجن. فلو أخبر العدالة بالحقيقة لَمَا تسنى له الحصول على المال. أو قد يكون "روفوس" قد تفاوض معه أثناء السطو.

- إنها لمصادفة غريبة أن ينتقل "أورسيني" إلى فرقة ابنة زوجته.

أخرجت "كابستان" -بحركة تلقائية- شعرها الطويل العالق بياقة معطفها وقالت:

- لم تكن من باب المصادفة على الإطلاق، فهو الذي طلب النقل بنفسه وجاء من أجلي. ربما ظنَّ أنني يمكن أن أساعده بحكم صلة القرابة التي بيننا.

- على كل حال، لقد كان يراقبك مثل كل المشتبه بهم المحتملين.

ثم سكت قليلًا واستطرد قائلًا:

- ذكريني بما جاء في ملف قضية "ليون"، أصحيح أنه لم يرد ذكر "جاك ميلون" باعتباره هاربًا من العدالة؟

- بلى، فقد ورد ذكره قليلًا في التحقيقات لكن تبين أنه لا يتطابق على الإطلاق مع الوصف..

قاطعها "لوبروتون":

- طبعًا مع الوصف الذي قدمه "روفوس" الفاسد.

- بالضبط.. ويُحتمل أيضًا أن "أورسيني" كان يتتبع قائمة المشتبه بهم كلها وهو يعلم أن أحدهم هو الفاعل الحقيقي.

- لماذا فعل كل ذلك؟ وماذا كان ينتظر؟ فقد أُلقي القبض في النهاية على مَنْ أطلق النار، وأخذت العدالة مجراها.

- عليك أن تسأله هو.

سمعا صوت "أورسيني" يرد عليهما:

- أجل، سيجيبكما بالتأكيد.

توجهت "كابستان" و"لوبروتون" مع "أورسيني" نحو غرفة الألعاب حيث اجتمع باقي أعضاء الفرقة، ثم جلس على أحد أطراف طاولة البلياردو ليجعل الطاولة الكبيرة بينه وبين زملائه. لم يكن ضوء النهار الخافت الذي يمر عبر النوافذ كافيًا لإنارة الغرفة، لذا أضاءت "روزيير" لا إراديًّا كل المصابيح الفرعية، ومصابيح البلياردو وأكاليل عيد الميلاد المعلقة حول منضدة الشراب.

غمر الدفء الغرفة إلى أن وصل "أورسيني" فتحول هذا الدفء إلى برودة. تلاشت كل مظاهر الشفقة بعد حديثه عن وفاة زوجته وابنه وذلك

بسبب انتقاله المباشر للحديث عن التحقيقات، وكأنه يريد أن يذكرهم بأن علاقته بهم لا تتعدي علاقة الزمالة والعمل.

تساءلت "كابستان" عما إذا كان "أورسيني" قد فعل ذلك بقصد تجاهلهم أم أنه -على العكس- يريد حماية ضمائرهم وإفساح المجال لشكوكهم كي يتخذوا القرار المناسب.

قال "أورسيني":

- لم أكن أنا العقل المدبر وأريد أن أعرف من دبر العملية.

فردت "روزيير":

- قد يكون "رامييه".

فقال:

- أخبريني بكل أمانة ودون الاعتماد على الأحكام المسبقة، هل تظنين حقًّا أن "رامييه" كان العقل المدبر؟

- كلا لا أعتقد خاصة إذا تعلق الأمر بسطو مسلح ناجح، أما إذا تعلق بأمر فاشل فـ..

قاطعها "أورسيني" قائلًا:

- لا أعتقدُ أنا أيضًا. ما كان لشرطي أن يمتثل لأحمق مثل "رامييه". مَنْ دبر الأمر شخص آخر لا بد من البحث عنه.

- ما الذي جعلك تعتقد أن "رامييه" قد يساعدك في الوصول إلى العقل المدبر لعملية السطو بعد خروجه من السجن؟

- أولًا، عدم وشايته بشركائه في عملية السطو، والسبب الآخر هو أن لي علاقات بمركز الحبس الاحتياطي بـ"كورباس"، عرفتُ من خلالهم أن "رامييه" لم يكن لديه ما يكفي من المال، إذًا فهو لم يأخذ نصيبه، وبالتالي

سيبحث حتمًا عن شركائه بمجرد خروجه من السجن للحصول على نصيبه.

"ما كان لشرطي أن يمتثل لأحمق مثله" ترددت هذه الجملة في ذهن "كابستان" التي قاطعت حديثهم قائلةً:

- مهلاً مهلًا! كيف عرفت أن هناك "شرطيًّا كان يمتثل لأمره" من عدمه رغم أن "روفوس" لم يكن في دائرة الاتهام وقتها؟

التفتت المفتشة إلى باقي أعضاء الفريق وخاطبتهم بإيجاز وكأنها أحضرت الذئب من ذيله:

- لقد اتضح الأمر الآن، يبدو أنهم لم يخططوا بشكل كافٍ للهروب السريع، وهذا ما يفسر عدم وجود سائق في عملية السطو يا "لوويتز".

أجابها "أورسيني":

- كان الأمر مجرد تخمين. بل كان شكًّا مبنيًّا على حقائق. وأكثر ما أثار استغرابي هو أنني لم أجد -من بينكم- من يشاركني هذا التحليل المبني على الحقائق التالية: عدم تطابق الأوصاف مع الشهود، والغموض الذي يعتري ملابسات الحادث، القبض على الجاني الأخطر وترك الآخر يهرب. كان الشرطي أول مَنْ وصل إلى مكان الحادث وبسرعة كبيرة جدًا لدرجة أنه وصل تقريبًا في الوقت نفسه الذي بدأ فيه جهاز الإنذار في العمل، وذلك وفقًا لشهادة الموظفين. أرى أنكم تتعاملون مع الأمر بشكل انتقائي هذا بالإضافة إلى التعتيم الذي يمارسه بعض الزملاء لحماية ذويهم..

راح زملاؤه يهزون رؤوسهم بحسرة إذْ لم يكن من الضروري المبالغة فاستكمل كلامه:

- ألا تصدقونني؟ حتى أنتِ أيتها المفتشة كنتِ قد زودتِ زملاءنا بملفٍ ناقص بعدما نزعتي منه الورقة التي ورد فيها ذكر اسمي. إنها غريزة حماية الأسرة والدفاع عنها. وها أنا اليوم مشتبه بي في جريمة قتل وما زلتِ تحمينني، أليس كذلك؟

تنوعت النظرات الموجهة إلى "كابستان" ما بين اللوم والتفهم، فثنت المفتشة شفتيها باقتضاب تعبيرًا عن اعتذارها. هل سيظلون على هذه الحالة لثلاث ساعات وهي تتصرف معهم التصرف ذاته؟! محالٌ!

قال "لوبروتون":

- الحقيقة هي أن الأمر لا يتعلق بحماية كما يقول "أورسيني"

ما زاد من حسرة "لوبروتون" هو تظاهره بذلك وهو يعلم أن ما ينفيه صحيح وأنه يتعارض مع قناعاته.

لو أنه لم ينضم إلى هذه الفرقة الفاشلة لأبلغ دون أدنى تردد عن ظهور اسم "أورسيني" في ملف القضية.

فرد عليه "أورسيني":

- أعلم ذلك، وعلى كل حال أؤكد لكم أنني لست من قتل "رامييه".

انقسمت الآراء في الغرفة، فنصفهم يصدق هذا الإقرار الأخير ونصفهم لا.

أما "كابستان" فكانت في حيرة بعد أن تشككت مرتين في أمره.

34

وصلت الوحدة المتنقلة – التي نُقل إليها "ديامان" – إلى شارع "سيباستوبول" الذي يفصل ما بين حي "ماريه" وحي "لي هال"، والذي يبدأ من عند مسرح المدينة وينتهي عند مسرح "متروبول". ازدحمت الأرصفة العريضة بالسياح وقاطني المنطقة، حيث مطاعم كنتاكي والبنوك والواجهات الزجاجية للمحلات. وما إن حل الليل حتى خرج رجال الشرطة – بستراتهم المنتفخة الواقية من الرصاص – في دوريات ليلية للحفاظ على الأمن في المنطقة.

قبيل شارع "رامبوتو"، وبالقرب من أحد فروع بنك "LCL"، وجدوا عائلة تفترش الرصيف؛ كانت هناك مرتبة مغطاة -بشكل فوضوي- بمجموعة من الملاءات والألحفة وكيس بلاستيكي كبير مثقوب، وعربة أطفال رثة كأنها طاولة سرير. على هذه المرتبة، نام رجل وامرأة، وبينهما طفلة صغيرة، كان عمرها ما بين الرابعة والخامسة.

تنهد "إينيازيو"، المسؤول عن الوحدة، وهو رجل قوي البنيان ذو صدر منتفخ قليلًا، ثم قال:

– هيا يا "ديامان"، أنت من سيتولى هذه المهمة.

سأل "ديامان" وهو يعي تمامًا ما كان يقصده "إينيازيو"، إلا أن عقله يرفض تصديق ذلك:

- ماذا؟!

نظر "باسيل ديامان" إلى هذه العائلة متسائلًا: "كيف تمكنوا من النوم في هذا البرد والضوء والضوضاء والحركة ودون جدران تسترهم. ربما تعودوا على ذلك، وربما أنهكهم التعب. عند أي درجة من التعب الشديد أو اللامبالاة يمكن للمرء أن يترك نفسه ينام بهذه الطريقة رغم تدفق المارة بالقرب من سريرهم الرث؟ كم عدد قبعات النوم التي ستحتاجها هذه الصغيرة حتى تستطيع أن تنام تحت سماء باريس؟ ربما كان دفء والديها كافيًا".

أجابه "إينيازيو" قائلًا:

- ماذا تقصد بـ"ماذا؟!". كل ما علينا فعله هو طردهم من هذا المكان. هذا كل شيء.

ردَّ عليه "ديامان" ببساطة ودون تفكير:

- كلا، لن أفعل ذلك.

ردَّ عليه القائد بهدوء لأنه لم يجد في نبرة صوته أو طريقة كلامه أي نوع من أنواع التحدي:

- سأعتبر نفسي لم أسمع شيئًا. هذه جولتك الأولى معنا، لذلك سأسامحك. اسمعني يا "ديامان"، هؤلاء المشردون من الغجر يشوهون صورة المدينة أمام السياح، وحتى سكان المنطقة يتضررون من وجودهم. لذا لا يمكننا تركهم يستوطنون الشارع بهذا الشكل. هل فهمت قصدي؟ ألا تتفق معي في هذا الكلام؟

- بلى.

- إذن فلنبدأ.

- كلا، كلا، لا أريد القيام بذلك.

- لا أحد يريد ذلك على الإطلاق، لكن هذا واجبنا يا سيادة الملازم.

كلا، فقد مر الكثير من الناس والكثير من رجال الشرطة دون أن يلحظ وجودهم أحد، لماذا لا نترك لهم هذه الأمتار الأربعة من الرصيف كي يقضوا فيها ليلتهم في سلام؟ ظل "ديامان" يحدق في الفتاة الصغيرة، فهو لم يتدرب لساعات وساعات، ولم يبنِ هذه العضلات الضخمة كي يوقظ الأطفال في نهاية المطاف.

لم يكن الأمر سهلًا بالنسبة له.

ابتلع "باسيل" ريقه. بدأ يسمع صوتًا في رأسه يشبه صوت الصنبور عندما يتدفق منه الماء. كان هناك طوفان من الدموع على وشك أن يفيض. كانت عيناه تأكلانه، أخذ نفسًا عميقًا لعله يساعده في أن يتماسك بضع ساعات أخرى بعدما تحمَّل ست سنوات. يجب ألا ينهار هنا. عليه أن يتشبث بالغضب والتمرد بدلًا من الاستسلام للتعب والوهن والإحباط، أو "الاستنزاف النفسي" كما يسميه الأطباء، أو "قلة الحيلة" كما يسميها "باسيل" عندما يريد جلد ذاته.

- كلا، لن أفعل ذلك. سأرحل الآن.

- حسنًا يا "ديامان". هل الأمر يتعلق بأسباب سياسية أم ماذا؟ هل أنت مناصر للمهاجرين؟

- لا علاقة للأمر بالسياسة لا من قريب ولا من بعيد، ولم تكن السياسة يومًا واحدة من اهتماماتي. كل في الأمر أنني لا أريد فعل ذلك، ولن أفعل.

كان "إينيازيو" متفهمًا لموقف "ديامان"، فهو ليس بالرجل السيئ لكنه يؤدي عمله؛ الذي يتمثل في فرض النظام والحفاظ على الأمن وحث

مرؤوسيه على تنفيذ الأوامر. أراد "إينيازيو" إقناع "ديامان" بوجهة نظره، وكان يرى أن ذلك ممكن على كل حال.

– لكن كلامك هذا غير مقنع بالمرة يا "ديامان". ناهيك عن أن هؤلاء الثلاثة الذين تراهم أمامك ليسوا حتى عائلة واحدة، فهم بالكاد يعرفون بعضهم بعضًا، وما جمعهم على فراش واحد إلا المصلحة والعمل. ونحن أيضًا علينا أن نؤدي عملنا. ويمكنك أن ترى بنفسك كيف نتعامل معهم؛ نهزهم بلطف شديد كي نوقظهم، ثم بعدها يذهبون على بعد عشرة أمتار، ومن ثمَّ ينتظرون حتى نرحل كي يعودوا إلى مكانهم من جديد.

لم يرد "ديامان" أن يقوم بهذه المهمة. بدأ يتذكر ما تعرَّض له من تنمر وإذلال خلال الشهور والسنوات الماضية. وها هم الآن يريدون إذلاله أكثر فأكثر من خلال تكليفه بملاحقة تلك الفتيات المسكينات. ماذا يريدون منه؟ عمَّا يريدونه أن يتخلى هذه المرة؟ وما هي خطواتهم التالية؟ لم يكن "ديامان" يعرف في ذاك المساء إلا شيئًا واحدًا وهو "لا". حاول أن يتكلم معهم. يبدو أنها ستكون محاولته الأخيرة وبعدها سيترك العنان لجسده كي يتصرف معهم. لم يكن قد بلغ الثلاثين بعد، لكن لا بأس. لا بد أن أمه ستتفهم موقفه. وحتى لو لم تتفهم ذلك فقد بلغ من العمر ما يجعله مسؤولًا عن تصرفاته دون الاعتماد على أمه.

– أريد أن أسألك سؤالًا أخيرًا: ما الفائدة من إيقاظهم الآن؟ انظر إلى تلك الفتاة الصغيرة التي نامت لتوها. كيف تريدني أن أوقظهم بعدما استقروا في هذا المكان وجهزوا سريرهم وبدؤوا رحلة نومهم؟

رأى الملازم زميلًا له يمر بجواره متجهًا نحو المرتبة لإنهاء هذه القصة، أو ربما كان يريد أن يُظهر لرئيسه إخلاصه وتفانيه في العمل. لكنَّ

"ديامان" قطع عليه الطريق ومنعه من الوصول إليهم. هنا تحرك باقي أفراد الوحدة فوقف أمامهم "ديامان" بطوله الذي يتجاوز المترين ووزنه الذي يصل إلى مائة وعشرين كيلو، ثم خاطبهم قائلًا:

- وأنتم أيضًا لن تتعرضوا لهم بأذى، عليكم أن تبحثوا عن شيء آخر بعيدًا عن هؤلاء المساكين.

سأله أحدهم وهو يضغط على زر جهاز الاتصال اللاسلكي المتدلي فوق كتفه الأيسر:

- وماذا ستفعل إذا لم نذهب من هنا؟

- تعال هنا وسأريك ماذا سأفعل.

وبينما كان "ديامان" مبتهجًا بهذا النصر الذي سيدفع ثمنه بلا شك، توقفت سيارة دون لوحات معدنية بجوارهم. أنزل "فروست" -رئيس فرقة البحث والتدخل- زجاج السيارة وارتسمت على وجهه ابتسامة صفراء، ثم قال:

- لقد ربحت هذه المرة يا رجل. سأنقلك من هذه الوحدة.

35

كانت "كابستان" في انتظار الضيف الجديد، كانت أذنها منتبهة لجرس الباب الذي ما كاد يرن حتى تلاشت موجاته فوق الصوتية. كان "بورون" قد اتصل بها ليخبرها بأمر الوافد الجديد قائلًا:

– إنه ضخم جدًا، وأنتِ لا تعرفين عنه سوى القليل. أظن أنه لم يتبق منه سوى حطام فلتصلحيه إن استطعتِ يا "كابستان"، شكرًا لكِ.

بدا الصندوق الكرتوني الذي يحوي الأغراض الشخصية بالغ الصغر فلم يتجاوز حجم علبة حذاء بين يدي الملازم "ديامان"، الذي وقف في المدخل عابس الوجه تعلو عينيه نظرات القلق، بدا كل شيء يحيط به أقل حجمًا بسبب ضخامة جسده. بالرغم من ذلك استقبلته "كابستان" دون أي سخرية:

– مرحبًا بك أيها الملازم. لست متأكدة إذا ما كان عندنا مكاتب تناسب حجمك، ولكن سوف نرى، تعال معي.

بادرتها "روزيير" قائلة:

– لا تمسي غرفة الألعاب. أتمنى ألا تفهميني خطأ يا صديقتي لكنني صرتُ مرتبطة جدًا بطاولة البليياردو.

ثم توجهت إلى الشرفة خلف "بيلو" المرح، ممسكة بسيجارتها التي كانت ما تزال مشتعلة.

تدخل "لوبروتون" شارحًا:

- هي على هذا الحال منذ أن فازت. أظن أن هناك مكتبين صغيرين بالداخل، يمكننا أن نهدم الحائط الفاصل بينهما.

ردت "كابستان":

- فكرة جيدة. ويمكن أن يكون هنا في غرفة الجلوس.

- لكن يمكن أن نفقد ضوء النافذة.

توجهت المفتشة نحو "ديامان" الذي كان يراقب الحوار دون أن يجرؤ على التدخل قائلة:

- أعتذرُ لك عن الحديث عنك كأنك خزانة ملابس نورماندية.

علق "سان-لو" بمرارة:

- لكن لماذا لم أحظَ بالقدر نفسه من الاهتمام عندما انضممت إليكم؟

وفجأة سمعوا صراخًا من ناحية الشرفة قطع عليهم مناقشاتهم، خرجت "كابستان" بسرعة من المطبخ وتبعها "سان-لو" و"لوبروتون" و"ديامان" الذي ألقى صندوقه الكرتوني وتبعهم.

كان "ميرلو" و"روزيير" يتشاجران من جديد، إلا أن سلوكهما هذه المرة لم يكن يشير إلى لعب أو مزاح لقد كانا يتجادلان باحتدام شديد. قال "ميرلو" مؤكدًا:

- أكرر مرارًا وتكرارًا أن "أورسيني" هو منْ قتل "رامييه".

- لا، لا أعتقد ذلك لأنه أخبرنا بالأمر كله، هذا بالإضافة إلى أنه من غير المعقول أن يطلق شرطي متمرس النار بهذا الشكل العشوائي في مسرح الجريمة قبل أن يصيب ضحيته برصاصة في جسده.

قاطعتها "إيفرار" قائلة:

- لا أتفق معكِ يا "إيفا"، الحقيقة هي أن "أورسيني" لم يكن ماهرًا في إطلاق النار بل كان عادة ما يخطئ في التصويب نحو الهدف وذلك بسبب أنه لم يكن يتدرب أبدًا. لذا فأنا أتفق مع "ميرلو"، وأعتقد أنه القاتل.

- هذا ليس دليلًا كافيًا. أخبركم مجدَّدًا أنه ليس الفاعل!

أصرت "إيفرار" بصوت مستسلم:

- بلى، فعلى كل حال الأمر يتعلق بجريمة قتل، لذا علينا إبلاغ المفتشية العامة للشرطة الوطنية.

قاطعها "ميرلو" ملوحًا بسبابته باستهجان:

- لا يا صديقتي العزيزة، لا أوافقكِ الرأي في ذلك. نعم، ربما يكون قد انحرف عن جادة الصواب، ولكنني أرفض الوشاية به.

وأضاف متحاشيًا بوضوح النظر إلى "لوبروتون":

- ينبغي أن نسوي الأمر فيما بيننا وألا نخلط الأمور ببعضها.

كان النقاش محتدمًا داخل الفرقة التي انقسمت بشكل خفي إلى فصِيلين مختلفين: الأول مواليًا لـ"أورسيني" والآخر مناهضًا له، أو بتعبير أقل تطرفًا فصيل يصدق "أورسيني" وفصيل يكذبه. بالإضافة إلى نقاش أكثر حدة دار بين مجموعتين فرعيتين هما المنادين بإجراء تحقيق جاد والمنادين بتسوية الأمر في هدوء.

أما "كابستان" فقد اختارت ألا تنبس ببنت شفة، كانت حتى ذلك الوقت متفقة مع الجميع وهو ما لا يتناسب مع مكانتها كقائدة للفرقة. يبدو أنها كانت تنتظر حتى ينبثق شيء من الحكمة من الأعماق المضطربة لضميرها الواعي. كانت تخشى بشكل خاص أن تؤدي هذه الحادثة إلى تفتيت التماسك الهش للفرقة، لا سيما أن بعض التصدعات كانت قد بدأت في الظهور بالفعل. فمنذ حادث سقوط "لوويتز" على غطاء السيارة الـ"بورش"، أصبح "توريز" منبوذًا أكثر مما كان رغم أن كل ما حدث لم يكن له فيه يد. و"أورسيني" الذي يجيد المراوغة ويتعامل مع الأمر بمنتهى البرود كأنه جليد نرويجي. ولا يمكن اتهامه باستغلال عاطفة زملائه، لأن كلامه قد خلف حالة من الخلاف والنزاع بين أفراد الفرقة.

ردت "روزيير" بخشونة قائلة:

- لا شيء يحتاج إلى التسوية على الإطلاق، كل ما نحتاجه هو إيجاد المجرم قبل أن تأتي قوات التدخل السريع للقبض على أحد الزملاء لارتكابه مخالفة.

كان "داكس" و"لوويتز" قد تركا المحادثة بسبب ضيق الوقت وأخذا ينظران إلى الشارع، وما إن وقعت أعينهما على الحواجز المحيطة بالمبني حتى صاحا في اللحظة نفسها:

- يا للهول!

ثم التفتوا إلى زملائهم ملوحين بأيديهم بشدة:

- هلموا بسرعة، انظروا!

توجهت الفرقة بأكملها نحو الشرفة مسرعين لينظروا إلى الشارع حيث مواكب من البشر تدوي أصواتها كهزيم الرعد، ونوافذ البنايات المجاورة قد امتلأت بالرؤوس التي تراقب المشهد في فزع.

بدأ الغزو، أخذت جموع المشاغبين في التدفق من سلالم المترو المتحركة والتدافع خروجًا من مركز تسوق "فوروم ديه زال"، ثم توجهوا إلى الشوارع الفرعية المحيطة ليحتشدوا في شارع "سان دوني" حيث كانوا يصعدون ويهبطون لسبب غامض وهم يصرخون كأنهم جماعة من الهمج يرتدون قمصانًا رياضية مطبوع عليها شعار الجهات الراعية. وبعد أقل من دقيقة عرف جميع قاطني الحي برنامج الليلة: إنها مباراة "تشيلسي" ضد "باريس سان جرمان".

تدفق المشجعون وسط صخب الصرخات مشتعلين بالحماس والنشاط بفضل ما تناولوه من بيرة ولحم بقري. كان في مقدمة المسيرة ثلاثة شباب ذوي شعر مبلل يلوحون بأيديهم بمفرقعات مشتعلة في حجم أصابع الديناميت، وبدؤوا في رميها على المحلات فسارع التجار بإغلاق نوافذ محلاتهم على الفور بينما أخذ نُدل المقاهي في إرجاع الكراسي الموضوعة في الشرفة بأسرع ما يمكنهم.

كان أحد هؤلاء الشباب ثملًا أكثر من رفاقه فيما يبدو؛ حيث حمل طاولة أحد البارات ورفعها بالرغم من ثقل وزنها ليلقيها على المارة، فاستحوذت هذه الفكرة الجديدة على قطيع المخربين، أخذوا على الفور يلقون الكراسي واللافتات الترويجية في الهواء وفي جميع الاتجاهات دون أي اكتراث للناس: رجالًا ونساءً وأطفالًا وعربات الأطفال والعجائز.

عدل "لوويتز" عكازه قائلًا:

- هلا ذهبنا!

أومأت "كابستان" موافقة فاندفع الفريق كله في الشقة. تسلل "راتافيا" بين السيقان وانزلق فوق الأحذية ليشق طريقه بين أقدامهم. وبينما كانوا يتقدمون التقطوا شاراتهم الحمراء الموسومة بكلمة "شرطة" من على

المكاتب ومن السترات ووضعوها حول أذرعهم اليسرى، كانت "روزيير" تتجهز للانضمام إليهم هي الأخرى إلا أن "كابستان" أوقفتها قائلة:

- سأتركك هنا لإبلاغ قوات الأمن الجمهوري والمحافظة وما إلى ذلك.

بقيت النقيبة إذًا مع "بيلو" المرتبك و "ديامان" المذهول الذي كان يقلب نظره بين مظاهر الشغب في الشارع وبين رفاقه الذين غادروا بخطى حثيثة.

ثم قال لـ"روزيير":

- اسأليهم يا "روزيير": "هل جننتم أما ماذا؟! كيف لكم أن تنزلوا دون تسليح وسط هذه الحشود الثائرة! ليس لديكم سترات واقية، ولا عصيٌّ، ولا غاز مسيل للدموع ولا حتى خوذات".

فهزت "روزيير" كتفيها غير مبالية فقد كانت تعرف رفاقها، ثم أجابته:

- هؤلاء المارة عُزَّلٌ كذلك، ويجب أن نساعدهم ونحميهم من اعتداء هؤلاء المتهورين.

حدق "ديامان" بها لوهلة دون أن يفكر ثم استدار بشكل مفاجئ وانطلق مسرعًا ليلحق بهم.

تفرقوا في الميدان لدى وصولهم وأخذوا يفرقون الحشود ويطالبونهم بالتزام الهدوء إلا أن كل أوامرهم كانت هباءً منثورًا. من الواضح أنه لم يكن هناك أي احترام أو هيبة لرجال الشرطة. على الجانب الآخر، كانت الأعداد الضخمة والحرارة المحتدمة بسبب قطع كيلومترات عدة دون الحصول على متنفس بمثابة فرصة ذهبية لبعض المشجعين الأكثر حقدًا لبدء القتال وإشعال حلقة لا نهاية لها من الاستفزازات والإهانات والبصق وما إلى ذلك. ينبغي السيطرة عليهم ووقف طاقتهم التخريبية بطريقة أو بأخرى، حتى لو كان ذلك يعني توجيهها نحو أنفسهم.

بدأ شاب كان يرغب في الحصول على وضع قيادي في دفع "إيفرار" وضربها على كتفها، ولم تمر ثانية واحدة حتى لطمه "داكس" على وجهه لطمة قوية، كانت بمثابة انطلاق إشارة البدء.

خفض "سان-لو" المتهور رأسه لأسفل مثل وعل ثمل هائج، ثم اندفع وسط الحشود وأخذ يضرب على الفور دون هوادة. اتجه كل من "ميرلو" و"لوبروتون" و"داكس" نحو الأطراف ليطاردوا العناصر المتناثرة التي كانت تدمر المرافق الحضرية العامة وهددت المارة المحاصرين أمام البنايات. سرعان ما تعامل "لوبروتون" لاعب القوى و"داكس" مع هؤلاء الشباب الذين فوجؤوا بوجود مقاومة شديدة، هذا بالإضافة إلى كونهم في حالة من الثمالة تمنعهم من التصرف بسرعة. أما "ميرلو"، فعلى الرغم من لياقته البدنية الأقل، فقد تقدم للاشتباك بكل جرأة دون قلق، كان يضرب بيد من حديد دون خوف من ردة فعلهم. بينما كان الفأر "راتافيا" يساعدهم عن طريق عض كواحل المشاغبين.

استدارت "كابستان" نحو "إيفرار" و"ديامان" و"أورسيني" و"توريز" في الخلف، ثم أشارت لهم بوجهها نحو حاملي المفرقعات النارية فاندفعوا اندفاعة رجل واحد داخل الحشد لاقتلاع قوته الهائلة.

يبدو أن "إيفرار" الأخف وزنًا قد ارتطمت بحائط وطُرحت أرضًا فسحبها أحد المشجعين من بنطالها الجينز وسترتها وألقاها حتى هوت عند كشك الجرائد مصدومة ومنهارة وظلت شبه فاقدة للوعي أسفل ملصقات المجلات.

كان المخربون أشد قوة وأكثر عددًا وتهورًا؛ حيث أمطروا الفرقة الهزيلة بوابل من اللكمات حتى بدأ الأمر شيئًا فشيئًا يبدو كمهمة انتحارية. لم يُسمع أي صوت لصافرات الإنذار ولا لاح في الأفق ظل

سيارات قوات الأمن الجمهوري الطويلة السوداء، ودون دعم سلاح الفرسان سيخوض الضباط حربًا تشبه معركة "آلامو".

كان وجه "أورسيني" قد تخضب بالدماء من أثر الدماء التي سالت من جبينه وأنفه وفمه، إلا أنه تابع التقدم مترنحًا مشوش الرؤية وأخذ يلقي بنفسه بعشوائية نحو مَنْ يرتدون القمصان الرياضية البيضاء والزرقاء من حوله. لم يكن "أورسيني" ماهرًا في الشجارات، كان كل جزء من ثيابه ملطخًا بآثار النعال عدا ربطة عنقه التي لم تتحرك قيد أنملة.

وفي المؤخرة كان "لوويتز" يحاول الإفلات من المشاغبين وضرب البعض منهم إلا أن توازنه المختل لم يسمح له بالدفاع عن نفسه حين أمسك أحدهم بعكازه وسحبه فجأة فأسقطه أرضًا وأخذ يركله في بطنه بمساعدة اثنين من رفاقه.

أما "ديامان" فقد سقط في الحشد كأنه مصارع يشعله الغضب، كان يمسك بالرؤوس بين يديه وتحت ذراعيه ويثنيها في مجموعة من ثلاثة أحيانًا. كان يطلق صرخات وصيحات أشد من المشاغبين. كانت صيحاته تشبه صيحات "الهاكا" النيوزيلندية. كان يضرب بفرحة عارمة وهو يواجه الكثير من أكياس الرمل، بدا مستمتعًا بصوت تهشيم العظام ويستشعر سخونة الدماء على جسده. يبدو أنه عليه الانتقال إلى ساحة أخرى بعدما فرَّ الجميع من حوله خوفًا منه. عليه أن يبحث إذن عن فريسة جديدة. نسي تمامًا فرقته الجديدة وأخذ يقاتل منفردًا دون ضبط للنفس أو اتخاذ أية إجراءات، وبينما هو غارق في عالمه الخاص سمع صوت "لوويتز" الذي كان يستنجد بزملائه فانضم إليه على الفور، وأمسك بأسمن المشاغبين وألقى به على زملائه، فكأنه رافع أثقال يلقي وزن تحطيم رقمه القياسي

على الأرض، ثم حمل "لوويتز" بين ذراعيه برفق ووضعه بمأمن بجوار الحائط.

كان "توريز" يقاتل منفردًا هو الآخر ويتصيد فرائسه في الشوارع المجاورة بعيدًا عن زملائه لحمايتهم من وجوده المثبط للهمم وشؤمه الذي لا يفارقه أينما حل. كان على قناعة بأن وجوده في الجانب الأكثر قتامة يعزز من شجاعته حتى حين كان يواجه اثنين دفعة واحدة.

تحت تأثير ألم الضربة الأولى، استشاطت "كابستان" غضبًا وتأججت نيرانها حتى صارت أشد من الشيطان نفسه، فكانت تضرب بشكل عشوائي، وتنفذ كل الحركات التي تعلمتها خلال التدريبات الشرطية. إلا أن رؤيتها صارت مشوشة، وشعرت بالأرض تدور بها على إثر هجوم خانق أصابها من الخلف دون أن تتمكن من توقعه. أخذ الرجل يشدد عليها الخناق أكثر فأكثر، ولم يتركها حتى وقعت مغشيًّا عليها على الرصيف، ثم أحست بأحدٍ يأخذها من تحت ذراعيها، كان ذلك "داكس" الذي نقلها كما فعل مع "إيفرار" و"ميرلو" المتراصين بجوار "لوويتز" جلوسًا على الرصيف مسندين ظهورهم على حائط ذي حجر خشن. كان "داكس" بمثابة المسعف الحنون الذي نقلهم بعيدًا عن المعركة، ولكن في مقابلها.

أمسك اثنان من المشجعين بذراعي "أورسيني" وأخذ الثالث يمطره باللكمات، هذه المرة سقطت رابطة عنقه.

لاحظت "كابستان" في هذه اللحظة أن كل فرد من أفراد الفرقة المناصرين منهم لـ"أورسيني" والمناهضين له كانوا يركضون لإنقاذه، لم يكن "سان-لو" مثلًا مضطرا للتدخل فقد كان "لوبروتون" أقرب منه، إلا أنه أمسك الضارب من قميصه من الخلف وأحكم قبضته وأداره ليكون في

مواجهته ولكمه في رأسه حتى طرحه أرضًا. أما الاثنان الآخران فتركا "أورسيني" على الفور وفرا هاربين في وسط الحشود.

دفعت "روزيير" باب البناية التي يقع فيها مقر الفرقة. كانت ترتدي حذاءً رياضيًّا عاليًا؛ وهو مثالي جدًا في مثل هذه الظروف، لكنه لا يتناسب كثيرًا مع فستانها المصنوع من الساتان الزمردي. أحضرت معها حقيبة إسعافات سميكة وكلبًا بوليسيًّا عازمًا على القتال. إنه "بيلو" الذي ما إن خرج حتى انطلق كالريح نحو الأعداء.

ذهب "داكس" لإحضار "أورسيني" ووضعه إلى جوار "كابستان". ظل يسعل للحظات ثم أدار وجهه نحو "كابستان" قبل أن تبادره "روزيير" بالحديث، ووضع أصابع يده اليمنى برفق على ذراعها ليجذب انتباهها. مالت "كابستان" نحو "أورسيني" لتسمع همس أنينه قبل أن يقول:

- لقد توصلت إلى معلومة مهمة، أظن أنني عرفتُ مَنْ قتل "رامييه"..

- ماذا؟ من؟ هل نعرفه؟

هز "أورسيني" رأسه بشدة موافقًا وأجابها هامسًا وهو يشير إلى المكان الذي ما تزال تعمه الفوضى:

- سأخبركِ لاحقًا، سأخبركِ لاحقًا..

حين بدأت المواجهات كان عدد أفراد الفرقة عشرة في مواجهة ثلاثمائة، أما الآن فقد انتهى بهم الحال خمسة في مواجهة خصومهم الذين يبدو أن عددهم في ازدياد. كانت تماثيل نافورة "الحوريات" تشاهد المذبحة دون أن تفقد ابتسامتها الهادئة.

حوصر "سان-لو" بين كلاليب ثلاثة من المشاغبين ضخام الجثة، أخذ يحاول الاقتراب من الحائط لحماية ظهره فلمح بطرف عينه "لوويتز"

جالسًا بعيدًا يحاول القيام ليذهب ويساعده، فأشار "سان-لو" برأسه نحو زميله وصاح قائلًا:

- لا، لا ! أعطني العكاز فقط!

رمى الشرطي العكاز بحركة واثقة كرماة الرماح والتقطها "سان-لو" من الهواء وهو يبتسم بملء فيه، ثم أمسكها بشكل احترافي. وبعد أن حقق توازنه المثالي أحكم قبضته على مقبضي العكاز البلاستيكيين ذات الشكل النصف الدائري المفتوح إلى الخارج ثم لوح به مصرحًا بصوت تملؤه الثقة والسعادة قائلًا:

- احذروا فقد جاءكم "سان-لو"!

لم يفهم مشجعو نادي "تشيلسي" الإنجليزي ما قاله "سان- لو" إلا أنهم فهموا ما يريد قوله. فقد أوصلت نظراته الرسالة كما ينبغي. لكنهم رغم ذلك تابعوا التقدم نحو "سان-لو"، فأصاب العكاز أولهم في عضده فأغمض عينيه من أثر الصدمة وسقط أرضًا عاجزًا عن التنفس، ثم أصاب ثانيهم في عنقه فسقط على الرصيف. لم يتبق سوى ثالثهم الذي اهتزت ثقته وضعفت، لكن كبرياءه ظل راسخًا فباغت "سان-لو" بقفزة سريعة أراد بها الإجهاز عليه إلا أنه راوغ بمرونة وأمسك بذراع خصمه فأفقده توازنه واستدار بزاوية 180 درجة ثم تراجع خطوة وأصابه بطرف عصا العكاز بين عينيه.

صاح "ميرلو" فرحًا:

- أحسنتم يا أصدقائي!

ثم أضاف "ميرلو" قائلًا:

- لقد حققنا نجاحًا مبهرًا بفضل ذلك الحذاء الشرطي ذي المقدمة المطاطية الذي كان يفقدهم الوعي كلما استقبلوا ضربات منه على جباههم. لكننه رغم ذلك كان أمنًا جدًا.

نهض الشاب الثالث حتى لا يستقبل المزيد من الضربات، ثم انطلق راكضًا باتجاه شارع "ديه لومبار"، لكنَّ حشود المشجعين ذوي القمصان الرياضية تتجدد مرة أخرى كما لو كانت في بداية الثمالة.

أعاد "سان-لو" العكاز لـ"لوويتز" وأخرج الخنجر من كاحله ثم أومأ لـ"كابستان" إيماءة قصيرة لتهدئتها ووضع الخنجر في غمده الجلدي الذي لن يخرج إلا إذا اضطر لذلك.

نادى "ديامان" بقوةٍ النقيب الرشيق "سان-لو"، ثم انطلق نحوه، بدا عليه أنه كان يريد إنهاء هذا الأمر. توجه "ديامان" صوب هؤلاء الحمقى المخربين وأخذ يضربهم ويضعهم فوق بعضهم تمامًا كما تفعل جرافة الشاطئ في الرمال. أما "سان-لو" فكان يطعن بخنجره كالبرق الغاضب الذي يصعق ويختفى. لقد نجح تحالفهما في مواجهة هؤلاء المخربين.

توجه "ميرلو" نحو "راتافيا" قائلًا:

- هيا عزيزي "راتا"! اذهب لمساعدتهم!

انطلق الفأر خلف الشرطيين تنفيذًا لأوامر صاحبه. لم يعد هذا الفأر يعض الكاحلين فقط، بل اكتسب الثقة وأصبح يتسلق الآن داخل السراويل ويهاجم الفخذين، مما دفع المشاغبين للصراخ وهم يركلون سراويلهم الواسعة بعشوائية لمطاردة كائن غريب متطفل لا يعرفون عنه شيئًا.

اتبع "بيلو" نفس استراتيجية الشطيرة التي انتهجها "ديامان" و"سان-لو"، فاندفع لدعمهم عن طريق عض أرداف ضحايا الفأر الذين لم يعودوا قادرين على الاستمرار في هذه المعركة.

كان "ميرلو" يشجع فأره بحماس قائلًا:

- أعلى يا "راتا"، أعلى!

أخذ "راتافيا" في الانتشار أكثر فأكثر واكتساب المزيد من التأثير بسبب قوارضه البارزة وأرجله المعقوفة البارزة من الجلد. ظل الفأر يسير بين ثنايا القماش حتى يصل إلى ما بين الساقين. حولت بقع الدم الواضحة بياض القطن إلى اللون الأحمر الداكن. هذا بالإضافة إلى مشهد المشاغبين وهم جاثون على ركبهم يبكون.

واصل "ميرلو" تشجيع فأره بحماس متزايد:

- نعم انطلق يا فأري! هاجمهم، أجهز عليهم!

ثم التفت إلى "كابستان" قائلًا:

- لقد بات لدينا فأر شرطة متدرب على أحسن ما يكون.

ردت عليها "كابستان" هامسة:

- اسكت! اسكت! لا ترفع صوتك هكذا حتى لا ينتشر الخبر ويقولون إن الشرطة تدرب الفئران لتفريق الحشود. سوف يسعد "بورون" بذلك كثيرًا!!

سرعان ما تم فض المشاجرة العامة التي اجتاحت "نافورة الأبرياء"، ولم تعد حشود المشجعين القادمة من مترو "شاتليه" تتدافع، بعد الهزيمة التي تلقوها والجروح التي أصابتهم، بل توجهوا بسرعة إلى الاستاد كي يلحقوا المقاعد البلاستيكية لهذه المدرجات، والتي سيجد معظمهم صعوبة في الجلوس عليها.

لقد نجحت الجهود المتضافرة للموظَّفَيْنِ الجديدين بالفرقة أو الثلاثة إذا عددنا "راتافيا" في هزيمة هؤلاء الهمج.

ثم أضاف "ميرلو" فرحًا:

- النصر! النصر! لقد انتصرنا! لقد انتصرنا بفضل فأري العزيز.

يبدو أننا لن نستطيع إيقاف "ميرلو" عن الحديث عن فأره. على الرغم من أن عينه اليسرى متورمة وتضاعف حجمها وسيتعين عليه أيضًا تركيب تيجان لأسنانه التي تهشمت، وعلى الرغم من أن زملاءه المنهكين أخذوا يطمئنون على أنفسهم وأن أعضائهم ما زالت سليمة، وعلى الرغم من أن "توريز" و"لوبروتون" و"داكس" و"سان-لو" و"ديامان" آخر المقاتلين، كانوا يسيرون نحوهم ببطء من شدة الإنهاك وإلى جانبهم كلب وفأر أحمر، فإن "ميرلو" كان يحتفل كما لو أنه انتصر للتو في معركة "أوسترليتز".

مع ذلك ابتسمت "إيفرار" وقالت مهدئة إياه:

- أتعلم؟! هذا هو بالضبط ما كانوا يسعون إليه، لذا لا أظن أننا أفسدنا سهرتهم.

لكن لم يمنعهم التعب والإرهاق من الفرحة والفخر بأنفسهم.

أمسك "ميرلو" المسرور فأره وأخذ يحك رقبته بأظافره المليئة بالدم.

أكدت "إيفرار" على كلامه قائلة:

- أظن أن هذه هي الحقيقة. صدقني.

فكر "ميرلو" للحظة ثم انحنى نحو "إيفرار" وأمسك ذراعها بيد واثقة قائلًا:

- لكني أري أن الحفلة أصبحت أقل حماسًا وجنونًا من دون هؤلاء الأوغاد.

36

رفضت "كابستان" بإصرار كلام "أورسيني" قائلة:

– كلا! لا أصدقك، ليس هو من فعل ذلك.

كانا كلاهما في مكتب النقيب يرتديان رابطتي عنق عريضتين مربوطتين كما ينبغي. وكان شأنهما شأن باقي أفراد الفرقة الذين تملأ أجسادَهم لصُوق الجروح والضمادات والمراهم ومطهرات "يوزين" الموضعية. وقد تحول حمام القسم إلى مستشفى ميداني، حيث كانت "روزيير" تعمل وهي تُلقي قدرًا كبيرًا من الدعابات الشرَطِيَّة. حضر إليهم طبيب وجمعهم في الرواق كل على كرسيه ليفحصهم واحدًا تلو الآخر ويرتبهم حسب الأولوية، فأرسل "إيفرار" و"لوويتز" إلى الطوارئ من أجل إجراء أشعة سينية بينما كان الآخرون يتدبرون أمرهم بما عندهم من الضمادات. كما فحص الطبيب حالة "راتافيا" الذي كان بصحة جيدة وكان يرفع خَطْمَه عاليًا بجوار "بيلو". ربتوا جميعًا على ظهر "داكس" وهنؤوه وأشادوا به حتى أنه ذرف بعض الدموع من حرارة الشكر الجماعي. وبعد ثوانٍ فقط من الاستمتاع بعودة روح الصداقة إلى الفرقة،

وجدت "كابستان" نفسها على هذا الكرسي تستمع إلى "أورسيني" وهو يهذي قائلًا:

- بلى أيتها المفتشة، كل شيء يشير إلى أنه هو.

- وأنا أقول لك كلا.

فعرض عليها "أورسيني" بصوت أنعم من المعتاد فقال:

- انظري.. أنا أتفهم الأمر وسأترك لكِ ما وقعتْ عليه يدي وستصلين إلى ما توصلتُ إليه.

وضع على طاولتها الزجاجية حسب الترتيب الآتي: قطعةً من الورق المقوى عليها رمز وقرصَ دي في دي عليه تسجيل كاميرات المراقبة، وبطاقة عضوية النادي، وملفًا ثم غادر بصمت وهو حريص على إغلاق الباب من غير صَكِّه.

حدَّقت "كابستان" في الأدلة، كانت تكابر أمام العقل إلا أن منطق "أورسيني" كان يشق طريقه رغم كل شيء فتسللت الحقيقة المقنعة في هذه المتاهة الدماغية التي كانت تغلق أبوابها، وذهب الإنكار عنها شيئًا فشيئًا فحل محله الغضب ثم الإحباط. ثم ماذا؟ ما العمل إذن؟

وبهذا لم يقتل "أورسيني" أحدًا، ولم ينتقم لزوجته ولا لولده.

أما "بول" فقد انتقم لوالده.

الوالد الذي لم يكن يحبه "بول" ولم يكن يراه لكنه غرس فيه العنف وقانون القصاص.

أم أنها كانت حادثة. نعم حادثة ارتكبها هو.

ظلت "كابستان" لدقائق طويلة تحدق في اللا شيء حتى صارت الغرفة كلها غير واضحة وحتى جفَّتْ حدقة عينيها تمامًا. توقف عقلها، وأصبحت لا تفهم شيئًا.

زوجها قاتل. لكن لا يبدو عليه ذلك، ولم يكن يبدو عليه حتى السخط. من أي كوكب جاءته فكرة هذا الفعل البعيد عنه تمامًا؟ هل من الحيوانية؟ من الهوية؟ من الشعور بالواجب؟ أم هي ببساطة الحاجة إلى الإثبات عن طريق القتل بأنه من النسل نفسه، ومن ثَمَّ سد هذه الحاجة الأبدية للاعتراف بالأبناء الذين يواصلون البحث بلا هوادة عن حب آبائهم ورضاهم حتى بعد الهجر والتعرض للضرب. لا بد أن "بول" نفسه لم يكن عنده الجواب عن هذا التساؤل.

كما تساءلت "كابستان" بعد عجزها عن منع نفسها عن التفكير: كيف لزوجها أن يرتكب جريمة قتل في الوقت الذي جُمِع فيه أخيرًا شملهم، لم يرتكبها أمام عينيها، بل كانت على رادار تحقيقاتها، فكيف لها أن تتجاهل هذه النقطة الحمراء الكبيرة التي أخذت تومض فجأة وتصدر صوتًا كصوت رنين جهاز رسم القلب؟

كان عليها تحليل الأمر بتأنٍ وألا تجعله شخصيًّا وألا تتعامل مع الأدلة بهذا الإحساس الرهيب من الضياع.

لم يكن "بول" واثقًا في نتيجة تحقيقها فقرر التصرف بمفرده، لقد كان يتلاعب بها. ثم ماذا؟ أكان يعتقد أنها لن تكشفه؟ لقد كان ينوي قضاء بقية أيامه هادئًا يجلس على أريكته وهو يكتم هذه الكذبة الكبيرة. أم أنه كان يقول في نفسه إن الأمر سهل، فزوجتي شرطية وليس عليها إلا

تزوير التحقيق وسينتهي الأمر بسهولة. فكيف لها ألا تجعل الأمر شخصيًّا؟ أكان يخطط ببساطة لتسليم نفسه والاعتراف لها بالقتل؟

كانت "كابستان" تميل إلى الانتظار لمعرفة الجواب.

أرادت حقًّا الانتظار دون أخذ أي قرار. لم ترغب "كابستان" في التصرف، أرادت أن تقرر الحياةُ من تلقاء نفسها، وأن تبتعد وتترك الأمور تسير كما هي وتنتظر إلى أن يُسوى كل شيء من دونها، إلى أن يأتي إليها أحدهم ويخبرها: "لا بأس، انتهينا من كل شيء". كانت تريد التخلي عن الأمر والاختباء.

لكن الأمور لا تسير بهذه الطريقة.

لمستْ الرمز بأصبعها، لقد أدى "أورسيني" عملًا متقنًا.

كان الرمز هو 947091. وهو عبارة عن تاريخ ميلاد معكوس، وصل في النهاية إلى استنتاج التاريخ التالي: 19 يوليو 1949.

ثم فَحَصَ ملفات جرائم القتل كلها ملفًّا تلو الآخر، وورقة تلو الأخرى فلم يتوصل إلى شيء، وأخيرًا وجده في ملفات الموارد البشرية لـ"روفوس": 19 يوليو 1949 هو تاريخ ميلاد زوجته، أكان لدى هذا الفظ مشاعر كباقي البشر أم أنه كان في بداية طريق المشاعر؟

كان الرمز قد ارتبط بـ "سيرج روفوس"، لكن يظل السؤال عن دور هذا الرمز. احتفاظ "راميه" به يعني أنه كان مهمًّا بالنسبة له.

المال؟

هل هو رمز إيداع؟ كان "أورسيني" قد اتصل بجميع محطات القطار ولم يجد أيًّا منها يستخدم هذا النظام. ثم أخذ يقلب في أوراق "روفوس" ويتساءل:

هل كان مشتركًا في نادٍ رياضي أو نادٍ للتاروت أو لقدامى ضباط الشرطة؟ هل كان لديه خزانة بمبنى الإدارة العامة للشرطة الجنائية؟ أو

غرفة خلع ملابس في أحد ميادين الرماية؟ لم يجد "أورسيني" أي شيء من هذا كله، فذهب إلى مكان وقوع الجريمة بـ"فانسن".

بما أنه لم يكن هناك شيءٌ يربط "رامييه" بـ"فانسن"، فهل من الممكن أن نجد شيئًا يربط "روفوس" بهذا المكان؟ صادف النقيب أثناء تجواله في الشوارع الجانبية مركزًا رياضيًّا من نوع المراكز الميكنة، حيث يكفي للدخول تمرير بطاقة العضوية التي تكون مدفوعة نقدًا الأمر الذي يضمن السرية. يفتح النادي أبوابه يوميًّا من السابعة صباحًا حتى الحادية عشرة ليلًا.

بعد أن فتح لـ"أورسيني" شابٌ من قسم التنظيف، جرَّبَ إدخال الرمز في كل الخزائن فانفتحت إحداها إلا أنها كانت فارغة.

شغَّل النقيب على حاسوبه بلا توقف أشرطة الفيديو المسجلة لمحيط الصالة الرياضية، وقد وجد فيها "رامييه" أربع مرات في صورة سالبة بالتصوير الأبيض والأسود وهو يدخل النادي بعد نظرة سريعة حوله، كان ذلك أيام الثامن والعشرين من نوفمبر والرابع عشر من ديسمبر والثاني والعشرين من ديسمبر وأخيرًا الخامس والعشرين من ديسمبر صباح يوم مقتله حيث خرج وهو يحمل حقيبة ضخمة، كان عليه في النهاية أخذ كل شيء لضمان هروبه فقد اختار يومًا لا يزعجه فيه أحدٌ، وهو الخامس والعشرين من ديسمبر الساعة العاشرة صباحًا. لم يعترض طريقه أحد في النادي.

وفي أحد الأشرطة تعرف على "بول روفوس" ثلاث مرات في صورة سلبية بالتصوير الأبيض والأسود أيام الحادي والعشرين والثاني والعشرين والخامس والعشرين من ديسمبر. في الحادي والعشرين دخل المركز ثم خرج بعد دقائق وفعل الأمر نفسه في الثاني والعشرين، أما في الخامس والعشرين فقد لمح "رامييه" وهو يخرج من المركز فظهر عليه

التردد لبضع ثوان ثم سار خلفه بالنهاية في اتجاه الغابة، وبعدها غابا كلاهما عن المشهد.

فكرت "كابستان" في الأمر، لقد رأتْ "دوني" في العشرين من ديسمبر وأخبرته أن "سيرج" قد مات. هل كان لدى "دوني" رسالة يخبر بها "بول" إذا مات والده؟ محتمل. غالبًا ما كان "سيرج" و"دوني" قادرين على الوصول إلى نقطة الالتقاء المفقودة في علاقة الأب بابنه وقد تمكن "سيرج" بأسلوب زعيم العصابة القديم أن يعهد إليه برسالة وطرد في حالة إذا ما "وقع له مكروه" إلا أن "دوني" لم يتابع حالة العجوز الصحية، لذا كان عليه مقابلة "كابستان" قبل أن يتصرف.

لم يقل "بول" شيئًا لـ"آن". لا في مساء عيد الميلاد. ولا في ليلة عيد الميلاد أو صبيحتها. كانت قد غادرت شقتها في الثامنة صباحًا وهي سعيدة جدًا، وبعدها بساعتين، كان "بول" يلاحق "رامييه" بالقرب من غابة "فانسن".

تأرجح عقل "كابستان" بين شعورين مختلفين. أطفأت تيارات الحزن نيران الغضب التي عادت للاندلاع على الفور، لم تعرف أي الشعورين سينتصر في نهاية المطاف.

هل يمكن أن يكون لالتماس العذر مكان؟ كلا، فهذه علامة على الضعف، وبالفعل كان الإغراء كبيرًا لكي تتخطى هذا الأمر بمبررٍ أعوج، وتلتمس العذر له من أجل أن تبني عليه عذرًا لها. قالت "كابستان" لنفسها إنها بإمكانها هي الأخرى أن تطلق النار. لكن لن يكون من أجل "سيرج" بكل تأكيد.

طرق "أورسيني" الباب عليها ثم أدخل منه رأسه وقال:

- مكالمة من أجلك.

- ألا يستطيعون الاتصال بي على تليفوني بدلًا من ذلك؟

- بلى، فتليفونك هو الآخر في الصالون.

تحسست "كابستان" جيوبها لا إراديًّا فلم تجد بالطبع تليفونها. فتنهدت ثم أدركت أن المتصل ربما يكون "بول" فنظرت نظرةً تساؤليةً إلى "أورسيني" الذي أغمض عينيه وهو يهز رأسه ببطء شديد إشارة إلى النفي وقال:

- إنه "بورون".

تنهدت "كابستان" لما علمت أنه "بورون" فقد كانت حقًّا بحاجة إلى التوجيهات من المدير، فأرغمت نفسها على النهوض.

وفي الصالون أمسكت بسماعة الهاتف وهي تتجنب نظرات زملائها فجعلت وجهها لمكتبها وظهرها لمن في الغرفة وردت عليه:

- نعم سيدي المدير؟

- أتصل بك بخصوص شجار الشوارع هذا الذي وقع بالقرب من نافورة الأبرياء..

- أجل، حسنًا اسمعني! لقد فعلنا ما بوسعنا، ونحن آسفون هذا كل شيء. لا نمانع أن نُلام ولكن بصراحة بالنسبة لفرقة منسية فغالبًا لا نُترك وشأننا.

سكتا قليلًا قبل أن يستأنف "بورون" كلامه:

- كلا أيتها المفتشة! في الحقيقة إنما أتصل لأهنئكم. لقد كان تدخلك مخالفًا لإجراءاتنا القانونية وللحذر وللمنطق السليم إلا أنه كان تصرفًا شجاعًا حد من الأضرار بالتأكيد. يجب أن أقول بأن التدخل الشجاع لقوات الشرطة بالحي على الرغم من قلة عددهم إلا أنه قد أثار إعجاب السكان.

قالت "كابستان" وهي في حالة يرثى لها بعد حوراها مع "أورسيني":

- حقًا! شكرًا. سماع هذا أمر جميل، ومن اللطف منك أن تنقل لنا هذا الإطراء.

- وبالطبع انتقد على الفور السكانُ أنفسهُم تأخرَ وصول شرطة مكافحة الشغب، وعدم استعداد المدينة لليالي المباريات، وتحدثوا أيضًا عن وجود حيوانات دموية مدربة على القتال، فهل يعني لك هذا شيئًا؟

- أتقصد عدم الاستعداد؟

- بل الحيوانات الدموية المدربة على القتال.

أمسكت "كابستان" قلمًا جافًّا كانت تدحرجه على خشب مكتبها وقالت:

- ربما ساعدنا كلب "روزيير" وفأر "ميرلو".

فسألها "بورون" بنبرة مهتمة فعلًا:

- هل هناك خطب ما يا "كابستان"؟

هوَّنت المفتشة من شأن الأمر مجيبة:

- كلا يا سيدي المفوض، كل شيء على ما يرام ونحن نتعافى من إصاباتنا.

- جيد، اتصلي بي عندما تتحسن حالتك.

وقف "لوبروتون" في طابور الانتظار الطويل أمام محل الجزارة الواقع بشارع "مونتورجوي"، كان يعتريه بعض السآمة من الجزر المبشور ومكعبات صدر الخنزير المحمرة وفكر فيما إذا كان سيجرب سلطة البطاطس مع لحم الخنزير بالعظام. ثم قد يشتري تفاحتين من بائع الفاكهة.

انجذب نظر الرائد كالعادة منذ أن عرف "بيلو" إلى الكلب الصغير الذي كان ينتظر بهدوء بالقرب من أسياخ الدجاج المشوي. ابيضَّ شعره وبهت لمعان عينه وكبرت سنه، وحول رقبته ميدالية فضية نُقش عليها ثلاثة أرقام هاتفية. لم يعد هروب هذا الكلب ممكنًا منذ زمن طويل كما أننا لا نرغب حقًّا في فقدانه.

37

"يجب أن أتحدث إليك يا آن".
لقد اتصل أخيرًا.

كانت "كابستان" جالسة تحت أحد مصابيح التدفئة في شرفة مقهى "كافاليه بلو" تتابع بنظرها الحركة المنوِّمة لرؤوس رواد مركز "جورج بومبيدو" وهم يصعدون سلَّمَه الكهربائي الطويل. كانت تعجبها مجموعة الأنابيب الملونة تلك، كانت تسميها جدتُها المعارضة بشدة للمشروع: "الأمعاء الثقافية".

على الرصيف المبلل، كانت المئات من فضلات أسراب الحمام تتحلل فينخدع السياح بوهم النظافة بالماء. كان الباريسيون يتجولون في الشوارع خلال أسبوع العطلات المدرسية هذا. لم يكن في شرفة المقهى الطويلة الواقعة بتقاطع شارعَي "سان-مارتان" و"رامبوتو" إلا طاولة أخرى مشغولة، لذا لن يزعجهم أحدٌ. لم تشعر "كابستان" بالشجاعة للحديث معه على انفراد في شقة، فاقترح "بول" بعفوية مقهى يكون قريبًا من القسم ومن بيتها. يا لها من رقة لرجل عليه الاعتراف بجريمة قتل!

رأته يسير من بعيد في شارع "سان-مارتان" وهو يضع يديه في جيوب معطفه الأزرق الداكن، ويدس رأسه بين كتفيه ليحتمي من البرد، لم يكن بإمكان القبعة الرمادية حجب كمية شعر كهذه، فكانت تتدلى منها خصل شعره الأشقر المبتلة من المطر. تساءلت "كابستان" نفسها متى ستتوقف عن الانبهار بجماله؟ ربما بعد عشر دقائق، إذا لم يقل ما ينبغي قوله.

تردد لثانية قبل أن يقبلها بسرعة ثم جلس أمامها وهو ما يزال يضع يديه في جيوبه. حضر النادل على الفور من غير أن يتفوه بكلمة وهو يضع سبابته وإبهامه في جيب صدريته ويعبث بعملاته المعدنية.

طلب "بول" منه ما يشربه من غير تفكيرٍ رغبةً منه في تجنب السؤال أكثر من رغبته في شرب شيء ما فقال:

- وأنا أيضًا أريد قهوة.

ثم التفت بحديثه إلى "كابستان" فقال:

- كيف حالك؟ طقس جيد، أليس كذلك؟

كان ينتظر وصول القهوة ومغادرة النادل ليبدأ الحديث في الأمور المهمة.

سألها بقلق مبهم وهو يشير إلى الكدمات الزرقاء برقبتها وإلى اللاصقة على جبهتها.

- ما هذا؟

شكر النادل على القهوة بإيماءة من رأسه.

اكتفت برد بسيط رافضة الخوض في التفاصيل فقالت:

- إنهم مشجعو نادي "تشيلسي".

فهي لم تأتِ لتشكو حالها، ولا لتنتظر منه مواساة.

فهم "بول" كعادته قصدها من غير عناء. انتهى من تقليب قهوته وبعدها كان عليه أن يبدأ الكلام. دعت "آن" في سرها ألا يحيد عن قول الحقيقة. أخذ نفسًا وحول نظره باتجاه مارَّة شارع "رامبوتو" ثم قال:

- طيب، سأحكي لكِ القصة الكاملة لأني لن أستطيع إخفاءها كثيرًا. أعتقد أنك تحققين فعلًا في القضية، لكن ما لا يعلمه أحدٌ قط هو أن "رامييه" هذا الرجل الذي قتل والدي صار ميتًا، وأنا من قتلته.

- كيف حدث هذا؟

فكرت "كابستان" وهي تحدث نفسها أن هذا السؤال يبدو شُرطيًّا بامتياز، بينما كان السؤال الوحيد الذي يشغلها حقًّا هو "لماذا لم يعجِّل إليَّ بالحديث عن الأمر؟" غير أنها كانت تريد اعترافًا مفصلًا. لم يبد "بول" مندهشًا وكان يكمل حديثه بسرعة، لأنه لم يكن أمامه طريق آخر وكان عليه أن يكابد حتى النهاية من غير تفكير. فأجابها:

- لقد كان يخنقني ولم يكن ما تبقى من أنفاسي كافيًا لأقاومه، لذلك أطلقت عليه النار.

فكرت "كابستان" في أن الخنق، هي الطريقة نفسها التي مات بها "فولووسكي" وهذا يبدو منطقيًّا، تبقى لها معرفة لماذا كان يتجول "بول" بمسدس. فسألته:

- ومن أين لك بهذا السلاح؟

فقال لها وهو يقرع الطاولة بالملعقة مرتين خفيفتين:

- أجل، فهمتك، لذا سأعود إلى البداية حتى يكون الأمر أكثر وضوحًا. بعد أن رأيتك، جاءني "دوني" إلى المنزل وأحضر إليَّ طردًا كان والدي قد استأمنه عليه ليسلمه لي "في حالة إذا.."، وفي ظل الأعمال القذرة التي كان

يفعلها، توقعت أن يكون هناك توابع لهذه الأعمال وكان من الأفضل اتخاذ التدابير. وبما أنني كنت أرفض رؤيته.. والباقي أنت تعرفينه كله.

لم تكن "كابستان" ترد بشيء، بل كانت تكتفي بالاستماع إليه وهي تشبك يديها وتتكئ على الطاولة من غير أن يتأثر مظهرها بأي ردة فعل.

أخذ "بول" نفسًا عميقًا لكي يكمل كلامه فقال:

- كانت في هذا الطرد بطاقة دخولٍ لنادٍ رياضي ومسدس محفور عليه رقم خزانة ورمزها، كما كان في الطرد خطاب قصير.

ابتلع "بول" ريقه بصعوبة واحمرت عيناه ثم قطب حاجبيه واستكمل كلامه قائلًا:

- ذهبتُ إلى النادي في اليوم التالي وفتحت الخزنة، فوجدت نقودًا مكدسة رِزَمًا داخل علبِ أحذية مرصوصةٍ، لقد كانوا ست علب. فأغلقت الخزنة وغادرت المكان. ظللتُ أفكر طوال الليل ولم أدرِ حقًا ما سأفعله بهذا المال، فقلت لنفسي على الأقل عليَّ أن أحضر علبة منهم لأعرف قيمة المبلغ.. لذا عدت إلى هناك فوجدت علبة مفقودة، فأحصيتهم مجددًا وتحققت وبحثت. هنا تأكدت من فقدان إحدى العلب، وقد أخذها شخصٌ ما. من هو؟ فكرت على الفور في "رامييه" وفي أثر الضربات على جسد والدي. كان قد عذبه ليحصل منه على الرمز.

بسط "بول" يديه لِيُري "كابستان" بداهة الأمر فقال:

- كنت أعلم أنه سيعود فقررت أن أنتظره، غير أني ما كنت أستطيع التحدث إلى رجل مثله إلا بحماية نفسي بأقل شيء ممكن، لذا أخذت أحد أسلحة والدي القديمة، واحدًا من مجموعة "الأشباح" كما كان يسميها وهي غير مسجلة، ووفقًا لما كان يشرحه لي عندما كان يسعى لإثارة

اهتمامي بأمور الشُّرطة. كان يريد أن يعلمني تنظيف البندقية والرماية أيضًا لكنني لم أرغب في ذلك. وهكذا أخذتُ المسدس الدوَّار..

قاطعته "كابستان":

– لقد كان مسدسًا آليًّا، وجدنا ظروف الطلقات الفارغة.

فقال مُقرًّا وهو يرفع حاجبيه:

– هذه حقيقة، كنتُ قد ذهبت – من باب الاحتياط – لأجربه في منطقة نائية. لم أتمنَ يومًا أن ألتقي وجهًا لوجه بقاتل يحمل سلاحًا آليًا يُصدر صوت "تِك تِك" كما يحدث في الأفلام.

خاطر "بول" بالابتسام لكنه غير رأيه على الفور، ومن أمامه زوجته التي لم تكن تبتسم قط، كانت تقف على حالة اللاوعي التام التي قادت زوجها إلى هذا الطريق، لقد كان يظن أن بإمكانه مواجهة هذا الرجل فتحولت شجاعته إلى تهور، فسألته:

– أتدرك من كان "رامييه"؟ كان قد قتل قبلها ثلاثة أشخاص، فكيف استطعت المخاطرة بمثل هذه المواجهة؟ ولماذا؟

– رغبةً في معرفة المزيد بالطبع، أحقًّا كان والدي محتالًا، وإلى أي درجة؟ هل سطا وقتل هو الآخر، ومنذ متى ومع مَنْ؟ هل قتله "رامييه" انتقامًا منه على خيانته؟ أم أن والدي كان يتمتع بنزاهة شُرطية عالية؟ لم يكن في الخطاب شيء بخصوص هذه الأمور كلها.

هزَّ "بول" رأسه لأنه كان على علم بحقيقة أفعال والده.

– في النهاية، لم أعرف أكثر من هذا ووجدت نفسي في موقف عصيب لا مفر منه. غير أنني كنت على صواب في أمرٍ، وهو أنه قد عاد. كنتِ قد

أريتِني رسمة تقريبية له على هاتفك، فتعرفت عليه في الوقت الذي خرج فيه من النادي وهو يتأبط حقيبةً.

أضاف قائلًا:

- لقد استعدتُ الحقيبة وهي بالطبع تحت تصرفك.

ثم استأنف حديثه:

- لذلك قررت أن أتبعه، وعندما كنت على بعد أمتار قليلة ناديته، فاستدار وحدق في وجهي للحظة. كنت أرى أن ملامحي تذكره بشيء ما، أنا.. أنا أشبه والدي وأنت تعلمين ذلك. فأكدت له ظنه وعرفته بنفسي، فتقدم نحوي، كنت سأطرح عليه أول سؤال إلا أنه لم يمهلني الوقت فانقض مباشرة على عنقي وأخذ يضغط عليه بجنون.

جحظت عينا "بول" وهو يتذكر وحشية الهجوم، ما زال لا يصدقه ولم يكن يستوعبه، فأكمل:

- قاومته، ولكني أدركت أنني لن أستطيع الإفلات منه، وأن المعركة غير متكافئة بسبب عجزي عن التنفس. فتمكنت من وضع يدي في جيبي وإخراج المسدس الآلي وحينها أطلقت النار عليه بقدر ما استطعتُ..

اشتدت قبضته حول الملعقة التي لم يكن قد تركها واعترف وهو في حالة يُرثى لها فقال:

- اضطررت إلى إفراغ الخزنة تحت وطأة التوتر حيث كنت خائفًا من ألا أصيبه فيحصل على المسدس.

لم يسع "كابستان" وهي بطلة الرماية إلا أن تشير إلى أن إطلاق رصاصتين من مسافة قريبة على الأشجار كان حقًا إنجازًا لا يستهان به. كان عليها أن ترى الجانب الجيد، سيكون هذا في صالحه.

يبدو أن "بول" قد حكى كل ما عنده. سيتعين الآن على "كابستان" أن تطرح السؤال الوحيد الذي كان يعذبها حقًا:

- لماذا لم تخبرني بالأمر؟

- لكيلا تتورطي معي.

- أتمزح يا "بول"؟!

لقد امتزجت حياتها بحياة هذا الرجل وجسدها بجسده منذ ميلاد حبهما. وها قد عادت علاقتهما من جديد بعدما تقطعت أواصرها قليلًا، وقد منحهما ذلك قوة عظيمة. وقد كان "بول" هو منْ نفخ الروح في علاقتهما بعدما كانت على مشارف الموت، ثم ها هو الآن يسلب كل شيء منها من جديد، فهل أراد ذلك حقًّا؟ سألته "كابستان":

- وبعد أن عرفتُ ذلك وعلمتُ نواياك في تجنب توريطي، قل لي إذًا لماذا ظهرتَ أسفل منزلي؟ لماذا؟

غض "بول" طرفه، إذ كان يعلم أنها على حق. غير أنه لم يكن للمنطق أدنى علاقة بالأمر، لقد تقابلا وكان هذا كافيًا. فأجابها:

- لأنني لم أكن أفكر إلا فيكِ، ولم أخطط للأمر. كل ما أردته هو أن تعودي إليَّ. وأنتِ أيضًا، ألم تريدي ذلك؟

كانت بداهة الأمر تجعل أي إجابة غير مجدية. فأكمل كلامه:

- أنا حقًّا آسف. لكنني كنتُ بحاجة إلى القيام به بمفردي، بعيدًا عن الشرطة للحصول على الإجابات الحقيقية من الرجل الوحيد المعنيِّ بالأمر. ما كنت أظن الأمر سيؤول إلى ذلك.

مع رجل مختل مثل "رامييه"، لم يكن ممكنًا أن يتحول الأمر لخلاف هذا. لقد كان "بول" مخدوعًا بأوهام المجرمين الخيالية، فهرب بدلًا من أن يتصل بها.

- كان عليك أن تخبرني على الفور، وكان لا بد من الإدلاء بهذه الاعترافات في الحال. ولكن ستظل تلاحقك دائمًا مسألة السلاح وإخفاء معلومات تخص هارب. لكن لو استندنا من البداية إلى الدفاع عن النفس لصار الأمر هينًا. لماذا لم تتصل بي؟

هزَّ "بول" كتفيه، ثم عاد للخلف ليسند ظهره على الكرسي وبالكاد فرد ذراعيه قبل أن يقول الإجابة التي بدت له الأكثر صدقًا:

- لأن الأمر يخصك، فلو لم تكوني مكلفة بهذه القضية وكانت لشرطي آخر، لاتصلت بك على ما أعتقد. لم أكن حينها فخورًا بنفسي، وعندما يشعر المرء بالوضاعة، فإن المرأة التي يحبها لن تكون أول من يعلم. هذه واحدة، والأخرى أنني لم أكن لأخبر أحدًا غيرك. لقد كان كل شيء مشوشًا، وكنت تائهًا وكذلك مصدومًا جدًا وكما تعلمين. لقد انتظرتُ.

جالت عينا "كابستان" في الميدان، حيث كان الحمام مصطفًّا بطول سطح مبنى "أتيليه برانكوشي"، وتساقط المطر بإيقاع منتظم، مستقرًّا هنا حيث خلوده الباريسي، يزيد الأسفلت سوادًا، يخفي الوجوه، يروي جذوع أشجار الكستناء المسكينة من خلال حلقاتها المعدنية أو يسيل في مجاري الصرف ليتجمع مع المجاري الأخرى.

38

حدقت "كابستان" في "بول" لوهلة، دارت برأسها فكرة طمس هذه القضية بأسرع ما يمكن وعلى الوجه الأمثل، حتى لو كان ذلك على حساب جانٍ آخر، فعلى كل حال لم يكونوا بحاجة للبحث عن أوغاد لإتمام ذلك فهم كثر ولا بد من أن القضية ستكون مناسبة لأحدهم كبدلة حيكت خصيصًا لأجله.

لكن لا، لن تستطيع التعايش مع هذا الأمر للأسف، لذا أعادت التفكير في عرض "أورسيني" الذي كان قد اقترحه عليها في وقت سابق في المكتب:

- لا أدري بالضبط إذا ما كان قتلُ "رامييه" انتقامًا أو حادثًا عاديًّا، لكنني على استعداد بأن أشهد أنني كنت هناك إذا لزم الأمر وبأنه كلمني، وأن تصرفه كان في إطار الدفاع المشروع عن النفس.

- لكن هذه شهادة زور أيها النقيب.

- ارتكب "بول" جريمة كان بإمكاني، بل كان يجب عليَّ أن أرتكبها بنفسي، لذا أعتقد أنه من الطبيعي أن أشاركه فيها، وستكون شهادة الزور بمثابة مشاركة مني في قتل "رامييه" من ناحية، وضمان البراءة لـ"بول" من ناحية أخرى.

- بالطبع لا يمكننا فعل ذلك. فبالإضافة إلى أن اقتراحك يثير السخرية فلا بد أن تتذكر أنك كنت معنا وقت معاينة الجثة بصحبة نصف أفراد الإدارة العامة للشرطة الجنائية، فمن المنطقي أنك كنت ستبلغني بذلك.

خفض "أورسيني" رأسه ثم تعهد قائلًا:

- حسنًا. اسمعي، إن استطعتُ فعل أي شيء فتأكدي أنني لن أتأخر.

- أفهم قصدك جيدًا، شكرًا لك على كل حال.

ربما كان على "أورسيني" القول بأنه تلقى مكالمة هاتفية من قبل، ولكنه لم يعرها الاهتمام اللازم، وذلك من شأنه أن يبرئ ساحة "بول" من بعض التهم.

كان على "كابستان" أن تسيطر على خوفها من رؤية زوجها محتجزًا بين أربعة حوائط قذرة بأحد السجون، وأن تتعامل مع الأمور بهدوء وشجاعة كشأن كل قضايا القتل الأخرى التي تولت التحقيق فيها. من المؤكد أن "بول" ليس قاتلًا بطبعه، وهذا ما ستظهره الأدلة إن استطاعت "كابستان" التوفيق بينها للحصول في النهاية على أدلة قاطعة. كان عليها أن تمنح نفسها بعضًا من الوقت لاستجماع قواها مرة ثانية.

ظل "بول" جالسًا على الكرسي في انتظار أن تشق الأخبار طريقها إليه، حتى تستطرد "آن" حديثها مرة أخرى. فسألته لا لشيءٍ إلا لتكسر حاجز الصمت المطبق:

- ماذا يفترض بي أن أفعل من وجهة نظرك؟

- تعتقلينني.. أتمنى أن تقومي أنتِ باعتقالي إلا إذا كنتِ لا تفضلين ذلك بلا شك، ولكنني لن أهرب على كل حال فلقد كبرت على فعل ذلك بالإضافة إلى أن كل الناس تعرف شكلي لذا أظن أنني لن أستطيع الذهاب بعيدًا. إنني على استعداد لتحمل المسئولية كاملة.

هزت "كابستان" رأسها وأطلقت زفرة خفيفة. تحمل المسئولية كاملة؟! لم تكن لديه أدنى فكرة عما ينتظره، إلا أن إخلاصه المطلق ظهر جليًّا كأنه مصباح أنار المكان من حوله. لم يكن لدى هذا الرجل أي شيء ليخفيه في جعبته.

- حسنًا إذًا، هل ترك لك خطابًا؟

- نعم.

فتح "بول" معطفه الصوفي السميك وأخرج من جيبه الداخلي ورقة مطوية إلى أربع طيات بحذر شديد ثم ناولها بعد ذلك لـ"كابستان" قائلًا:

- تفضلي، اقرئيها.

مدت "كابستان" يدها بتردد، لأنه كان خطابًا شخصيًّا، وكانت تفضل أن تحصل على ملخص بسيط من المتلقي. إلا أن "بول" أصر عليها وألقى الخطاب على الطاولة قائلًا:

- اقرئيه.

فتحت "كابستان" الورقة وقرأت نص الخطاب:

"بول"،

لقد كنتُ زوجًا سيئًا وأبًا سيئًا وشرطيًّا سيئًا كما تعلم، وقبل ذلك كنت أبًا عنيفًا لابن سيئ كما تعلم أيضًا، لكنني لم أبحث يومًا عن أعذار.

أما أنت فقد كنتَ زوجًا سيئًا -كما توقعتُ مسبقًا- لكنك كنت ابنًا صالحًا. لم أفهم شجاعتك وقتها، لكن يبدو أن أدائك للعروض المسرحية الكوميدية قد أكسبك مزيدًا من الثقة وجعلك أكثر قوة

يوم وقفت أمامي وعارضتني. وحين جاء اليوم الذي فهمتُ فيه ذلك لم نعد نلتقي، وأصبح هذا حالنا للأسف الشديد.

لكن رغم البعد والجفاء إلا أنني كنتُ أحبُ أن أظل والدك وأن أتصرف بناءً على ذلك دون أن تعلم. لقد حدتُ عن جادة الصواب كي أجمع لك مالًا تستعين به في حياتك المهنية بباريس. لا شك أنك كنت ستنجح من دوني لكنني أردت المشاركة، واعتبرت أن هذا واجبي تجاهك.

سيكون كل هذا المال -الذي لم أستمتع به حينها- إرثك اليوم. هذه الأموال التي كسبتها بطرق غير مشروعة تمكنتُ على مدار السنوات الماضية من تغييرها من فرنكات إلى يوروهات، وقد خبأتها في خزانة نادٍ رياضي تجد عنوانه وكود الخزانة مرفقًا مع هذا الخطاب.

والدك الذي يندم، لكنه يعجز عن فعل أي شيء. حظًا سعيدًا فيما هو آت.

بابا".

أعادت "آن" طي الورقة واحتفظت لنفسها بالأفكار التي حطت برأسها بفعل هذه الكلمات المقتضبة المعبرة عن الشعور بالندم المتأخر شيئًا ما، والذي يشوبه في الوقت نفسه شيء من الغرور. لكنها لم تترك ذلك التلميح الجارح يمر مرور الكرام فقالت:

- لم تكن أبدًا زوجًا سيئًا.

- بلى، إنه محق. كنت بلا شك زوجًا سيئًا، لم أكن قط مناسبًا لهذا الدور.

هزت "كابستان" رأسها ببطء وصمتت لبضع لحظات كانت كافية لإعادة النظر في قصتهما منذ موت "سيرج". لقد كانت تتصرف في واقع الأمر بالضبط كوالد زوجها، فقد كانت تنطوي على نفسها وتخنق كل

نَفَسٍ من البهجة يدور حولها. تركت غضبها الكامن يتأجج بداخلها حتى لا يكسر الصمت الذي عمَّ من جديد.

ركزت "كابستان" مرة أخرى مع الحمام والمارة والميدان والرياح والمطر ثم عادت إلى "بول" قائلة:

– لا يمكن لأحد أن يتحمل مسئولية انفصالنا يا "بول"، فأنا التي لم أرد الاستمرار ولم يكن رحيلك سوى تحصيل حاصل. لذا فإنَّ والدك مخطئ في كلامه عنك. لقد كنت زوجًا رائعًا حقًا.

كان على "كابستان" أن تجمع أدلة تثبت حسن نية "بول" وأنه لم يكن في حسبانه أبدًا قتل "رامييه". كانت "كابستان" على ثقة تامة بـ"بول"، لذا أخذت تسأله قائلة:

– هل احتفظت بالسلاح؟

– نعم، لدي كل شيء: السلاح والحقيبة وبطاقة النادي وحذائي المليء بالطين.

فكرت "كابستان" فجأة في العلامات الواضحة حول رقبته ومالت إلى الأمام قائلة:

– هل تسمح لي؟

كشفت ياقة القميص المستديرة المطوية عن علامات زرقاء كبيرة بدأت بالتحول بالفعل إلى اللون الأصفر في بعض الأماكن. لا بد أن "رامييه" كان يخنقه بشده، لذا كان على "بول" أن يتصرف بسرعة ودون تفكير.

كان عليه أن يدافع عن نفسه وإلا كان سيموت بين يدي "رامييه". من الناحية الواقعية يمكن القول بأن "بول روفوس" قد ارتكب جريمة القتل في إطار الدفاع المشروع عن النفس والعلامات حول رقبته تؤكد ذلك دون أن تدع مجالًا للشك. وأما عن حمل السلاح –فشأنه شأن الرغبة في التصرف

منفردًا- فهو تصرف صدر من ابن ما يزال تحت تأثير صدمة موت أبيه، ومشوشًا من أثر الكشف عن الفساد الذي أعقب ذلك مباشرة. وبناءً عليه، تأخر الاعتراف لكن بشكل عفوي ودون قصد منه. هذا بالإضافة إلى أن وضعه العاطفي كان معقدًا حيث كانت زوجته السابقة تشارك في التحقيقات وكانا بالكاد قد عادا لبعضهما حين وجد "بول" نفسه في مواجهة "راميه"، ولأنه كان مشوشًا ومصدومًا فلم يكن يعلم كيف يتصرف، لكنه حين استعاد إدراكه سلم نفسه طواعية وأعاد الأموال المسروقة إلى السلطات.

يبدو هذا منطقيًّا إلى حد كبير. كان على "روزيير" أو "ميرلو" أن يجدوا محاميًا مكروهًا لدى جهاز الشرطة، محامٍ من بين أولئك الذين يقضون أشهرًا من العمل الشاق في سبيل تحرير أحد رجال العصابات الذين لا تتمنى أن تقابلهم يومًا ما في أحد الممرات. عليهم إيجاد الرجل المناسب. يبدو هذا منطقيًّا.

أخذت "كابستان" تبحث في سجل الأرقام على هاتفها ثم ضغطت على زر الاتصال:

- مرحبًا أيها الطبيب، المفتشة "كابستان" معك على الهاتف. هل ستكون متاحًا للإدلاء بشهادة؟ إنها حالة طارئة. في مقر الفرقة. شكرًا جزيلًا. إلى اللقاء.

وضعت "كابستان" هاتفها في جيبها وجمعت أغراضها ودعت زوجها لفعل المثل، ثم قالت له:

- سوف أضعك في الحبس الاحتياطي يا "بول" ولن أقوم أنا باستجوابك كما تعلم، ولكن لا تقلق، أخبرهم بالحقيقة دون أي تحريف وسيمر الأمر على خير ما يرام.

سيصير كل شيء على ما يرام إذا سارت الأمور كما خططت لها "كابستان".

39

ليون، بنك "مينرفا"، 4 أغسطس 1992

وضع "سيرج" الأصفاد في يدي "رامييه" وأخرجه من البنك ثم ألقاه على الرصيف. أمسك مسدسه في قبضته وكأنه يريد حرق "رامييه" وتحويله إلى رماد، ثم أمسك ياقته بيده اليسرى ليتحدث بالقرب من أذنه. كانت قطرات عرقه تتساقط على عيني هذا البلطجي، وهو يوبخه قائلًا:

– اللعنة عليك، ما هذا الذي فعلت أيه المعتوه؟ يا لك من وغد قذر! لماذا أطلقت النار على هذه المرأة وطفلها؟

– إنه خطأ "فولووسكي"، الذي أخلَّ بموعده. هذا بالإضافة إلى أن هذا المَصْرِفِيَّ الأحمق قد نطق اسمي عندما دخلتُ مكتبه. إذًا هو الذي قتلهم ولستُ أنا. كل ما فعلته أنني أطلقتُ عليهم النار وفقط.

وجه إليه "سيرج" لكمة عنيفة في أنفه ثم قال له وهو يهزه هزًّا عنيفًا:

– لقد وضعتنا جميعًا في ورطة بفعلتك هذه. لذا لن أتركك ترحل. لا أستطيع تصديق ذلك. لقد أصبحنا جميعًا في خطر. عليك أن تسمعني جيدًا أيه الأحمق. سأتركُ "جاك" و" أليكسي" يكملون العملية كما

خططنا لها. وسيشهد "أليكسي" ضدك في المحكمة. لا تقلق، سنحتفظ لك بنصيبك من العملية. في المقابل عليك ألا تنبس بكلمة واحدة وعندما تخرج من السجن ستأخذ نصيبك كاملًا. مفهوم؟ فهمتني؟

بين عرقه، وعرق "روفوس" والدم المتدفق من أنفه، تمكن "رامييه" من الرد عليه وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة شريرة:

– مفهوم.. مفهوم. إلى أن نلتقي. سأخبرك قبل خروجي من السجن بقليل.

هزه "روفوس" مرة أخرى، ثم تركه يسقط على جانبه.

توقفت صافرات الإنذار، وأُغلقت الأبواب. كان "روفوس" يشعر بحركة الهواء من حوله بسبب زملائه الذين يجرون في كل مكان. كان موقفًا صعبًا حقًّا لكنه مرَّ بسلام.

40

انطلقت الحقائب ذات العجلات على أرضية مطار "شارل ديجول" ذات النعومة الفائقة، تمامًا كما تنطلق الأسود في حدائق السافانا والحيتان في المحيطات. أخيرًا، لم نعد نسمع ذلك الصوت المزعج الذي كان يصدر بفعل احتكاك عجلاتها بالأحجار الخشنة والأرصفة المحببة.

كانت أصوات أقدام رجال الشرطة الذين يجرون الحقائب أكثر إزعاجًا بكثير من صوت احتكاك عجلات هذه الحقائب بالرصيف. كانت "روزيير" في مقدمة المجموعة، هذا طبعًا باعتبار أنها شخصية بارزة لها مكانتها، كانت تشير إليهم -أحيانًا- بذراعها كي يتبعوها كأنها مرشدة سياحية تقود فوجًا سياحيًّا نحو لوحة "الموناليزا". في إحدى نقاط التفتيش، تعرف ضباط شرطة المطار على زميلهم السابق "ديامان" فاقتربوا منه، وأخذوا يسخرون منه وهم يشيرون إلى "كابستان" قائلين:

- أليست هذه رئيستك في العمل؟ هل ستشارك في مسابقة الزوجة المثالية لهذا الشهر أما ماذا؟ ألم يطلق الرجل المسكين تلك الحسناء؟

انصرف هؤلاء الشرطيون قبل أن يسمعوا رد "ديامان" عليهم. يبدو أن الموضوع الذي لم يجرؤ أحد على مناقشته سيطرح نفسه بقوة بعدما وصل أعضاء الفرقة جميعًا إلى صالة الانتظار في مبنى الركاب "2E".

تساءلت "كابستان" عما إذا كان ينبغي عليها أن تقدم سلسلة من التفسيرات والاعتذارات لزملائها.

في مقر فرقة "كابستان"، استقبل الجميع "بول" باستغراب واضح، باستثناء "أورسيني" الذي صافحه بحرارة عند دخوله. في الوقت الذي تولى فيه كلٌ من "لوبروتون" و"روزيير" مهمة اعتقال "بول" بناءً على طلب "كابستان"، قامت هذه الأخيرة بشرح ملابسات القضية باختصار لأعضاء الفرقة، الذين حاولوا جاهدين أن يأخذوا الأمور بشكل طبيعي. بعد ذلك اصطحبت "روزيير" و"لوبروتون" المشتبه به إلى مقر الإدارة العامة للشرطة الجنائية، التي حولته بدورها إلى النيابة. حتى هذه اللحظة، لا يبدو الأمر سيئًا للغاية. بدأت "آن" تلتقط أنفاسها بعض الشيء.

وصل أعضاء الفرقة أخيرًا إلى صالة المغادرة. هرع كلٌ من "لوويتز" -الذي كان ما زال يستند على عكازه- و"داكس" نحو صفين من الكراسي متقابلين كي يحجزا مكانًا للجميع في بداية الصف، تمامًا كما يفعل المراهقون في دور السينما. وبمجرد أن وصل الجميع مع أمتعتهم وحقائب الظهر والأغراض المعفاة من الرسوم الجمركية نهض "داكس" من مكانه ليتركه للمفتشة "كابستان". مالت "روزيير"، التي كانت تخدش حقيبتها بفضول تلقائي في غياب كلبها غير المصرح له بزيارة الولايات المتحدة، نحو "كابستان" وقالت لها:

- لا تقلقي يا عزيزتي بشأن "بول". ستعتبر المحكمة أن الأمر كان دفاعًا عن النفس. أراهنك أنهم سيحكمون بشطب الدعوى، أو بحكم مع إيقاف التنفيذ في أسوأ الحالات.

ردت عليها "إيفرار" بطريقة غير دبلوماسية بالمرة قائلة:

- لكن سيكون هناك جمعٌ كبيرٌ من الناس في المحكمة، ولا شك أن وسائل الإعلام لن ترحمه.

قاطعتها "روزيير" في الحال بنبرة حذرة قائلة:

- على العكس تمامًا. فأنا أرى أن هذه المحنة ستكون سببًا في انطلاقة فنية جديدة، خاصة أنه يمتلك طلة جميلة ومميزة. ولا شك أيضًا أن هذه التجربة ستجعله قادرًا على إتقان شخصية الشرطي والبلطجي، وسيستعين به المنتجون في أدوار مختلفة. بالإضافة بالطبع إلى روح الفكاهة والكوميديا التي يمتلكها.

هنا تدخلت "كابستان" قائلة:

- وبالنسبة لسمعة الفرقة وصورتها أمام الإدارة العامة، أخشى أن أكون قد ورطتكم معي في..

ردت عليها "روزيير" وهي تنظر إلى زملائها قائلة:

- أووه، لقد تبلدت مشاعرنا، أليس كذلك يا رفاق؟

هزَّ الجميع رؤوسهم بالموافقة بلا تردد، فهم أصبحوا فعلًا متبلدين بعد تهميشهم وإهمالهم من قبل الإدارة العامة، لدرجة أنه لم يعد يتواصل معهم أحد منذ وقت طويل. لكزت "روزيير" بمرفقها "كابستان" في جانبها ثم قالت وهي تضحك:

- عن أي صورة تتحدثين يا "كابستان"؟ الأمر أبسط مما تتخيلين، كل ما فعلناه هو أننا شوهنا صورة شرطي آخر بعدما كشفنا حقيقة "سيرج روفوس"، وقد اعتقلتْ مديرتنا زوجها الذي ربما استفاد مما كان لديها من معلومات..

ردت "كابستان" على الفور قائلة:

- كلا!

قالت "روزيير" مؤكدة:

- سيكون كل شيء على ما يرام. بالنسبة لزوجك، أعتقد أن الأمور ستمر بسلام خاصة إذا كان هناك محامٍ كبير وتغطية إعلامية تليق بشخصية مشهورة مثل "بول". أما نحن، فلا يستطيع أحد إدانتنا ولا تشويه صورتنا، لقد أصبحنا أسطورة حقيقة!

في تلك الأثناء أعلنت مذيعة المطار الداخلية: "على ركاب الرحلة رقم AF1810 المتجهة إلى "لوس أنجلوس" التوجه إلى البوابة رقم E31 لإتمام إجراءات المغادرة والصعود فورًا على متن الطائرة". نهض أفراد الفرقة معًا كأسرة واحدة، واستكملت الحقائب رحلتها معهم. عبرت "إيفرار" عن أسفها قائلة:

- اللعنة! ستستغرق الرحلة إلى لوس أنجلوس حوالي ثلاث عشرة ساعة، وبعدها ثماني ساعات أخرى كي نصل إلى مدينة "هونولولو".

علقت "روزيير" وهي تبتسم قائلة:

- نعم، لكن سيكون الأمر مختلفًا تمامًا في درجة رجال الأعمال.

ابتهج "لوويتز":

- درجة رجال الأعمال! لا تمزحي! كم تمنيت أن أرى قمرة القيادة..

تساءل "داكس":

- أين "توريز"؟

سلمت "روزيير" جواز سفرها وبطاقة المغادرة وهي ترد على سؤال "داكس":

- استقل طائرة أخرى مع أفراد أسرته خوفًا من أن تتحطم الطائرة بنا جميعًا.

الخاتمة

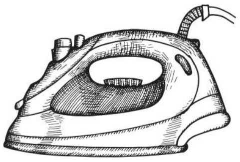

كانوا بالكاد يلتقطون أنفاسهم بسبب ارتفاع نسبة الرطوبة التي وصلت تقريبًا إلى سبعين في المئة. أصابهم إرهاق شديد بسبب طول الرحلة وفرق التوقيت والتغيرات المناخية، التي اضطرتهم في النهاية إلى أن يخلعوا ملابسهم. بعد يومين فقط من وصولهم كانوا قد اشتروا الكثير من الأشياء لدرجة أنهم أخذوا تقريبًا كل ما في المحلات الموجودة في المنطقة. وها هم اليوم قد تقشر جلد أنوفهم، ويرتدون قمصان "هاواي" فضفاضة مشجرة بورود كبيرة وأشجار نخيل صغيرة.

اجتمعوا أسفل الحلبة في الهواء الطلق وهم في حالة سُكْر من شراب "ماي-تاي"، ثم أخذوا يرفعون أيديهم ويضربون بأرجلهم في الأرض كي يشجعوا بطلهم بحماسة شديدة وبهتافات تقليدية. "وصلنا إلى الجولة الحاسمة"، كان صوت المعلق يدوي في أرجاء المكان. ظهرت شابات يرتدين الزي المحلي وقلائد وتيجان مصنوعة من زهور "التياري" على الحلبة وهنَّ يحملن لوحات صغيرة عليها نتيجة الجولات السابقة أو لافتات إعلانية لمنتجات "فيلييس". وكانت هناك لافتة كبيرة مثبتة تعلن عن "نهائي بطولة المكواة الذهبية 2012".

كان أطفال "توريز" يشجعون والدهم بالطريقة نفسها. يبدو أن "توريز" كان في ورطة حقيقة، خاصة أنه يواجه الفائز في الدورتين السابقتين من البطولة؛ وهي امرأة كندية يبلغ طولها مترًا وثمانين سنتيمتر. بدت وكأنها تريد أن تهشم طاولتها في كل مرة تسقط فيها المكواة من عليها. على الجانب الآخر، كان "توريز" يجهز أدواته قبل أن تبدأ الجولة. كان صوت الإعلان عن أسماء المتسابقين يرج المكان رجًا بسب مكبرات الصوت الضخمة. أُصيب أصغر أبناء "توريز" بالتوتر. كانت الفتيات يشددن شعرهن قلقًا وأعينهن متسمرة على الحلبة. أما ابناه الكبيران فكانا يلكزان بعضهما كي يصبحا أكثر حماسة. كانت زوجته - السمراء ذات الأصول الأيبيرية - تعض خديها من الداخل وهي تراقب تصرفات أطفالها. وأخيرًا بدأت الجولة الحاسمة.

أغلق "توريز" عينية لثانية واحدة قبل انطلاق صافرة البداية، وأخذ يُذكِّر نفسه أن الفرصة جاءت إليه أخيرًا وعليه ألا يفرط فيها.

تغيرت قواعد المنافسة في المباراة النهاية؛ حيث إنهم لم يعودوا يكتفون بالقمصان وفقط. كان "توريز" مستعدًا تمامًا لهذا التحدي؛ فقد تدرب لسنوات وسنوات كي يصل إلى هذا المكان.

بدأت المتسابقة الكندية قبله بقليل، كانت بداية غير مبشرة من جانبها، لكن لا يهم كل ذلك. انطلق "توريز" هو الآخر ممسكًا بقميص تلو الآخر. كان متأخرًا في هذه الجولة إلا أنه رغم ذلك ظل متماسكًا. كان العرق يتصبب من وجهه، تبلل قميصه من كثرة العرق إلا أنه لم يأبه بشيء من ذلك كله، كان في كامل تركيزه لدرجة أنه كان ينتهي من كي القميص مرة واحدة دون حتى أن يلتقط أنفاسه.

كانت منافسته الكندية تراقبه بطرف عينها، فقد انتهت لتوها من السلة الأولى بينما لم ينتهي هو من نصف السلة بعد. ارتسمت على وجهها ابتسامة رغم التعب الذي بدا واضحًا على ملامحها بسبب ما تبذله من مجهود.

صرخت "روزيير" بصوت عالٍ:

- لقد أفسدتْ جميع عروات قمصانها، يمكنك اللاحق بها في النتيجة النهائية، هيا! هيا!

نادي عليه "ميرلو" بحماس:

- تشجع يا صديق! تشجع يا صديقي!

أخذ "داكس" يشجعه بحرارة ويقين قائلًا:

- هيا! هيا! هيا! تشجع يا صديقي تشجع!

شجعه "لوويتز" هو الآخر بالكلمات والشعارات نفسها.

أما "كابستان" و"لوبروتون" و"إيفرار" فكانوا يصفقون بشدة كي يشجعوا زميلهم الذي يمر بموقف عصيب. وقف "أورسيني" فجأة وأطلق صرخة مدوية "هيا يا صديقي! أنت لها!"، ثم جلس على الفور. يبدو أنه يعاني من اضطراب وعدم اتزان منذ أن انتهت القضية. فقد بحث كثيرًا، وانتظر كثيرًا لكنه لم يفعل سوى القليل في نهاية المطاف. قضت الحقيقة على الشكوك التي كانت تدور بداخله، وبات رأسه خاليًا من كل التساؤلات التي كانت تنهش عقله، إلا أنه عاد من جديد إلى الحداد على أسرته، ذلك الحداد الذي لن يفارقه طيلة حياته.

انتقل "توريز" أخيرًا إلى السلة الثانية. لاحظ الجميع فجأة انطلاق "توريز"، حيث كان يتعامل مع المكواة بمنتهى السرعة والاحترافية. كانت قطع الملابس تتوالى على طاولته بسرعة جنونية؛ كان يبدأ بأكمام القميص

ثم ينتقل إلى باقي الأجزاء بسرعة وهو يضبط درجة حرارة المكواة. كانت بعض خصلات شعره الكثيف تتطاير بشكل غير منتظم. رفع ساعده بطريقة تلقائية كي يمسح عرقه الذي يتدفق بغزارة لكنه كاد أن يحرق نفسه بالمكواة المزودة بمولد البخار.

أطلق الحكم صافرة نهاية المباراة.

استطاع "توريز" أن يستدرك تأخره، وانتهي من سلَّات الملابس في اللحظة نفسها التي انتهت فيها خصمنه الكندية من سَلَّاتها.

صرخ الجمهور:

- النتيجة النهائية؟! النتيجة النهائية؟!

أمسك الحكم بميكروفونه وجهازه اللوحي ثم قال:

- لقد كوى كلاهما عدد الملابس نفسه بالضبط. لذا سنحتكم إلى نسبة التجاعيد عند كليهما. نلقاكم خلال بضع دقائق.

دخلت مجموعة من الخبراء إلى الحلبة للتعليق والحكم بمنتهى الجدية والاحترافية على الملابس التي كواها كل متنافس.

خلال هذه الدقائق المعدودة لم يتوقف الجمهور عن التكهنات والتوقعات، بل إن المئات منهم لم يتوقفوا عن قضم أظافرهم من كثرة القلق.

أخيرًا، غادر الخبراء الحلبة ثم صعد الحكم ذو الشعر المموج مرة أخرى وأمسك الميكروفون بقوة كأنه ملك في مدينة "لاس فيجاس".

- وصلنا أخيرًا إلى اللحظة المنتظرة! وفقًا لتقديرات الخبراء فإن نسبة التجعيد في القمصان التي قام بكيها الفرنسي "جوزيه توريز" وصلت إلى واحد وخمسين بالمئة، أما بالنسبة للكندية "مارثا كيتيمات" فقد وصلت إلى اثنين وثلاثين بالمئة.

بدا الحزن واضحًا على وجوه الجمهور الفرنسي بينما عمَّ الفرح والسرور بين الجمهور الكندي.

استطرد الحكم كلامه قائلًا:

– السيدات والسادة، لم ينته الأمر بعد، لم ينتهِ الأمر بعد! بالنسبة لملابس الأطفال، فإن النسبة عند المتسابقة الكندية كانت ثمانية وستين بالمئة، أما بالنسبة للمتسابق الفرنسي فكانت صفر بالمئة. صفر بالمئة! هذا مدهش حقًا. نحن أمام رقم قياسي جديد وبراعة ليس لها مثيل. وهذا لم يكن ليحدث إلا مع مولدات البخار ماركة "فيليبس برو"، والتي يمكنكم الحصول عليها من المحلات والمتاجر المتخصصة. والحكم لكم في النهاية.

بعدها قام الحكم بعرض عشرات المجموعات من الملابس المرصوصة بعناية شديدة ومربوطة بدقة متناهية. كان الحكم يناول فتيات هاواي مجموعة من الملابس، وكن بدورهن يعرضنها أمام الجمهور الذي كان في حالة تامة من الدهشة والذهول. كان الأمر أشبه بمعرض للتحف الفنية.

أخيرًا، أعلن الحكم النتيجة النهائية قائلًا:

– السيدات والسادة، يسعدنا أن نعلن بحفاوة عظيمة الفائز ببطولة "المكواة الذهبية 2012" وهو الفرنسي "جوزيه توريز".

ابتسم "توريز"، تهلل أطفاله، قفزوا في كل الاتجاهات واحتضنوا بعضهم، صفقوا بحرارة، هللوا صارخين باسم أبيهم: "بطل العالم. العالم كله".

تضاعف الصراخ والتهليل مرات ومرات بين صفوف الجمهور الفرنسي، خاصة بعد انضمام مجموعة من السياح إلى أسرة "توريز" وزملائه. كان صوتهم يدوي في المكان كأنهم ألوف مؤلفة. كان لهذا المشهد عظيم الأثر على "كابستان". حدقت في زميلها الذي بدا وجهه منتفخًا من

كثرة السعادة. كانت حقًا في غاية السرور لأجله. كانت أيضًا في غاية الامتنان لزميلتها الكريمة السخية "روزيير" التي تحملت كافة تكاليف هذه الرحلة لمؤازرة زميلهم في المباراة النهائية.

لكن بالرغم من سعادتها هذه، فإنها لم تستطع أن تستمتع بالحدث كما ينبغي. ربما كان ذلك بسبب السفر، وربما كان بسبب الظروف المحيطة وربما كان بسبب العودة المنتظرة إلى باريس. الخلاصة أنها لم تكن على ما يرام، حيث كانت تعاني من دوار شديد وغثيان لا يُحتمل.

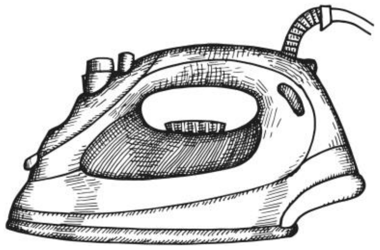

ملاحظات

أُقيم نهائي "بطولة المكواة الذهبية 2012" في هاواي، ولكن لأسباب سردية تم تعديل بعض القواعد والأجواء الخاصة بالمباراة. ومع ذلك، فقد فاز بالبطولة الفرنسي "كريستوف هارس"، وهو اليوم صاحب مطعم رائع في "إيسي ليه مولينو".

خلال الاحتفال بالذكرى المئوية للشرطة الجنائية في ساحة "دو مارس"، عُرِضَ بالفعل مقطع فيديو بعد العرض الذي قدمته وحدة "التسلق للحماية المدنية" الحالية. وقد عُرض من خلال فيديو – كما جاء في الفصل 31 – فرق الشرطة الجنائية المختلفة، هذا بالإضافة إلى التفصيلة المشار إليها في الفصل نفسه. لكنَّ الحقيقة هي أن الكاتبة لا علم لها تمامًا بالأشخاص الحقيقيين، وأن ذكرها لمدير فرقة البحث والتدخل في هذا الصدد ليس سوى محض خيال.

وجب التنويه أيضًا إلى أن هناك فئران وخنازير تعمل في جهاز الشرطة، لكن ليس في فرنسا بل في الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وهولندا.

أحدث الإصدارات من سلسلة #كتب_مختلفة:

- مستوطنة الأناركية - باتريك أورشادنيك
- استغاثة! - جريتي بو
- حياة مسروقة - مينكا كينت
- لصوص المقابر - فرانسين ماري ديفيد
- شجرة التين - جوران فوينوفيتش
- عودة السوفيتي - أندريه جفاليفسكي \ يفجينيا باستيرناك
- العودة إلى الوادي المظلم - سانتياجو جامبوا
- إيلينا تعرف - كلاوديا بينيرو
- نجم المساء - إسكندر بالا
- رسائل إلى هيلجا - بريجيسفين بيريسون
- عاصفة الشمال - إينار كاوراسون
- الوردة البيضاء والغابة السوداء - إوين دمبسي
- شيء ما سيحدث - كريستوس إيكونومو
- فتاة من فيتنام - كيم توي
- رسائل من امرأة مجهولة - زيجموندز سكوينش
- مشعلو الحرائق - جان كارسون
- الكاتدرائية السوداء - مارسيال جالا
- الدرويش - صلاح الدين دميرتاش
- يومًا ما سنقول لبعضنا كل شيء - دانييلا كراين
- أسود صقلية - ستيفانيا أوشي
- فتاة نيبال الثرية - شيواني نيباني
- عائدة إلى الشمس - آنا ماريا ماتشادو
- بقايا يوم صيفي - كريستين دوير هيكي
- أيام شهور سنوات - يان ليان كه
- أحزان هندية - عبد الله خان
- قلق الأمسيات - ماريكا لوكاس رينفيلد
- جريمة أبي - هاكان جنيد
- المبنى 21 - تشو داشين
- بيت من زجاج - ويندي إرسكين
- المتلعثم - تشارلز ليفينيسكي
- المدينة الشفافة - أوندجاكي
- رأس العقرب - هيلدا فاندرميرين
- مرثيات وطن - أياد أختار
- جريمة صائد القرش - يواكيم ب. شميدت
- نهاية الوحدة - بينيدكت ويلز
- الرجل الذي تحدث الثعبانية - أندروس كيفيراك
- حتى الموت - راكيل روبلس
- سقوط شجرة الحور - سيفجي سويسال
- حديقة الكلاب - صوفي أوكسانين
- من هو لو؟ - أوتافيو كابيلاني
- العزلة - كلاوديو مورانديني
- جزيرة الفئران - كريستوس إيكونومو
- الحب في خمسة فصول - دانييلا كراين
- يومًا ما.. الآن - ماسيمو جارميلليني
- منزل وسيارتان وطفل - تانيا رايخ
- امرأة على حافة العالم - ستينون سيجورذاردوتير
- حتى تذوب الثلوج - كريستيان قواي بوليكوين
- الوكالة السرية - ألبير جانيجوز
- في انتظار الطوفان - رومان سينشين
- حمام البلقان - فلاديسلاف باياس
- أرق من الجلد - أوزما إسلام خان
- الثامن عشر من نوفمبر - باولز بانكوفسكيس
- حارس الشانزليزيه - جُوز
- آزوري - ك. سيلو دويكر
- لا صديق سوى الجبال - بهروز بوتشاني
- المنتحر - أولجا سلافينكوفا
- عملية البنك الأيرلندي - ريتشارد أوراو
- كتاب نيبو الأزرق - مانون ستيفان روس
- سيارة اسمها نصر - إيلمار تاسكا

- فنانو الذاكرة – چيفري مور
- حكايات العمة روزا – سيفجي سويسال
- توماييني – كلارا موماني
- أعيش مع شبح – لورا فرويدنتالر
- عمدة أمستردام – هيرمان كوخ
- العملية سمكة الفيل – أوتو أوزولس
- أحلام سعيدة يا صغيري – ماسيمو جارميلليني
- مصنع الأحذية – چيفري لويس
- ثقل العالم – بيتر هاندكه

- روميو وجوليت في البلقان – ديان ترايكوسكي
- قصص من أيرلندا – مجموعة مؤلفين
- في ليلة مظلمة تركت منزلي الصامت – بيتر هاندكه
- لماذا قتلت أعز صديقاتي – أماندا ميكالوبولو
- الدبلوماسي – إليت أليشكا
- أمي عميلة سرية – أوندراش فورجاتش
- كاتبة وكاتب – فيولا رونر
- المدينة ذات العباءة القرمزية – أصلي إردوغان

أحدث الإصدارات من سلسلة كتب عامة:

- الحدود - إيريكا فاتلاند
- فن طرح الأسئلة - إيلكا فيس
- ذلك المريض "عن مرضى غيروا حياة أطبائهم للأبد" - إلين دي فيسر
- الأسماك "ما لا نعرفه عن عالم البحار" - بيل فرانسوا
- الدهون.. العضو السري "فوائدها وأضرارها - ليسبث فان روسوم
- دليلك إلى لعبة الحبار - بارك مين جون
- تشرنوبل "الحقيقة كما حدثت" - أندرو ليذربارو
- السادات.. شميت "حوار الأزمات - كارل جوزيف كوشيل
- الرمان "تاريخ وحكايات من حول العالم" - بيرند برونر
- ضد أمازون "لماذا يكره بائعو الكتب أمازون" - خورخي كاريون
- سقوط الفيفا.. الفساد.. المال.. السلطة - ديفيد كون
- النيل - تاريي تفيت
- متسلقو الجبال "حكايات من استطاعوا أن يصلوا إلى القمة - لويس كونساليز سارمينتو
- الخبز "الأهمية الثقافية والرمزية لدى حضارات العالم القديم - بريدراج ماتفليجيتفيتش
- علم كرة القدم البرازيلية "فنون المراوغة وأساسيات التدريب" - سيلفيو ريكاردو دا سيلفا وآخرون
- النسوية للرجال"لماذا النسوية مهمة للرجال" - يانس فان تريخت
- البيئة لغز المستقبل "ذوبان الجليد وغرق العالم" - أندري سنار ماجنسون
- القمر في التاريخ والأساطير وأثره على النساء - بيرند برونر
- سوفيتستان - إيريكا فاتلاند
- ماركيز.. لن أموت أبدًا - كونراد زولواجا

صدر من سلسلة #جريمة_العربي:

#ثلاثية_ريكيافيك / ليليا سيجورادوتير **(آيسلندا)**
- الفخ (1)
- المصيدة (2)
- القفص (3)

#سلسلة_المحقق_كونراد_سير / كارين فوسم **(النرويج)**
- جريمة في الظلام (1)
- جريمة جليسة الأطفال (2)
- جريمة العروس الهندية (5)
- جريمة على حافة البحيرة (8)

#سلسلة_ألكسندر_بلكس_وإيما_رام/
يورن لير هورست وتوماس إنجر **(النرويج)**
- مستحق للموت (1)
- شاشة من الدخان (2)

#سلسلة_المحقق_المتقاعد_إيفرت_جرينز/
أندرس روزلوند **(السويد)**
- جريمة عيد الميلاد (1)

#سلسلة_المحققة_ماريا_كاليو/
لينا ليهتولاينين **(فنلندا)**
- جريمتي الأولى (1)
- من عدوها؟ (2)

#سلسلة_كاتي_هيرشيل / أسمهان أيكول **(تركيا)**
- جريمة في البوسفور (1)
- جريمة في إسطنبول (2)
- الطلاق على الطريقة التركية (3)
- تانجو إسطنبول (4)

#سلسلة_المحققين_فريدريكا_بيرجمان_وأليكس_ريجت / كريستينا أولسون **(السويد)**
- غير مرغوب فيها (1)
- الصمت (2)

#سلسلة_إيفرت_جرينز/
أندرس روزلوند وبيرجي هليستروم **(السويد)**
- ثلاث ثوان
- ثلاث دقائق
- ثلاث ساعات

#سلسلة_كبير_المفتشين_كيرت_فالاندر/
هينينج مانكل **(السويد)**
- جريمة الذئب الوحيد (3)
- جريمة الرجل الذي ابتسم (4)

#فرقة_الضباط_المنبوذين / صوفي إيناف **(فرنسا)**
- جريمة في باريس (1)
- فريق تحقيقات باريس (2)

#سلسلة_المحقق_ألبير_كامو / ألبير جانيجور **(تركيا)**
- جريمة الأخ الصغير (2)

#سلسلة_الصحفية_أنيكا_بنجستون/
ليزا ماركلوند **(السويد)**
- جريمة تفجير الأولمبياد (1)
- جريمة الملهى الليلي (2)

#سلسلة_المحققة_جانا_برسيليوس/
إميلي شيب **(السويد)**
- الوسم (1)
- الانتقام (2)

#سلسلة_سيباستيان_بيرجمان/ مايكل هيورث وهانز روزينفلت **(السويد)**
- أسرار قاتلة (1)
- الرجل الذي يراقب النساء (2)

القضية لم تنته بعد / ميخال سيكورا **(التشيك)**
الجريمة المنسية / فيكتوريا هانيشوفا **(التشيك)**
سأنتقم لموتك / كارمي ريرا **(إسبانيا)**
الغرق (6) / كاميلا لاكبيرج **(السويد)**
جريمة الابن الصالح / جونج يو جونج **(كوريا الجنوبية)**
سبع سنوات في الظلام / جونج يو جونج **(كوريا الجنوبية)**
الجريمة المكسيكية / إيكتور أجيلار كامين **(المكسيك)**
الحارسة الشخصية / لينا ليهتولاينين **(فنلندا)**
جريمة في بوينس آيرس / كلاوديا بينيرو **(الأرجنتين)**
أرامل الخميس / كلاوديا بينيرو **(الأرجنتين)**
كلي لك / كلاوديا بينيرو **(الأرجنتين)**
شرخ في الحائط / كلاوديا بينيرو **(الأرجنتين)**

أختي قاتلة متسلسلة / أويينكان بريثويت **(نيجيريا)**
توباز / هاكان جنيد **(تركيا)**
سارق الجثث / باتريسيا ميلو **(البرازيل)**
بارد كالجحيم / ليليا سيجورادوتير **(آيسلندا)**
ذبابة بشرية (1) / هانز أولاف **(النرويج)**
جريمة الساحر / آرني ثوارينسون **(آيسلندا)**
عملية البنك الأيرلندي / ريتشارد أوراو **(أيرلندا)**
العملية الأخيرة للقاتلة المأجورة / بيير لوميتر **(فرنسا)**
امرأة في حقيبة / رفاييل مونتيز **(البرازيل)**
الروليت الروسي / رفاييل مونتيز **(البرازيل)**
امرأة في الظلام / رفاييل مونتيز **(البرازيل)**
جريمة في المنزل المفتوح / كايتي سايس **(أمريكا)**
جرائم براج / ميلوش أوربان **(التشيك)**

قائمة إصداراتنا الكاملة

أماكن توزيع إصداراتنا